

مذكراتي وذكرياتي .. هذه

شاكر علي التكريتي

دار الشؤون الثقافية العامة

* الأخت الكريمة - قلباً وقالباً -

الدكتورة ربيحة أم سعد المحترمة

تحية الأخوة والمحبة .. وتحية التقدير
والتقصير - قصوري بالذات - حيث
لم أشارك برؤياك منذ زمان .

وبعد - يسرني أن أهدي لك
(مذكراتي وذكرياتي) باعتبارك القارئة
المتفهمة والإنسانة المثالية التي أنشأت
العائلة إنشاءً مثالياً وعلى المستوى
الثقافي والاجتماعي الأمر الذي يدعو
إلى الاعتراف بأصالتك وطموحك في الحياة
يا سليلة الأسرة المباركة . تفضلي
تحيات وسلامات أختك (أم جلال)
والأسرة كافة
والسلام

عمك / المخلص /
شاكر علي التكريتي

٢٠/١١/٩٧م

وزارة الثقافة والأعلام



دار الشؤون الثقافية العامة

بغداد ١٩٩٧

مذكراتي وذكرياتي .. هذه

الجزء الأول

شاكر علي التكريتي

الطبعة الأولى ـ بغداد ـ
١٩٩٧

٥ و ٩٢٠

ت ٨٤٩ التكريتي ، شاكر علي

مذكراتي وذكرياتي .. هذه / شاكر علي التكريتي ..

بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٩٧ .

ط (ص) ؛ ٢٤ سم

١ ـ التكريتي ، شاكر علي (صحفي)

أ . العنوان

م . و

٢٠٠ / ١٩٩٧

المكتبة الوطنية (الفهرسة أثناء النشر)

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق (٢٠٠) لسنة ١٩٩٧

الاهـــداء

ما كانت (مذكراتي وذكرياتي) هذه مذكرات عسكرية لكي أهديها للسيد القائد العام المهيب الركن المنصور بالله صدام حسين حفظه الله .. وما كانت (مذكراتي وذكرياتي) هذه سياسية بحتة لكي أهديها لرجل الحكم والسياسة الرشيدة الأول في عراق الثورة والوطن العربي الكبير .. ولكنها مذكرات مواطن شعبي بسيط يفخر بهذه المواطنة الشعبية البسيطة .

إذن فلمن أهدي ـ مذكرات وذكرياتي ـ هذه لغير راعي الشعب الأول والمواطن الأول صدام حسين ، البطل القيادي الثوري الذي كان وما يزال منذ ظهوره على مسرح الدولة والثورة والشعب في خدمة الدولة والثورة والشعب ، حفظه الله ورعاه ونصره على أعداء الحق والحرية والسلام ـ انه السميع المجيب ـ .

المخلص ـ شاكر علي التكريتي

صاحب (مذكراتي وذكرياتي)

الشكر واجب

لوزارة الثقافة والاعلام المحترمة وزرائها ووكلائها ومدرائها وخبرائها منذ سنة ١٩٩٤ م وحتى سنة ١٩٩٧ م .. ألف شكر على المساهمة في اخراج ـ مذكراتي وذكرياتي ـ الى النور. وعساني خدمت الحقيقة والتأريخ في عهد الرئيس القائد المفكر صدام حسين الذي ما يزال يهيب بنا الى خدمة التاريخ وذلك باعادة كتابته وتدوينه بكل دقة وأمانة وتجرد ذاتي وإخلاص ، وبتحليل وتدليل في ضوء البحوث والدراسات العميقة والجدلية الفكرية التي هي فوق الأهواء والميول والنوازع الذاتية والعنصرية .

والله من وراء القصد .

شاكر علي التكريتي

صاحب المذكرات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مذاكراتي .. وذكرياتي .. هذه

أمام الحاضر والمستقبل والاجيال أتحمل مسؤولياتها تجاه نفسي والآخرين فيها القدوة لقوم يقتدون وفيها العبرة لقوم يعتبرون .

أما بعد ..

فقد كان المفروض أن أبدأ بتدوين مذكراتي هذه في بداية السبعينات وعلى وجه التحديد عام ١٩٧١ م وهي السنة التي تجاوز عمري فيها الستين سنة والتي رجاني فيها ولدى الأكبر ـ جلال ـ وبالحاح وتشجيع أن أبدأ بتدوين هذه المذكرات .. والحق أقول ..

ـ ومن خلال تجاربي والدروس التي تعلمتها ـ ان عمر (الستين) هو العمر الملائم لكتابة المذكرات ، وهو العمر المقبول والمعقول .. ذلك لأن العديد من التجارب في تلك السن تختمر في ذهن الانسان ويشتد اكتِناه أسرار الحياة واختبارها ويتلاحق فيها مسلسل الذكريات والمواقف ويتراكم بحيث يضيق ـ صاحبها ـ بها ذرعاً فلا يطيق صبراً على تحملها واختزانها . واذن فلا بد من التنفيس والتفريج ولا بد من اخراج الصور المخزونة الى حيز الوجود ، وعرضها سافرة على بصر الجيل وسمعه . وذلك من أجل الاقتداء ببعضها ، والابتعاد عن بعضها الآخر ، أي ان كل المذكرات التي يسجلها العقلاء الفضلاء أو الحمقى أو الاغبياء الأخيار منهم والأشرار ، والكبار منهم والصغار ، وعلى حد سواء ، انما تنطوي على درسين اثنين درس للقدوة وآخر للعبرة .

ولكني لم ادوّن مذكراتي هذه في ـ الستين ـ ولم احقق رغبة ـ ولدي جلال ـ ذلك

لان المرحلة التاريخية التي كانت تعيشها البلاد حينذاك ـ وهي السبعينات ـ بعد بعد ثورة ١٧ / ٣٠ تموز ١٩٦٨ المباركة ما كانت لتوحي وتشجع على تدوين ـ المذكرات ـ فلقد كانت مرحلة صراع رهيب بين الثورة ـ المعجزة ـ وحزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة الرفيق القائد صدام حسين من جهة وبين القوى الرجعية والاستعمارية والردة من جهة اخرى . كما كانت الثورة بين حدين أو استقطابين ، فإما أن نكون أو لا نكون .

وبسبب هذا وحده فقد تأخرت عن تدوين ـ مذكراتي ـ (٢٢) سنة حيث تجاوزت الآن ـ الثمانين ـ من عمري واستطعت أن أتحدى اولئكم الذين يرددون المثل الشعبي المشهور (عند الستين حد السكين) وأن أرفع شعار المثل الشعبي المعاكس (في الثمانين صيد سمين) بما فيه صيد المذكرات من أعمق أعماق (الذاكرة) التي لا تنسى .

ومن ثم فان كتابة ـ المذكرات ـ أية مذكرات سياسية أم عسكرية أم تاريخية وأدبية على السواء لا تقاس بما تنطوي عليه من وقائع ومواقف وصور وحوادث فحسب وانما تقاس بما فيها من ـ مصداقية ـ وتصوير حقيقي وأمين للأحداث وللشخوص وللمضاعفات والنتائج ، ومن قدرة ـ الكاتب ـ أو الانسان على التفاعل مع البيئة والمجتمع والتاريخ أو الثورة على البيئة والمجتمع والتاريخ مع الصمود أمام كل الافعال وردود الافعال وهكذا فان ـ المذكرات ـ تقيّم ـ كما قلت ـ بمقدار ما فيها من المصداقية والانصاف والترفع عن الاغراض والأهواء والافتئات على حقائق التاريخ النواطق بصرف النظر عن شخصية صاحب المذاكرات وحجمه الاجتماعي كبيراً أم وسطاً أم صغيراً وقائداً أو عالماً أو أديباً أو شاعراً .

وعلى ذكر المصداقية في كتابة ـ المذكرات ـ أقول بأن الامة العربية ـ ومع الاسف البالغ ـ قد ابتليت في مختلف المراحل والعصور وعصرنا هذا بالذات ، بمزورين ـ كبار وصغار ـ من أصحاب المذكرات الذين تميزت مذكراتهم بتدوينها وكتابتها على الورق الصقيل ونشرها بالغلافات والجلود الضخمة ، ولكن ـ خزين ـ المذكرات لم يصقل والاغلفة اللامعة لم تصن ـ الحقائق ـ التي بين دفتيها من التحريف والتزوير ولشد ما يؤلمني ويؤسفني بل يثيرني أن يكتب البعض مذكراتهم قبل أن يمر عليها وقت طويل وفي الوقت الذي ما يزال فيه ـ صاحب المذكرات ـ يعيش مع رفاق عمره الاحياء ، فلا يأنف ولا يتورع عن التزوير والتلفيق والكذب على التاريخ ، بل الكذب حتى على رفاقه الاحياء الذين يتعايشون معه .

أمثال هؤلاء أعدهم من الذين خانوا العهد وفرطوا بالامانة التاريخية ، تماماً ، كما تنكروا لكل شرف وطني وقومي وتاريخي وانساني .. ولقد قرأت عدة مذكرات لعراقيين وعرب ، استطيع وضعها - ويدي على ضميري ، في داخل هذه (الخانة) من المذكرات ، بل وأعدها من نوع مذكرات (دون كيشوت) الذي يصارع - طواحين الهواء - ان كان له ثمة مذكرات .

وبقدر ما يتعلق الأمر بعراقنا الحبيب الذي عاش الانقلابات والاضطرابات وعاش الثورات والثورات المضادة وعاش الملكية ، والقاسمية ، والعارفية ، ويعيش اليوم عهد - صدام حسين - المناضل الثائر وقاهر الاستعمار ، فان على - اصحاب المذكرات - الذين لا يمتلكون الشجاعة الكافية والمصداقية - وهي جوهر المذكرات - أن لا يستعجلوا في نشر - مذكراتهم - إن كانوا من الصادقين ، وأن يدوّنوها ويحتفظوا بها للتاريخ ، وبخاصة تلك المذكرات التي تتناول حياة امة كاملة ومصير شعب خالد .

وآخر ما قرأت من مذكرات في الآونة الأخيرة ، وكمثل رائع على - مصداقية - وأمانة التاريخ هي مذكرات - محمود رياض - الذي واكب احداث الامة العربية من عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٧٩ حيث شاهد فيها وعايش اربع حروب بين العرب واسرائيل ، وتبوأ أعلى المواقع السياسية والدبلوماسية وتولى مسؤولية (أمانة الجامعة العربية) ١٩٧٢ ، فانه لم يستعجل في تدوين - مذكراته - المشهورة إلا بعد تريث وتهيّب وبعد تشجيع بعض الاصدقاء ، وهكذا أخرج مذكراته التاريخية بعنوان (البحث عن السلام والصراع في الشرق الأوسط) وبهذا حاز - المصداقية - و - الحياد - في كتابة المذكرات والتاريخ .

أما بالنسبة لمذكراتي المتواضعة هذه فلا بدّ من القول بأني وأمثالي من الاشخاص الاعتياديين ، ومن المحسوبين عل رجال التربية والتعليم والصحافة والاعلام ، وقد تبوّأنا مناصب ومواقع اعتيادية تارة وخطيرة تارة اخرى فتأثرنا بالأحداث والاشخاص و (الحاكمين بأمرهم) والوزارات المتعاقبة والثورات المتلاحقة فكان لبعضنا أدوار ومواقف في بعض الأحداث السياسية والانقلابية عن طريق استثمار الاقلام الحرة لصالح البلاد والعباد ولخدمة المثل والقيم الرفيعة ، وبالنسبة لي فان مذكراتي وذكرياتي هذه بالرغم مما فيها من عجائب وغرائب ومن تساوق مرة وتهافت مرة اخرى فان شفيعي في كل هذا هو ان الانسان ، أي انسان ، هو ابن البيئة التي يحياها طوال حياته أو حيواته المختلفة وان مذكراته قد تتاثر بكل هذا وذاك .

ويبقى شيء واحد هو ان ـ المذكرات ـ تقدّر وتقيّم بمقدار ما فيها من صدق وحقائق ومن غناء روحي وأدبي ونقدي ، ومن خصوبة فكرية وتاريخية ومن تأثير وفاعلية في نفوس ابناء الجيل الجديد والأجيال القابلة ، وفي ـ مذكراتي ـ هذه ، وفي ضوء اعتقادي ، نماذج حية من الافكار التربوية والاجتماعية والصحفية والسياسية ، وقد حاولت بقدر المستطاع أن أكشف عن جذورها واصولها وعن تربتها الاجتماعية والاقتصادية ، عسى أن يجد فيها ابناؤنا وأحفادنا قبساً من نور يضيء أمامهم سبل الحياة ، الى حيث أهداف الامة والغاية التي وجد فيها هذا الانسان بل هذا ـ الكون العجيب ـ بوصفه أثمن رصيد ورأسمال خلقه الله على الأرض .

واعلن في مذكراتي هذه ان لو قدّر لي أن أعود ثانية الى نقطة البداية ، أو ـ خط الشروع ـ في حياتي لما سلكت غير هذا المسلك في النواحي التربوية والسياسية والصحفية مع تصويب بعض المواقف والاخطاء العفوية التي وقعت فيها .. وهي اخطاء مبتسرة ومرتجلة مهما بالغت في تضخيمها وتجسيمها ـ كخصم لذاتي ـ فانها دون مستوى نظرتي وفلسفتي وطبيعة وجودي في الحياة ، والانسان ، أي انسان ، مهما بلغ من العمر والكبر عِتيّا ، فان مسيرته الطويلة هي بطريقها نحو ـ التكامل ـ لا ـ الكمال ـ لان الكمال لله وحده ، وهو المعين للانسان والحيوان ومُعيني ـ والحمد لله ـ على كتابة ونشر هذه المذكرات .

والحمد لله الف الف مرة انه السميع المجيب .

شاكر علي التكريتي
العبد الفقير الى الله
بغداد في ١ / ٥ / ١٩٩٤

الفصل الأول

حـــوار مع التاريـــخ

- مَنْ الطارق على الباب ؟
- أنا - التاريخ - ضيفك هذا الصباح فافتح الباب ..
- أنت واهم فاطرق باباً آخر تجد مَن تريد .
- افتح الباب يا رجل فاني لست واهماً ولست تائهاً .
- تريد مَن ؟ وتقصد مَن ؟
- اريدك - أنت - بالذات .
- ومَن أنا حتى تريدني وتقصدني ؟
- ألستَ - أنت - ذلك الانسان البسيط الذي ولد في تلك - القرية - الصغيرة بين خرير الحقول وورد البقول ورجعية العقول ؟، ألستَ الذي ولد في قرية - الخرجة - في ناحية العلم بتكريت ؟ ألستَ الذي اصبحت بعد هذا معلماً ومربياً وكاتباً صحفياً ورئيس تحرير ، ومدير تحرير بعض الصحف والمجلات ؟ ألستَ الذي دخلت بيت - التربية والتعليم - والمعارف والدعاية والاعلام والصحافة والاذاعة من الباب الواسع المفتوح ، وخرجت منه بعد (٧٠) سنة من الباب الضيق الموصد ؟ فافتح الباب .. فانت المقصود ، وأنت المطلوب .
- أهلًا بك - أيها التاريخ ، تفضل .. وفتح الباب .. وقيل - هيت لك - .

التاريخ : ألستَ - الجندي المجهول - والجندي المعلوم و (ابن الرافدين) و (بغدادي) الذي كتب المئات من المقالات والتعليقات في العهد الملكي البائد ، عندما كان موظفاً على ملاك الدولة لأن قانون انضباط موظفي الدولة يمنعك من الكتابة في السياسة إلا بتواقيع مستعارة كتلك التي ذكرت ؟ بل ألستَ أنت الذي أصبحت تكتب وتنشر بتوقيع - جمهوري - بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ تلك الثورة الرهيبة الحاسمة التي وضعت - الفيصل الكبير - الحاسم بين الملكية والجمهورية ؟ بل ألستَ أنت الجاسوسة الحسناء التي اقتحمت على الرؤساء والوزراء وكبار المسؤولين أبوابهم ومكاتبهم ، حيثما كانوا ، ولو كانوا على بارجة

راسية في ميناء البصرة ، على ظهرها ـ عبدالاله الوصي ـ أو في بروج مشيّدة.
اذن فحدثني عن بعض هذا وذاك أو عن بعض هذا وذاك .
أنا : الحديث أيها التاريخ طويل وطويل جداً تمتد جذوره في الماضي في أعماق عقود طويلة وستقرأ الكثير وتسجل الكثير الكثير منه في ـ مذكراتي ـ التي هي على وشك الصدور والخروج الى النور . فتفضل واشرب فنجان القهوة والى موعد قريب مع المذكرات القابلة ، أليس الصبح بقريب ؟
التاريخ : لا بأس ، ولا مناص من الانتظار ، ويا ما انتظرت الالوف من السنين من أجل ابراز الحقائق التاريخية ، وغسل وجهها من اوساخ الكذابين والمزوّرين والمدّعين المتداعين ومن المطبّلين والمزمّرين .. ولكن ارجوك رجاءً واحداً ، واحداً فقط قبل انصرافي عنك .. هذا الرجاء يتعلق (بالجاسوسة الحسناء) كيف حاولت ذات يوم غوايتي ومراودتي في بعض أحاديثها وتصاريحها على لساني ـ وأنا التاريخ ـ الذي لا أضلّ ولا أزلّ ، فاسأل (الحسناء) لماذا حاولت اغرائي واغوائي ومراودتي ؟
أنا : أيها التاريخ ـ وأنت الحاكم والحكم ـ وأنت الذي لا تغادر كبيرة أو صغيرة ألا أحصيتها وسجلتها في سفر أمين وصادق .
أقول لك بصراحة التاريخ ، بصراحتك أنت ، إن الجاسوسة الحسناء ، في كل لقاءاتها وخلواتها معك ، ما كانت بقادرة على اغوائك واغرائك ، فقد كنت أنت قوياً ومحصناً ، بل أشد قوة من الاغراء .. فلقد هربت من وجهها وكان موقفك منها كموقف (يوسف الصديق) من (امرأة العزيز) بدليل ان (قميصك) كان قُدّ « من دُبرِ وليس من قِبلِ » .
فهل تطمع مني ـ أيها التاريخ ـ باكثر من هذه الصراحة ، والبراءة ؟! وذلك جواباً عن سؤالك الذي يتعلق بالجاسوسة الحسناء ؟
اذن فلا بد من الانتظار بعض الوقت وليدخل الداخلون معك من الباب الواسع والعريض الى حيث بيت المذكرات ، والذكريات . وكفى بك أيها التاريخ شاهداً وناقداً ومحللاً وبصيرا .

شيء من التاريخ عن اسرتي

١ ـ تسمّى اسرتي باسم جدي (آل الحاج حسن) ويطلق على عشيرتي اسم (التكارتة) أو (الشيايشة) . واسرتي تمتهن ـ الزراعة ـ أباً عن جد ، منذ القرن

التاسع عشر في العهد العثماني ، بل أبعد من ذلك بكثير ، وتمتلك اراضي زراعية واسعة في الجانب الايمن من نهر دجلة قبالة محافظة (صلاح الدين) وهي الأراضي التي كان يطلق عليها اسم قرية (الخرجة) ومن ثم ، وبعد ثورة السابع عشر / الثلاثين من تموز سميت ادارياً باسم (ناحية العلم) في الوقت الحاضر .. وكذلك يمتلك مشارات واسعة من تلك الأراضي بعض الاعمام والاخوال والاقارب والمعارف والاصدقاء .

دارنا ـ أي دار والدي علي الحاج حسن ـ في تكريت وكذلك دور اعمامي وأخوالي فضلًا عن دورنا الريفية البسيطة في (الخرجة) والى (حَصَار) كبير ـ بفتح الحاء والصاد ـ نخزن المحصولات الزراعية من الحبوب قبل تسويقها الى العلاوي والاسواق في بغداد .

٢ ـ انتخب ـ والدي ـ أكثر من مرة في العهد العثماني وعندما كانت ـ الانتخابات حرة ـ بكل معاني الكلمة ، رئيساً لبلدية تكريت . كما كان جدي وبعد أن وضعت الحرب العامة الاولى أوزارها ، وسقطت بغداد سنة ١٩١٧ ، وانسحب الجيش العثماني الى حيث الشمال الى تركيا واحتل الجيش البريطاني العراق ، وتشكّلت ـ الادارة البريطانية الاستعمارية ـ في كل مكان ولواء وقضاء ، وعيّن ـ الحكم السياسيون ـ في المدن ـ ومنها تكريت ـ ترك والدي سكناه في تكريت الى حيث يشرف على زراعته في الخرجة ـ القرية الزراعية ـ . لأنه من الصعب عليه جداً أن يعمل مع ـ الادارة الانكليزية ـ بعد ـ الادارة العثمانية ـ وفي ظل ما يسمى بالخلافة الإسلامية ، ذلك لأن ـ الانكليز المستعمرين ـ كانوا يعدون في نظر الجميع ـ وعلى رأسهم والدي ـ كفّاراً لا مسيحيين ..

عندها عرف ـ الانكليز ـ بوساطة عيونهم وجواسيسهم هذه المعلومات فاستدعوا ـ والدي ـ من الخرجة ، وسألوه عن السبب في هجر ـ تكريت ـ ومركزه ـ الرئاسي ـ فيها الى الخرجة . فأجابهم بكل صراحة عن السبب المذكور ، ولكنهم نوروه بحقيقتهم وبدينهم السماوي وانهم يؤمنون بالانبياء والرسل ، وانهم مسيحيون وليسوا ـ كفّاراً ـ وانه ـ أي والدي ـ حر في اقامته وسكنه حيث يشاء ، وان الجنرال ـ مود ـ دخل بغداد والعراق (محرراً) لا فاتحاً ، وان العثمانيين بالرغم من كونهم يعتنقون (الاسلام) قد ظلموا العرب والاسلام في كل مكان من ارجاء ـ خلافتهم ـ وملكهم .. فالجهل متفشٍ والامية طاغية ولا مدارس ولا علوم ولا فنون ، ولا صناعات ولا زراعات ولا مكننة ، صناعية وزراعية بأية حال ، كما لا صحافة ولا عدالة ، وقد جاءوا الى العراق بعد طرد الاتراك ، لتمدين أهله وشعبه وتمكينهم من مواصلة

الثقافة والتقدم والحضارة ، في البداية اقتنع - والدي - على مضض ، بهاتين الصورتين المتناقضتين اللتين رسموهما له ، صورتهم وصورة اعدائهم الذين طردوا من هذه البلاد الى الأبد .. عاد والدي الى تكريت دون أن يتعاون معهم ، شأن أغلبية الرؤساء والوجهاء والشيوخ واشراف تكريت . ولا قيمة لاولئكم - الافراد - أو - النفر الضال - المرتزق من الذين وقعوا في شبكات - التجسس - الانكليزية ، وجعلوا يكتبون - التقارير السرية - ضد المواطنين الاشراف لقاء ثمن بخس من روبيات معدودات ، وكم لهؤلاء - القردة الخاسئين - الجواسيس من أمثال وأمثال في سائر المدن والعشائر العراقية .

اعتقال عمي دحّام الحاج حسن
وبعض الاشخاص من تكريت وسامراء

وذات يوم جاء (بعض) الانكليز المحتلين من بغداد الى تكريت وقابلوا - والدي - وبعض الوجهاء - التكارتة - ودعوناهم حسب رغبتهم لتناول طعام الغداء في دار العم دحام الحاج حسن والعم دحام أشبه ما يكون - بعمالقة - الجاهلية ، إذ زاده الله بسطة في الجسم - لا بسطة في العلم - حيث كان لا يحسن القراءة والكتابة ، والجهل بالقراءة والكتابة في أواخر العشرينات كأن مألوفاً واعتيادياً ، كما زاده الله هيبة ووقاراً وفروسية وذلاقة لسان وصراحة في القول ، فلا يتأخر عن شتم الانكليز وتفضيل الأتراك عليهم ، وبعد تناول طعام الغداء وشرب القهوة ، لأن الشاي لم يكن شربه معروفاً ومألوفاً في تلك المرحلة ، اعتقلوا العم - دحام - مع بعض الأشخاص الوجهاء من تكريت وسامراء وأركبوهم بالسيارات الى بغداد بطريقهم الى الحلة ومن ثم الى البصرة حيث كانوا ضيوفاً في (الباخرة البريطانية) التي نقلتهم الى الهند مع العديدين من الوجهاء العراقيين الاشراف ، وقد حلّوا في آخر المطاف مدينة - سمربول - الهندية التي تعد احدى قلاع الاستعمار الانكليزي الرهيبة .

كان عمري بعد حادث اعتقال العم دحام الحاج حسن لا يزيد عن سبع سنوات ، لكن تلك - الحادثة - ما تزال عالقة في ذهني وكأنها حدثت اليوم وذلك بسبب صداها العميق الذي انعكس على منطقة تكريت . وبعد أكثر من من سنة وصلت الينا بعض الرسائل من العم دحام يصف فيها مشاهداته في بلاد الهند التي كانت الدرّة السوداء ، المضيئة في التاج البريطاني فيما وراء البحار .

ولان (العم دحام) كان يرعاني رعاية خاصة ـ وأنا يافع ـ ويوصي والدي بادخالي الى (المدرسة) لا (الملا) فقد اثرت في حادثة اعتقاله ونفيه ، وكنت أقرأ رسائله المحفوظة بين أوراق والدي والتي كانت السبب الأول في كرهنا للانكليز نحن أطفال المحلة وصبيانها حينذاك .

فيصل الأول ملكاً على العراق

في سنة ١٩٢٠ وقبل نشوب الثورة العراقية الاولى ضد الانكليز وبعدها كانت وزارة الحرب البريطانية ترى ان من الضروري لاستتباب الوضع العام في العراق ترشيح (فيصل) أحد أنجال الشريف حسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى (ثورة ٩ شعبان) ضد الاتراك ، ملكاً على العراق من أجل تثبيت الاستقرار والأمن فيه .. وقد برّرت وزارة الحرب البريطانية ترشيح ـ فيصل ـ دون غيره من أنجال الحسين بكونه (يتمتع باطلاع واسع على الذهنية والاساليب البريطانية وادارة الحكم وكونه معادياً للشيوعية بعد أن تفجرت ثورة اكتوبر في روسيا سنة ١٩١٧ م) .

جاء ـ فيصل ـ الى العراق وتوج ملكاً في آب ١٩٢٣ وقام بجولات وزيارات لكل انحاء العراق وفي زيارته الى الموصل جرى استقبال رائع له في محطة قطار تكريت حيث نصبت السرادق ، وتوجه رؤساء تكريت الى المحطة لاستقبال الملك فيصل الأول ، وكنت قد رافقت ـ والدي ـ وأنا يافع الى المحطة مع أخي الكبير ـ عبدالعزيز علي ـ وقد رأيت ـ فيصل ـ الملك لأول مرة بلباسه العربي ، وبالعقال والكوفية ووزعت علينا انواع ـ الحلوى ـ وعلب ـ البسكويت ـ .

دخولي المدرسة الابتدائية

دخلت الصف الأول الابتدائي وعمري لا يتجاوز الـ (٩) سنوات ، ويومها كنت أصغر طالب في المدرسة وكان مدير مدرستنا ـ جمال الدين الآلوسي ـ ومعلمونا عبدالرزاق الخطيب وداود يحيى ونورالدين الرفاعي ومحمود الآلوسي وياسين هلال ،

وهم من ـ اعلام ـ المعلمين في تلك المرحلة والمؤسسون الاوائل لمدرسة تكريت .

كنت متميزاً في دروس الرياضيات واللغة العربية ، واللغة الانكليزية ، وكانت ادارة المدرسة تكرمني مع الطلاب الآخرين المتميزين ، بين الهتافات والتصفيق الحاد وذلك باهدائنا المساطر والدفاتر والاقلام الملونة والمحابر ..

وعندما صدر قرار وزارة المعارف ـ أي وزارة التربية سنة ١٩٢٧ باجراء امتحانات ـ البكلوريا ـ على طلاب الصف السادس الابتدائي في كل العراق ، لاول مرة شاركت في الامتحان العام مع زملائي في بغداد التي لم أرها قبل ذلك لأن السفر من تكريت الى بغداد ـ يومها ـ كان من الاماني ومن نصيب الكبار وحدهم

الدخول في دار المعلمين

لقد كتب لي النجاح في الامتحانات ـ البكالوريا ـ فسافرت الى بغداد مع زميل لي وقريب هو (ناجي عبدالباقي) حيث كنا بمعية ورعاية شقيقه الكبير (محمد صالح عبدالباقي) ، وذلك لاستكمال اوراق القبول والدخول في دار المعلمين ، وقد حللنا اسبوعاً واحداً في دار الوجيه (الحاج شريف محمد الجعفري) ، كما حللنا اسبوعاً آخر في دار رئيس كتّاب المحاكم (خليفة الحاج مهدي) والد الدكتور (سعدون خليفة) عضو المجلس الوطني في الوقت الحاضر .

جدير بالذكر ان والديَّ (ابي وامي) كانا من المعارضين لدخولي دار المعلمين في بغداد ذلك لأن عواطف الابوة والامومة يومذاك تحول دون فراق الولد اربع سنوات دراسية في دار المعلمين في بغداد ، فضلًا عن عامل الامية التي كان العراق غارقاً في بحرها حد الاذقان .

وأخيراً دخلت دار المعلمين سنة ١٩٢٧ وبدأت حياة جديدة في بغداد . وسأعود الى وصف حياتي الجديدة هذه بعد أن اسلط الاضواء على ذاتي ، وأنا طفل فصبي فيافع في تكريت وناحية العلم .

ولادتي وطفولتي ويفاعتي وشبابي

أ ـ كنت واحداً من خمسة اشقاء وشقيقتين وهم ابراهيم العلي وصفيّة العلي

وعمر العلي وفرحة العلي وعبدالعزيز العلي وشاكر العلي وحسن العلي ، وقد ولدت في الخرجة الواحة الخضراء ذات الظل والماء ، وذات التين والزيتون وترعرعت في تكريت الام وتنقلت بين مسقط الرأس وتكريت ، فكل شيء في تكريت يوحي بالبساطة والاصالة وبالخبر والاثر ، فهي تقع على نهر دجلة الخالد الذي عايشه الاباطرة والاكاسرة غزاة محتلين وواكبه الخلفاء والملوك والولاة يزهون في مجدهم وقوتهم ، بحيث سجلوا انصع الصفحات في تاريخ هذه البلاد .. وعن يسار ـ دجلة ـ وأنت تتطلع الى الشمال وترنو للافق البعيد ، تجثم حصون تكريت ، هضابها وجبالها وقلاعها الشم التي تثير فيك الاحساس العميق بفخامة المدينة وعزها التليد .. عن يمين دجلة تسحرك السهول الحبيبة الخصيبة ، ذات الزرع والضرع ، وذات الأثمار والاشجار ، وذات التاريخ العريق والحِكَم المأثورة والكلِم الطيب .. ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكلها كل حين .

في طفولتي كنت شديد البكاء الى درجة لا توصف ولكن في ـ داخل البيت ـ ، ومع ذلك فقد كنت ملمّاً بكل ما في البيت من كبيرة وصغيرة ومن أثاث وفراش ومن طعام وشراب ومن جوز ولوز وتين ومن أدوات ولوازم ومفاتيح ، وقد كانت ـ والدتي ـ تسألني ، حتى في حالة بكائي ، عن كل شيء ضائع ومفقود فارشدها اليه وآتيها به ومن ثم أعود ثانية الى البكاء والنواح ، وكان الجميع ـ والداي واخوتي واختاي ـ يتضايقون كلهم من شدة بكائي ومن دون ما سبب ، وقد غالبت في هذه الظاهرة النفسية الشاذة الكثيرين من الاطفال ـ البكائيين ـ والعابثين ، بمن فيهم الدكتور (طه حسين) عندما كان طفلًا ، إذ هو يشير في كتابه (الأيام) الى ان والديه كانا يتضايقان من عبثه وبكائه فيأخذه والده الى زاوية من زوايا الدار فيحجزه فيها ويضعه ـ كما يوضع الشيء ـ لا الانسان على حد وصفه ، ولأن افراد عائلتي لا يحتملون بكائي وزعلي على الدنيا كلها ، فقد كنت ـ الوحيد ـ الذي ارافق والدتي في كل زياراتها لاخوانها واخواتها شريطة أن لا أبكي مطلقاً باعتبار البكاء عيباً من عيوب الزيارة فكنت أتقبّل الشرط لأفوز بمرافقتها وحدي ، ويقدم لي مقابل ذلك الالتزام الحلوى والجوز والتين .

احداث صغيرة .. لها دلالات كبيرة

بعد أن وضعت الحرب العامة الاولى اوزارها سنة ١٩١٨ وانسحب الجيش

العثماني الى الشمال وتركت الحرب ـ في بعض الميادين ـ بعض المخلفات العسكرية والاسلحة والقنابل غير المتفجرة خارج تكريت أو في البرّية بتشديد الراء كما يسميها أهل تكريت وكان الاطفال والصبيان ـ وكالعادة ـ يلعبون ويتنزهون ويتسابقون في (البرية) وفي الهواء الطلق . كما يمارسون انواع الالعاب والركض وقطع المسافات وفي ذات عصر (والعصر ان الانسان لفي خسر) كان الصبيان يلعبون ويتفرجون ، ويعبثون ببعض تلك الاسلحة والقنابل الفاسدة المسمّاة (داناً) وما هي إلا أن تنفجر قنبلة قديمة (دانة) فكان من قتلاها وضحاياها من الصبيان والفتيان ما لا يقل عن (٢٨) قتيلًا وجريحاً . منهم اثنان من اولاد ـ عمتي ـ التقية الورعة المعروفة بصلواتها ودعاءاتها وتسابيحها اناء الليل واطراف النهار وهي (علية الحاج حسن) .

ومن هنا كانت المأساة الكبرى في كل تكريت البلد الصغير الأمين وانتشرت المناحات واقيمت الفواتح في البيوت والمجالس كافة يومها وفي ذلك العصر الخاسر الكافر ، كنت وبعض الأطفال والصبيان نلعب في ـ المحلة ـ حيث امتلأت بالعويل والبكاء وتعالت الآهات والصراخات الى عنان السماء ، وقد شاهدت ـ مع رفاقي الاطفال ـ اشلاء الضحايا المتناثرة تحمل على البسط الحمراء من محل الحادث الى حيث بيوتهم وصرخات (الله أكبر) تدوي من افواه وحناجر الرجال والنساء ، وقد اطلق على الحادث ـ حادثة الدانة ـ أي القنبلة التي تفجرت وأصبحت تاريخاً مأساوياً يتذكره ـ أهل تكريت ـ عن بكرة ابيهم . وبالنسبة لي فقد مر على هذا الحادث أكثر من (٧٥) سنة وما أزال أتذكر وأتصور ذلك المشهد الرهيب الذي شاهدته في المحلة ، وكأنه أمام عيني الآن ..!!

وعندما حدثت جريمة (العامرية) جريمة العصر في العدوان الثلاثيني على العراق بسبب الصواريخ ـ الامريكية ـ المجرمة سرعان ما استذكرت حادثة ـ القنبلة ـ أو (الدانة) القديمة التي تفجّرت في تكريت بكل تفاصيلها ودقائقها وبكل ويلاتها وصرخاتها .. ومن هنا كان كرهي المبكر للحروب والسلاح وحبي المبكر للسلام .

رصاصة تفجرت في وجهي

وأنا طفل صغير وفي بيت من (الشعَر) بفتح العين لا ببت من الشعر بتسكين

العين ، وفي قرية الخرجة مسقط رأسي ، وبين ثغاء الاغنام ونباح الكلاب ، كانت ـ والدتي ـ تشرف بذاتها ـ وكالعادة ـ على الحالبات اللواتي يحلبن الاغنام فكنت وحدي افتش هنا وهناك ، وفي كل زاوية من زوايا البيت (الحرم) وفي الديوان (الربعة) بتسكين الباء عن كل شيء في البيت ، وقد عثرت ـ مصادفة ـ على رصاصة مسدس فحاولت أن أجرب مفعولها وأنا على موقد النار ، والفصل شتاء . وقد سقطت الرصاصة من يدي في داخل الموقد الملتهب ، فأخذت بعود طويل وجعلت افتش عن ـ الرصاصة ـ الساقطة من يدي لكي اخرجها من الموقد ، وما هي إلا أن تنفجر الرصاصة وتثير الرماد والجمر في وجهي فصرخت وخرجت الى أمي أستغيثها حيث عادت من مراح الاغنام فوجدتني مذعوراً محروق وجهي أو شبه محروق وأسرعت في اسعافي وانقاذي يساعدها بعض الفلاحات والحالبات ، وكتبت لي الحياة من جديد وباعجوبة ، ان حادثة الرصاصة المتفجرة هذه كان لها الأثر العميق والخطير في نفسي وكرهت حمل السلاح الذي تعوّد اخوتي الكبار على حمله منذ الصغر ، بحكم البيئة الريفية المكشوفة في الليل والنهار ، بل كانوا يتبارون ويتباهون في حمل السلاح وركوب الخيول الاصيلة ودخولهم ميادين السباق والمباريات بعض المواسم ، شأنهم في هذا شأن كل (الاعراب) الذين يعيشون في القرى والارياف والبوادي وفي اجواء سافرة ومكشوفة تفتقر الى الأمن والاستقرار والسلامة الجماعية والطمأنينة ، تماماً ، كما هو الحال الآن .

تعلم الخط والنط والسبح بالشط

هذه المقولة المأثورة كان يرددها القدامى من آبائنا وأجدادنا . والمقصود ـ بالخط ـ تعلم القراءة والكتابة ، و (بالنط) ركوب الخيل وما عداها من الحيوانات كالبغال والحمير ، و (بالسبح بالشط) أي المهارة في السباحة .. وبحكم البيئة المائية التي كنت أعيشها في تكريت والخرجة فقد كنت من السباحين الماهرين لأني أتمتع بنفَس طويل قد يمتد الى أكثر من دقيقتين وأنا غاطس تحت سطح الماء ، وياما كنا نتبارى ـ ونحن صبيان ـ في أيّنا أطول نفَساً في داخل الماء . كما كنت وبعض الاصدقاء المعدودين نقطع النهر من ضفة الى اخرى في سرعة قياسية ، وأما بالنسبة لركوب الخيل فقد كان اخوتي الكبار يتنقلون على ظهور خيولهم من تكريت الى المزرعة في الخرجة وبالعكس ، وكنت أركب وراءهم رديفاً ، إذ كانت هي البداية

في تدريبي على ركوب الخيل ، وقد تدربت فعلًا وفي مناسبات كثيرة ، ومع كل هذا فلم أكن من فرسان (الليل والخيل) ولم أمتط الفرس إلا على طريقة (مُكرهٌ أخاك لا بطل) .

وأما تعلم الخط فكانت البداية في دخولي المدرسة الابتدائية في تكريت حيث اني لم أدخل (الكتاتيب) ، أي دور الملالي ، كما كانت هي العادة في تكريت وفي كل العراق في تلك المرحلة المتأخرة ثقافياً واجتماعياً ومدرسياً ، إذ كانت المدارس مفقودة ومحدودة في جميع البلاد وكانت ورقة (الملالي) هي الرابحة والسائدة حينذاك . ومعنى هذا اني لم أتعرّف ولم أتشرّف (بالملالي) الشداد والغلاظ والقساة ، وكنت ـ والحمد لله ـ في مأمن ومنجى من هراواتهم وعصيهم الغليظة ومن أعواد (الفلقة) الرهيبة كما تعرّف عليها الآخرون من الزملاء الذين دخلوا الصف الأول الابتدائي وأعمارهم لا تقل عن (١٢) أو (١٥) سنة .

وهنا لا أظلم نفسي فقد تعلمت (الخط) على خير ما يرام بشهادة كل زملائي واساتذتي .ذلك لأن كتباً دراسية مقررة في ـ العشرينات ـ ما كانت موجودة بالمرة وكان المعلمون يملون علينا الدروس املاءً ونحن نكتبها في الدفاتر .. وما ظنّك يا قارىء هذه المذكرات بتلميذ مثلي تسقط على دفتره المكتوب قطرة حبر واحدة على صفحة واحدة فيعتكف يوم الجمعة ـ وهو يوم العطلة ـ في داره من الصباح الى المساء لكي يعيد كتابة الدفتر من جديد خشية من غضب ـ المعلم ـ عليه ؟ أليس في هذه العملية الشاقة الطويلة تدريب لليد على حسن الخط والكتابة ورغبة مفرطة في تعلم القراءة والكتابة وبالتالي احتلال موقع الصدارة في الصف وبين الطلاب ؟ لا أقول هذا من باب ـ الامتداح ـ بل من باب ـ الرثاء ـ على طالب يجهد نفسه هذا الجهد الشاق لانه لا يتقبل ولا يتحمل أربع صفعات على الرأس من جانب المعلم ، فضلًا على عدة ضربات على اليدين بالعصا أو المسطرة في الأقل .

عودة الى دار المعلمين وبغداد

كانت دار المعلمين الابتدائية في بغداد ـ وهي الدار الوحيدة في كل العراق ـ في جانب الكرخ ، وتطل على نهر دجلة الخالد ، وكنا نعيش ـ نحن الطلبة ـ في القسم الداخلي الذي يقابلها مباشرة ، وكان مدير القسم الداخلي المربي المعروف

عزيز سامي ـ أبو صميم ـ وقد تعلّمنا منه أشياء وأشياء كثيرة كانت السبب في نجاحنا في حياتنا العملية والتعليمية فيما بعد .. لقد علّمنا ماهية النظام وكيفية التنظيم وسلوك الطالب الداخلي ، كما علّمنا آداب المائدة وطريقة الاكل بالملعقة والشوكة والسكين تلك الطريقة التي كنا نجهلها في دورنا ومدننا ، كما علّمنا نوعية الاحاديث الهادئة المناسبة التي تحكى على المائدة وتلك التي لا تحكى مع ضرورة خفض الاصوات كما تعودنا على تناول الفطور والغداء والعشاء في الساعات المحددة وعلى مطالعة الدروس في مواعيدها المقررة وعلى النوم في الساعة العاشرة مساءً حيث نستيقظ في الصباح الباكر .. كما تعلّمنا من مديري الاقسام الداخلية

كيف نراقب ـ المطبخ الداخلي ـ ونوعية الطعام والشراب وكيف نبدي آراءنا في جودة الأكل أو رداءته ومراقبة ـ الطباخين ـ و ـ المتعهدين ـ من هذه الناحية .. وكنا نتحرر من الدوام الرسمي المسائي ليلة واحدة هي ـ ليلة الجمعة ـ على أن نعود الى الدار في مدة أقصاها الساعة الحادية عشرة . والويل كل الويل لمن يخالف الموعد فلا يلتزم .

دار معلمين واحدة .. وثانوية واحدة
ما الطائفية ؟ وما العنصرية ؟

في آخر العشرينات لم تكن في العراق كل العراق إلا دار معلمين واحدة وثانوية مركزية واحدة وكلتاهما في بغداد طبعاً .. وقد اختير لهما المدرسون والمعلمون المتميزون من العراقيين والأساتذة العرب بموجب ـ عقود ـ خاصة بسبب الحاجة اليهم وبوصفهم همزة الوصل والتقارب والتعاطف بين الاقطار العربية كافة ، وهي في بداية النهوض الثقافي والسياسي والتحرري بوجه عام .

وذات صباح وقع نظري على اعلان معلق في ـ لوحة الاعلانات ـ جاء فيه : (ان الطالب فلان .... في الصف الثالث قد طرد طرداً مؤيداً من الدار لأنه طائفي ، وقد وافق مجلس المدرسين على ذلك ...) ولم نكن ـ نحن الطلبة ـ الناسلون من الخارج ومن كل حدب وصوب ندرك أو نتفهّم معنى (طائفي) أو (الطائفية) وفي درس الواجبات والاخلاق والدين سالت استاذي ـ صادق الملائكة ـ أبا نزار ، والشاعرة

المعروفة ـ نازك الملائكة ـ عما جاء في ذلك الاعلان وعن كلمتي الطائفي والطائفية ؟

فأجاب بما ياتي .. يا ابنائي ان (الطائفية) ضد الدين الاسلامي الحنيف وضد الشريعة الاسلامية والروح الاسلامية وان المذاهب الاسلامية مهما اختلفت في الآراء والاجتهادات فانها تصب في القنوات الاسلامية الواسعة . وان الطائفي هو ذاك الذي يتحيز ـ عن جهل أو قصد ـ ليفرّق بين المذاهب وبالتالي بين الامة الاسلامية الواحدة .

وفي يوم تالٍ سألت ذات السؤال المذكور لاستاذ اللغة العربية (ناجي القشطيني) الشاعر الرقيق (ابو سعدون) فكان جوابه مطابقاً تماماً لجواب الاستاذ ـ صادق الملائكة ـ ، ولكنه أضاف لجوابه شيئاً آخر .. وهو ان الاستعمار يشجع على إثارة النعرات الطائفية في الوطن الواحد لتفريق الكلمة والصفوف وبخاصة بعد ثورة العشرين ضد الانكليز حيث ظهر العراق على المسرح العام بمظهر الشعب الواحد في الوسط والجنوب والشمال .. وفي يوم ثالث سألت ذات السؤال (درويش المقدادي) فلسطيني الجنسية واستاذ التاريخ في دار المعلمين والثانوية فأسهب في اخطار ـ الطائفية ـ وكذلك ـ الاقليمية ـ لفك عُرى الوحدة العربية المنشودة وطمس معالم الثورة العربية الكبرى التي قادها ـ شريف مكة ـ و « المنقذ الاعظم » حسين بن علي وذلك سنة ١٩١٦ وضد العثمانيين ـ العنصريين ـ الذين كانوا يحاربون (الثورة العربية) باسم الدين الاسلامي والدين براء من اكاذيبهم واخاديعهم وان أنس فلا أنسى حماسة (درويش المقدادي) وهدير صوته المدوّي واسلوبه الخطابي البليغ وما يقوله عن (الطائفية) و (الاقليمية) اللتين يشجعهما أعداء العروبة والاسلام وكذلك عن (العنصرية) فهي الثالثة الاخرى التي يشجعها الاستعمار والشعوبيون والدخلاء هؤلاء الذين لا يسرهم بل يؤلمهم ويؤرقهم أن يروا الشعب العراقي بعربه واكراده كتلة واحدة على المسرح السياسي والوطني وهو يناهض الاحتلال الاجنبي الغاصب وأن يرى ـ في سبيل المثال ـ ملا محمد في تلك المرحلة وهو نائب اربيل وغيره ممن يقفون ضد المعاهدة العراقية ـ البريطانية الجائرة ويصطفون مع المعارضة الوطنية بكل قوة وأمانة واخلاص . ويواكبون ـ قضية فلسطين ـ منذ اعلان (وعد بلفور) ١٩١٧م ، اذن فعندما تموت ـ الطائفية ـ والعنصرية والاقليمية في الوطن الواحد يموت الاستعمار والفئات العميلة الدخيلة وتتحقق الاهداف الوطنية في الحرية والسيادة والاستقلال .

دور الطلبة في تاجيج المظاهرات الوطنية

وكان الطلاب في دار المعلمين والثانوية المركزية يقودون ـ المظاهرات الوطنية والقومية ـ جنباً الى جنب مع ـ المعارضة السياسية ـ بل كانوا هم القوة الدافعة المحركة والمحرضة من وراء القادة المعارضين والزعماء السياسيين . وقد شاركت في جميع تلك المظاهرات خلال اربع سنوات ، وهي سني دراستي في دار المعلمين ولا اختيار مطلقاً لاي طالب لا يرغب في المشاركة بوصفها هي وليس غيرها ـ مقياس الوطنية ـ والدليل الأقوى على مكافحة الاحتلال البريطاني وعملائه وجواسيسه .

اضخم مظاهرة وطنية شاهدتها

ولعل أضخم المظاهرات التي شاهدتها وشاركت فيها هي تلك المظاهرة الحاشدة الضخمة والتي شارك فيها المواطنون مع الطلبة وذلك عندما اذيع بين الأوساط العامة ومن خلال بعض الصحف والبرقيات الخارجية . ان الزعيم الصهيوني (الفريد موند) سيأتي الى بغداد للاتصال بحكومة العراق ، وبعض الشخصيات اليهودية البارزة حينذاك .. فقد تجمع عصر يوم ٨ / ٥ / ١٩٢٨ في شارع الرشيد الالوف من المتظاهرين حيث عبروا جسر (مود) أي جسر الاحرار اليوم الى حيث طريق الشام لمجابهة ذلك الصهيوني ومستقبليه ودفعه من حيث أتى ، فكان ما كان من الهتافات بسقوط ـ النظام القائم ـ والتنديد بالصهيونية العالمية وبالانكليز المحتلين ، وقد تدخلت الشرطة لتفريق ـ المظاهرة ـ الصاخبة بفتح خراطيم المياه على ـ المتظاهرين ـ والتلويح بالعصي والسلاح وتحرك ـ خيول الشرطة ـ بسرعة على الطريق العام ولكن المتظاهرين كانوا أقوى من اجراءات الشرطة ، فلم يتراجعوا ولم يتفرقوا بالرغم من حلول المساء . الأمر الذي حمّل الحكومة على تبديل الطريق لموكب الصهيوني (الفريد موند) الى حيث طريق الكاظمية .. وقد كان لتلك المظاهرة التاريخية النادرة في تاريخ المظاهرات الانعكاس العميق البليغ على السلطة الحاكمة والانكليز وعلى شحن روح التحدي والعنفوان والكبرياء القومي في نفوس الطلبة وابناء الشعب كافة والرأي العام بوجه عام .

وبعد أن هدأت تلك ـ العاصفة ـ الوطنية الثورية طرد بعض الطلاب من اخواننا في دار المعلمين والثانوية وكلية الحقوق .. وقد طرد من اصدقائي في دار المعلمين : مزاحم ماهر / شقيق الشاعر المناضل المعروف ـ نعمان ماهر الكنعاني ـ ، وكذلك سعيد عباس السامرائي وصالح عبدالوهاب وعبدالوهاب الخطيب وعبدالحافظ ابراهيم ـ من ابي الخصيب ـ وهو الشاعر الرقيق الثائر الذي ودّعنا ـ في حفلة التوديع ـ بقصيدة مؤثرة كان مطلعها هذان البيتان :

يـــــا معهـــــداً فيـــــه قضيت ثـــــلاثـــــةً
مـــــا بين اخـــــواني وبين صحـــــابي

قلبي يـــــودع والفـــــراق معـــــذب
أهـــــل الصفـــــا في جيئـــــةٍ وإيـــــابِ

وقد نقشنا هذين البيتين المؤثرين على جدران الدار ـ دار المعلمين ـ للذكرى والتذكير وتكريماً لكل طالب مناضل .. وخير من وصف تلك المظاهرات هو الصديق الكبير الاستاذ حسين جميل في كتابه (العراق شهادة سياسية من ١٩٠٨ الى ١٩٣٠) .

حادث انتحار عبدالمحسن السعدون

أما الحادث الخطير الثاني الذي كان له أثره وخطره على افكاري ومشاعري وتوجهاتي في حياتي الدراسية والسياسية والوطنية فهو انتحار عبدالمحسن السعدون رئيس وزراء العراق ، وقد ترك وصية تاريخية لولده ـ علي ـ جاء فيها (الامة تطلب الخدمة والانكليز لا يوافقون . يعتبرونني خائن الوطن وخادم الانكليز . الا ، ما أعظم هذه المصيبة عليَّ) .

لقد كانت هذه الكلمات المعبرة والمؤثرة في تلك الوصية التاريخية الخالدة وانعكاساتها على أفكارنا ـ نحن الطلاب ـ في سياسة (عبدالمحسن السعدون) وفي مدى معاناته السياسية واخلاصه لوطنه الحبيب وشعبه الاصيل .. فقد كان الانكليز يتدخلون في كل كبيرة وصغيرة ولا سيما في القضايا المالية والادارية والسياسية وفي تعيين المستشارين بحيث لا يستطيع وزراء الدولة الخروج على ارادتهم الاجنبية كل تلك الاعوام الطويلة أو الدعوة الى دخول العراق عصبة الامم ١٩٣٢ م . ومن هنا فقد استمر الشعب وكل شرائحه الاجتماعية ، والطلاب أضخم

الشرائح فيه على مواصلة المظاهرات والاحتجاجات في كل المناسبات وبلغت الذروة بعد انتحار السعدون .. وهكذا كان الطلاب وسائر الشباب يلهبون الشارع حماساً وهتافاً بسقوط كل الحكومات العميلة للانكليز والعودة الى الثورة وحمل السلاح وكتابة ـ الفصل الثاني ـ من ثورة العشرين بالدماء الطاهرة الزكية لان ثورة العشرين هذه قد علّمت الانكليز دروساً لا تنسى وكانت هوسة (الطوب أحسن لو مكواري) التي كنا نرددها في دار المعلمين وفي المظاهرات من الهوسات المشهورة الشعبية التي دوّنها المؤرخون والكتّاب العراقيون والعرب والاجانب في مذكراتهم وكتبهم .

× × ×

هذان الحدثان الخطيران التاريخيان : انتحار السعدون ومواجهة (الصهيوني الفريد موند) في بغداد ، كان لهما الأثر الكبير على نفوسنا وأفكارنا ـ نحن الطلاب ـ وعلى تربيتنا الوطنية والقومية . وقد أغنتنا عن قراءة العشرات من الكتب والاسفار في هذه المجالات .. وكان اساتذتي في التاريخ من أمثال هاشم الالوسي وعبدالرزاق لطفي ودرويش المقدادي يتخذون من تلك الأحداث السياسية والوطنية دروساً وعبراً يشرحونها لنا في الصف ويحثّوننا على تعميقها في نفوس الطلبة عندما نتخرّج في دار المعلمين ونصبح على ملاك المعلمين بحيث نؤدي رسالتنا المقدسة في التاريخ الوطني والتحرري على الوجه المطلوب .

تخرجي في دار المعلمين

تخرّجت في دار المعلمين في صيف سنة ١٩٣٠ وقد طلبني ـ معلمي الأول ـ جمال الدين الالوسي الذي كان ما يزال مدير مدرسة تكريت معلماً عنده في المدرسة المذكورة .. طلبني من مدير المعارف العام ـ يوسف عزالدين الناصري ـ وقد صدر أمر تعييني فيها ، مع زميل آخر هو (محيي الدين الكميت الناصري) .

كنا ـ كلانا ـ يومها ، ولا فخر من المعلمين المتفتحين ، وقد حاولنا مع الادارة والهيأة التعليمية أن نطفر بمستوى ـ المدرسة ـ طفرات نوعية ، وأن نشعر الطلاب وأولياءهم بالفارق الكبير بين المدرسة الحديثة وبين (مكاتب الملالي) من حيث تطبيق طرق واصول ـ التربية ـ الحديثة وعلم النفس ، ومن حيث المواد والدروس

والتعامل مع الطلاب . وهكذا كنا ديمقراطيين حقاً في علاقاتنا معهم وفي تقديم الارشادات والتوجيهات في داخل الصف وخارجه وفي داخل المدرسة وخارجها في المجتمع بوجه عام .. وذلك في الوقت الذي لا نتساهل فيه بقضايا الضبط وتطبيق النظام والتعليمات المدرسية الصادرة عن ادارة المدرسة والهيأة التدريسية أو عن وزارة المعارف أو جهة التفتيش والاشراف والتوجيه ، وأهم ما كنا نركز عليه ـ من الناحية النوعية ـ هو الاهتمام ببث الروح الرياضية والكشفية في نفوس الطلبة والتي تكاد تكون مفقودة وغير معروفة قبل ١٩٣٠ م كذلك القيام بسفرات وزيارات كشفية دورية الى الاماكن القريبة من تكريت مثل سامراء والدور وبيجي مع زيارة الاضرحة والعتبات المقدسة ، وكذلك اختيار الاناشيد والمحفوظات والهتافات التي تتجاوب وتلك المرحلة التي نعيشها في ـ الثلاثينات ـ وهي المرحلة التي ظهرت فيها بوادر القومية العربية في العراق وفي الشرق العربي من خلال اناشيد القوة والمجد والبعث الجديد وذلك من أجل بعث ـ الامة العربية ـ من مرقدها بعد عصور الغفلة والتأخر والامية التي عاشتها بعد العصور الذهبية التي اصبحت في ذمة التاريخ ، فضلًا عن ذلك فقد أصبح العالم يتهيأ لحرب جديدة ضروس وهي الحرب العامة الثانية التي فجّرها ـ هتلر ـ و ـ موسوليني ـ واضرابهما من ـ قادة ـ الجبروت والطغيان ، وفي بريطانيا وفرنسا ، الدولتين اللتين رسمتا خريطة العالم الجديد وفق المصالح والاهواء ، وأنشأتا عصبة الامم المتحدة ، التي لا تخرج في قراراتها عن الخطط الاستعمارية .

أما روح النازية فلم تنعكس على العراق رغم ان بعض المسؤولين حاولوا عكس روح النازية يومذاك على توجيهات وزارة المعارف ومناهجها في مدارسها الابتدائية والمتوسطة والثانوية وليس عجيباً أن يفشلوا في ذلك وأن لا تتاثر بهذه الروح امة مغلوبة على أمرها ومحتلة من قبل الانكليز ولكنها تؤمن باسلوب القوة والنهوض بوصفه الاسلوب الوحيد لصفع الأعداء المحتلين وطردهم من البلاد . ولهذا فقد جيء بالدكتور (سامي شوكت) مديراً عاماً لوزارة المعارف ـ وهو شقيق ناجي شوكت ـ لبعث روح الفروسية والكشفية في طلاب العراق وظهورهم بالبدلات العسكرية والاندفاع في تدريبهم وفق منهاج مخطط ومرسوم ومقرر من قبل الوزارة ومجلس الوزراء ، وكان (ياسين الهاشمي) ـ رئيس وزراء ١٩٣٥ ـ هو أكثر من غيره رغبة في ميدان الفروسية والكشفية والجهاد لانتزاع حقوق العراق والعرب المغتصبة بحيث اطلق عليه في تلك المرحلة اسم (بسمارك العرب) .

محاضرة (سامي شوكت) التاريخية

ذلك وصف عابر للحالة العامة التي كان يعيشها العراق في مدارسه ومعاهده الرسمية وفي مجالسه وندواته الشعبية وفي توجهه الجديد ثقافياً وسياسياً وعسكرياً ، وأذكر جيداً ـ في سبيل المثال ـ ان الدكتور (سامي شوكت) قد القى محاضرة تاريخية مهمة في قاعة (الثانوية المركزية) وكان من حسن الحظ والمصادفة ـ وأنا معلم ـ أن أحضر تلك المحاضرة أو الخطبة مع ذلك الحشد الهائل من رجال التربية والتعليم وافواج المثقفين .

وكان الهدف المرسوم لتلك المحاضرة هو توجيه ابناء الشعب ممثلًا في مثقفيه ومعلميه ومدرسيه لمواكبة التيار العالمي الجديد والقدرة على مواجهة الصراع الرهيب بين (النازية) و (الديمقراطية) ان صحّ هذا التعبير . ولقد تأثرت بتلك ـ الخطبة ـ وكنت أقرب الى الاعجاب بها من نقدها والتعليق عليها ذلك لأن الخطيب كان يضرب على أوتار قوة الحق بقوة وعلى ضرورة بعث أمجادنا الوطنية والقومية في هذا العالم الذي قد يشهد حرباً عواناً لا مثيل لها في التاريخ ولا مكان فيها للضعفاء من دون الاقوياء ، ولكن سرعان ما بدّلت رأيي في تلك الخطبة وذاك الخطيب عندما قال : (واني انتظر ذلك اليوم الذي سوف تحرق فيه كتب ومؤلفات ابن خلدون) .. ذلك لأن الخطيب (سامي شوكت) قد عدّ ابن خلدون من (الشعوبيين) الذين حطّوا من فكر العرب ونالوا من مجدهم وعزتهم ومن القومية العربية .. وما درى (شوكت) ان الشعوبيين أنفسهم هم الذين وجهوا مثل هذه ـ التهمة ـ لابن خلدون للشك والطعن في أول وأعظم فيلسوف عربي اجتماعي وأغرب ما هنالك ، هو اني قد كنت أقرأ في تلك الأيام ـ أيام القاء المحاضرة ـ مقدمة ابن خلدون في علم الاجتماع بتوجيه من استاذي (درويش المقدادي) ـ فلسطيني الجنسية ـ . وقد جاء في تلك (الخطبة الثورية) لسامي شوكت ان على الشباب أن يتعلموا ويحذقوا ـ صناعة الموت ـ وأذكر ان جريدة ـ الاهالي ـ وهي التي كانت تبشّر بالمبادىء الديمقراطية قد انبرت للرد على تلك الخطبة بمقالة افتتاحية وجهتها الى الدكتور (سامي شوكت) كان عنوانها (الطبيب الجاهل هو الذي يحذق صناعة الموت) .

مسرح للتمثيل في مدرسة تكريت

فضلًا عن الروح الكشفية والفروسية التي أدخلناها في مدرسة تكريت وغذّينا

بها نفوس الطلاب ، فقد أنشأنا لأول مرة - ولا أقول أنشأت - مسرحاً للتمثيل على غرار ما شاهدناه وتعلمناه في دار المعلمين عندما كنا من طلابها .. وأول رواية أو تمثيلية كنت اخترتها لكي تمثل على المسرح الجديد والفريد من نوعه هي تمثيلية (الجندي الباسل) لمؤلفها (جميل قفطان) ، غير ان مشكلة واجهتنا لدور (الفتاة) وقد استعرضنا اسماء بعض الطلاب اللائقين لتمثيل هذا الدور (البطولي) النسائي فلم يجرؤ أحد على ذلك ، إذ كيف يجرؤ الطالب ، أي طالب ، على تمثيل دور فتاة في محيط رجعي أمّي مثل محيط تكريت يومذاك ؟ واذا ما قبل الطالب بتمثيل مثل هذا الدور فكيف ينجو من غضب امه وابيه وعائلته التي تؤويه ؟ وكيف يكون موقفه من اخوانه وزملائه ؟ تلكم التساؤلات في تلك - المرحلة - كانت مألوفة ومعروفة وتقليدية ولكنها اليوم تبدو وكأنها مضحكة ، بل مضحكة ومبكية ، فكيف حللت المشكلة ؟ كان لي صديق موظف بغدادي يشغل وظيفة (كاتب محكمة) في تكريت وقد شرحت له المشكلة ، ورجوته أن يقوم ولده (فايق ...) الطالب في المدرسة بتمثيل (دور الفتاة) في التمثيلية ، وما أشد فرحي عندما وافق على ذلك دون جدل ومناقشة ، وهكذا مثّلت (الجندي الباسل) على مسرح تكريت وادهشت الحضور من اهالي تكريت جميعاً ، ولم يعترض متفرج واحد علي تمثيل دور الفتاة من قبل (فائق ...) وكانت التمثيلية فتحاً جديداً في مدرسة تكريت تميزت به على مدارس القضاء كافة .

ومن الجدير بالذكر اننا قمنا بتمثيلية اخرى كنت كتبتها بنفسي وقد قام بتمثيل دور الفتاة فيها الطالب (عطاء عبدالغفار الناصري) نجل العلامة الصديق المثقف المتحرر المتجدد (عبدالغفار الناصري) الذي درس في القاهرة العلوم اللغوية والدينية ، وأرجو أن يدرك الجيل الجديد حقيقة واحدة هي ان هذه الانجازات الصغيرة كانت تعد من الانجازات الكبيرة في عهد الثلاثينات ، الذي كانت تتحكم فيه الافكار الرجعية والامية في تكريت ، بل وفي مدرسة تكريت بالذات .

ومع ذلك فاني اسجل الموقف المشرف لبعض المثقفين والمتفتّحين الذين وقفوا الى جانبنا في تلك المرحلة في ادخال كل جديد الى المدرسة ومن ذلك فن التمثيل والمسرح وقيام بعض الطلاب بتمثيل دور الفتاة في كل المسرحيات التي تعرض ... فلا غرو بعد هذا وذاك من أن تصبح (مدرسة تكريت الابتدائية) هي أول بؤرة اشعاع فكري ورياضي وتمثيلي وأول منطلق الى الدراسات المتوسطة فالثانوية فالجامعية .

التدخل في الانتخابات النيابية العامة
ونقلي الى (لواء العمارة)

في سنة ١٩٣٤ م ـ وأنا معلم في مدرسة تكريت ـ كنت أراسل بعض الصحف المحلية في بغداد كالزمان والاهالي والعراق ، على غرار (رسائل القراء) ، وعندما جرت الانتخابات العامة النيابية آنذاك اتهمت ـ ويالها من تهمة مشرّفة ـ بأني ساهمت في نقد عملية الانتخابات وتدخّل الحكومة فيها وفضح عمليات التزوير في كل الألوية والاقضية بما فيها قضاء سامراء وناحية تكريت ، ولهذا السبب فقد نقلت ـ نقلًا ادارياً ـ من تكريت الى العمارة ولم يستطع مدير المدرسة ـ عبدالرزاق الخطيب ـ أن يدافع عني باعتبار تلك التهمة حقيقية يعرفها العديد من أهل تكريت ، وان ـ أحد المتنفذين ـ وهو شخصية مرموقة كان قد سأل (صاحب الجريدة) عن صاحب الرسالة التي نشرت حينذاك فباح له باسمي .. يومها كنت ـ اعزب ـ وكانت عدتي ولوازمي في السفر الى العمارة صندوق كتب وحقيبة ملابس وفراشاً سفرياً اجنبياً من (اورزْدِ باك) ذائعة الصيت والشهرة في تلك المرحلة .

وقد كانت السفرة من بغداد الي العمارة طويلة وشاقة جداً بوساطة سيارات خشبية كبيرة من نوع ـ الباص ـ وتتسع لـ (١٨) راكباً وراكبة ، وتستغرق أكثر من (١٥) ساعة بسبب وعورة الطريق العام غير المبلط والتوقف بين محطة واخرى عدا حوادث السلب التي لا يخلو منها اسبوع واحد ، وسأذكر في محل آخر أحد حوادث السلب الذي دفعنا ضريبته العالية نحن الركاب .

وهكذا ، لا بد من صنعا وان طال السفر ، وقد وصلت العمارة ـ سالماً غانماً ـ في احدى الامسيات وفي الساعة العاشرة ليلًا . وقد سرّني وأمتعني ـ وأنا في الطريق ـ فرعا ـ الكحلاء ـ و ـ المشرح ـ المتفرعان من ـ دجلة ـ واللذان يحتضنان ـ بطحاء ـ العمارة الجميلة . كما ساءني تأخر العراق بوجه عام من النواحي العمرانية والزراعية والحضارية سواء بسواء .

وفي الصباح الباكر ، زرت (مصطفى العمري) متصرف العمارة والذي أصبح فيما بعد وزيراً للداخلية أكثر من مرة ورئيساً للوزراء مرتين .
كنت أحمل في جيبي رسالة شخصية الى (العمري) من ابن عمه صديقنا (عبدالله العمري) الملقب (باشعالم) .

وقد حصلت على تلك الرسالة بوساطة ابن عمي وصهري (الحاج خطاب البكر) بسبب العلاقة الوثيقة التي كانت تربط عائلتي في تكريت بعائلة (آل العمري) في الموصل الحدباء .

وقد حكيت أو قصصت على ـ المتصرف ـ قصة نقلي نقلًا ادارياً بسبب تهمة التدخل في الانتخابات العامة ، واعترفت أمامه بأني تدّخلت ـ فعلًا ـ في الانتخابات .. وقد اعجب بصراحتي واعترافي ، وغمرني بلطفه الذي ما كنت أعرفه من قبل وقال (أنا هنا في العمارة بمقام عمك) واتصل ـ تلفونياً ـ بالدكتور (خالد الهاشمي) مدير المعارف في العمارة ، واستاذي في دار المعلمين ورجاه تحقيق رغبتي .

واجهت بعد هذا الدكتور الهاشمي فخيّرني بين أن أكون مدير مدرسة خارج مدينة العمارة ، أو أكون معلماً في العمارة ، وقد أخذت بالخيار الثاني وباشرت في مدرسة الكحلاء في مركز اللواء في ١ / ١٠ / ١٩٣٤ براتب قدره (١٠ر٨٧٥) ديناراً ، أي عشرة دنانير وثمانمائة وخمسة وسبعين فلساً يعادل هذا (١٤٥) روبية وهو راتب خريجي دار المعلمين الابتدائية ذات اربع سنوات دراسية بينما راتب خريجي دار المعلمين ذات السنتين أو الثلاث يتراوح بين (٦) دنانير و (٨) دنانير .

عادت حليمة الى عادتها القديمة

وفي العمارة (عادت حليمة الى عادتها القديمة) حيث استأنفت مراسلة الصحف بعد أن استقر بي المقام في غرفة جميلة في فندق (الشيخلي) تشرف على دجلة الخالد بفرعيه الكحلاء والمشرح وتوحي بالخيال والشعر والكتابة . وكانت المواضيع التي أعالجها في (رسائل القراء) هي مواضيع الساعة والمحلية والتي لا تخرج عن مواضيع ـ الاقطاع ـ وضرورة مواجهته ، وعن ـ الجهاز الاداري ـ والعمل على تطويره ومكافحة الرشوة والفساد ، وتبليط الطرق والشوارع واصلاح القرى والارياف ، وانقاذ الفلاحين من رجال الاقطاع وهيمنتهم على رجال الادارة والسياسة ، وفضلًا عن (رسائل القراء) التي كنت أبعث بها الى بعض الجرائد في بغداد كنت اشارك في تحرير بعض الكلمات والتعليقات في جريدة الكحلاء الاسبوعية التي كانت تصدر في العمارة لصاحبها (عبدالمطلب الهاشمي) السيد

الكريم ، ذي العمة الخضراء والاشراقة الوضاءة وهو والد الصديق أبو طالب عبدالمطلب الهاشمي .

مع جميل الخضيري رئيس البلدية
كلمة حق لن أنساها

وذات يوم نشرت لي احدى الجرائد في بغداد رسالة عن العمارة هاجمت فيها بلدية العمارة ، والشرطة ، إذ كانت أجهزتها ساكتة عن مكافحة الفساد والبغاء الذي استشرى في العمارة وعلى نطاق واسع ، فضلًا عن قضايا اخرى ، يومها استدعاني (مصطفى العمري) المتصرف وسالني عن كاتب تلك ـ الرسالة ـ التي نشرت بتوقيع (مراسلكم) ولم أعد قادراً على اخفاء الحقيقة واعترفت أمامه باني كاتب الرسالة فتقبل مني هذا الاعتراف ، على مضض وهو الذي يرعاني ، وكان السبب في تعييني في العمارة .. قال ـ المتصرف ـ اريد أن تتعرف على (جميل الخضيري) رئيس البلدية ، لأن اسمه وارد في تلك الكلمة المنشورة ، وهو يريد أن يتعرف عليك ، وقد اتصل ـ تلفونياً ـ برئيس البلدية وقال له (شاكر علي بطريقه اليك) وقد رافقني اليه مدير التحرير ، وبعد ارتشاف الشاي والقهوة قال : (ابني شاكر .. سعادة المتصرف دائماً يمدحك في غيابك ويقول بأنك كاتب ومراسل جيد للصحف فبارك الله فيك . لقد قرأت رسالتك الاخيرة التي تلفت فيها ـ نظري ـ الى ضرورة مكافحة البغاء والفساد بالتعاون مع الشرطة المحلية .. كما شكوتني ـ بالذات ـ الى المسؤولين في بغداد ، وفي وزارة الداخلية ، ولأنك ما تزال في مرحلة الشباب والتجربة وتفتقر الى بعض التجارب والدروس كما يفتقر اليها بعض الشباب الآخرين .. فأرجو منك أن تطّلع على هذه ـ الكارتات ـ وبطاقات ـ التوصية ـ التي ارسل بها (بعض) المسؤولين في بغداد وكلها توصيني خيراً وتلطفاً وسكوتاً عن هؤلاء المنتسبين أو المتلبسين في جرائم الفساد والبغاء واعترف أمامك باني متألم جداً لهذه الظاهرة المؤسفة كما سميتها في رسالتك الى الجريدة ولكن ماذا في وسعي أن أفعل الآن ؟) . وهنا شعرت بأني ما أزال أعيش ـ طفولية ـ الشباب والنزق والهوى والطفولية اليسارية والسلبية ، فضلًا على ـ طفولية ـ المشاركة في الصحافة ولاول مرة في حياتي العملية والصحفية تاكدت بأن الفساد في واقعه (فساد

مركزي) وليس (فساداً لا مركزياً) فحسب وان الاصلاح العام يجب أن يبدأ باجتثاث فساد (الرؤوس) والشخصيات المركزية ، وهنا شكرت ـ الخضيري ـ على هذا الدرس الذي لن أنساه ما حييت وجعلت بعد هذا اسدد سهام قلمي وكتاباتي الى حيث الاجهزة المركزية الفاسدة في الدولة .

ماذا حدث بعد هذا ؟
نقلي من العمارة الى علي الغربي

الذي حدث هو ان وزارة جديدة قد تألفت وأصبح فيها (مصطفى العمري) وزيراً للداخلية وقد اقيمت له حفلة وداعية وتكريمية في نادي الموظفين حضرتها مع بعض رجال التربية والتعليم والقيت فيها بعض الكلمات التي تشيد بالسيد العمري وكفاءته السياسية والادارية .. والذي حدث كذلك ان الدكتور (خالد الهاشمي) مدير التربية قد نقل كذلك من العمارة وجيء بالسيد (حسن الجواد) بديلًا عنه وهو الآخر معلمي واستاذي في دار المعلمين في التربية وعلم النفس .. والذي حدث بعد نقل المتصرف ومدير المعارف ، هو ابعادي عن العمارة ، فقد استدعاني مدير المعارف وفاتحني برغبة (محمود اديب) المتصرف الجديد ، وهي نقلي الى مدرسة ريفية في علي الغربي واستكمال تأسيسها ، وترفيعي الى درجة (معلم أول) . وذلك اعتماداً عليَّ .. وهذه ـ العملية ـ مؤقتة أعود بعدها الى مركز العمارة ، وهكذا كان ، فقد صدعت بالواجب وأسست المدرسة الريفية في قرى علي الغربي واسمها (المطشرية) نسبة الى (الشيخ مطشر الفيصل) رئيس عشائر (البو دراج) ومن ثم رفعت الى (مدير مدرسة علي الغربي) حيث كان القائممقام فيها (عارف داود) من المنسوبين الى نوري السعيد .

ويبدو ان سلفي مدير المدرسة السابق لم يكن على وفاق مع (القائممقام) لان القائممقام يريد أن يتدخل في شؤون المدرسة ويشخص (هويات) المعلمين على هواه وهوى اولئك الذين ينقلون له الاخبار الملفقة والمزورة عن المعلمين .. فهذا شيوعي وهذا (قومي) وهذا (لا اخلاقي) لانه لا يراعي ـ تقاليد ـ المجتمع في علي الغربي الى غير هذا وذاك .

وفي الاسبوع الاول عقدت أول اجتماع مع معلمي المدرسة الذين لا يقل عددهم

عن العشرة وتحدثت معهم حديثاً هذا معناه ومغزاه .. ان مدير المدرسة السابق أعرفه حق المعرفة واعتز به كل الاعتزاز وهو مُربٍّ فاضل وان المقياس الوحيد في تقييم كل معلم هو اخلاصه في تدريسه وتأدية رسالته التربوية على الوجه الأكمل وان علاقة المدرسة مع الادارة المحلية ومع القائممقام بالذات هي بقدر ما يُسدي رجل الادارة من خدمات وتعاون مع المدرسة .. وان ـ القائممقام ـ رجل اداري طيب وقد التقيته بالأمس فوجدت فيه استعداداً مشجعاً للتعاون مع المدرسة ان شاء الله .. وبهذه الكلمات التي وصلت الى مسامع القائممقام عن طريق ثلاثة معلمين كانوا يتصلون به سراً ، لتزويده بكل صغيرة وكبيرة استطعت أن أقطع الطريق على القائممقام فلم يتدخل في شؤون المدرسة ، وما هي إلا بضعة أشهر حتى يدب الخلاف الشديد بيني وبينه وذلك بسبب رسالة صحفية عن (علي الغربي) كنت قد ارسلتها للنشر في احدى الجرائد في بغداد وهو السبب السابق نفسه لنقلي من العمارة الى علي الغربي .

معلم يهودي يعلم درس الدين

في ايلول من سنة ١٩٣٥ وأنا مدير مدرسة علي الغربي ، اجتمعنا ـ نحن المعلمين ـ لتوزيع جدول الدروس على المعلمين في ضوء رغباتهم واختصاصاتهم وقد كلّفت المعلم ـ عبد عون الجادري ـ وهو من سكان علي الغربي ومن عائلة عربية اسلامية عريقة ، أن يقوم بتدريس الدين والواجبات ، فاعتذر المعلم ـ وهو صديقي ـ وأبدى استعداده لتدريس أية مادة وأي درس عدا الذين ، وقد كلفت معلماً آخر طاعناً في السن يقيم الصلوات الخمس ومن الموصل واسمه (علي افندي) فاعتذر هو الآخر وأجّلنا الاجتماع الى يوم غد .. وفي المساء زارني في داري المعلم (طعمة صالح السامرائي) وحده زيارة شخصية حيث عاتبني على عدم تكليفة بتدريس درس الدين بعد أن اعتذر معلمان زميلان عن ذلك .. فقلت له : ولماذا لم تنبئني برغبتك هذه في اجتماعنا بالامس ؟ فاجاب : كنت أنتظر التكليف منك بالذات كما كلفت الزميلين الآخرين اللذين اعتذرا . قلت : اذن لقد اتفقنا .. وفي اليوم التالي استكملنا جدول توزيع الدروس باعطاء درس الدين الى المعلم اياه طعمة السامرائي .

انتظم التدريس في بداية الشهر العاشر من تلك السنة الدراسية .. وقبل مجيء

المفتش (خورشيد سعيد) الى العمارة لتفتيش مدارسها ، زارني معلم الدين وحده في داري ، تماماً ، كما زارني في المرة الاولى .

وبعد جلسة سَمَر وحديث ، قال لي المعلم : اسمح لي أن أكشف لك سراً يبقى بيني وبينك ، ومن دون علم الاسرة التعليمية وقبل أن يزورنا المفتش في الايام القريبة القابلة ، كما أرجو أن لا تزعل عليَّ . قلت : وما السر اياه ؟ قال : اني - يهودي - ولست بمسلم واني من سامراء وابن الصائغ المعروف صالح دانيال المشهور في سامراء وتكريت ونواحي القضاء كافة ، وقد أخذت على عاتقي مسؤولية تدريس الدين - حلًا للمشكلة - وتدريس الدين بسيط جداً فهو لا يخرج عن قصص الأنبياء والرسل وعن الاخلاق والواجبات ، وقد كشفت السر لك وحدك لتكون على علم بذلك قبل مجيء المفتش الى (علي الفربي) وخشية من افتضاح السر . والواقع كانت مفاجاة حساسة (خطيرة) بالنسبة لي . وفي الشهر الثاني عشر زارنا - المفتش - وبقي في المدرسة لغرض التفتيش أكثر من سبعة أيام وهو يقيم في داخل المدرسة طعاماً وشراباً وسكناً .. والذي حدث بعدا هذا هو ان السماء جادت علينا بأمطار غزيرة انصبّت علينا كأفواه القرب ، فانقطع الطريق بين العمارة وبغداد ، وهنا رجوت - المفتش - بعد أن أنهى مهمته وارسل تقريره عن المدرسة بوساطة البريد أن يتحول من المدرسة الى داري لنعيش سوية حتى يكون الطريق العام سالكاً ويغادرنا الى بغداد .. وقد وافق المفتش وعشنا سوية أكثر من اسبوعين وأصبحنا (اخوة على صندوق النبي) كما يقول العوام .

وفي آخر يوم وهو في ضيافتي وبعد أن أصبح الطريق سالكاً سألته عن الدرجة التي تستحقها - مدرستي - بالنسبة لمدارس العمارة الاخرى . فقال : من دون مجاملة مدرستك تأتي في الدرجة الثانية بعد الكحلاء ، والسنية ، في العمارة .. وسألته ثانية عن تقييمه لمعلمي مدرستي وعن طريقة تدريسهم الحديثة وعن - المتميزين - منهم ، فاجاب - وهو صادق - ان كل معلميك جيدون ، ولكن معلم الدين - أجودهم - وأحسنهم في اصول التدريس ، وأعني به (طعمة السامرائي).

فكّرت جيداً وسألته : هل اعتزمت السفر الى بغداد غداً أم لا ؟

- فأجاب : غداً لا بد من صنعا وان طال السفر ، لاني تأخرت عندكم كثيراً بسبب هطول الامطار ، واني لمسرور جداً باقامتي في بيتك ومدرستك .

قلت له : استاذ خورشيد ساحكي لك قبل المغادرة ، سراً يبقى الى الابد وهو ان معلم الدين الذي أعجبك أكثر من غيره هو - يهودي - وليس مسلماً . وقد سردت له القصة من أولها لآخرها فما كان منه إلا أن تجهّم واستشاط غضباً وفرقاً ، وله الحق

في هذا التجهم والغضب لانه كان قد امتدح في تقريره السري المرفوع الى الوزارة معلم الدين ـ اليهودي ـ أكثر من غيره ومن حيث لا يدري !! انها والله ورطة ما بعدها من ورطة .

وفي اليوم التالي ودّعنا المفتش الى بغداد وفكره يضرب أخماساً بأسداس وأسباعاً بأثمان !! لانه لا يعرف مصير تقريره والمضاعفات التي ستترتب عليه من قبل الوزارة .

برقية من بغداد لاستدعائي

بعد ثلاثة أيام تسلمت من وزارة المعارف ـ أي التربية ـ البرقية الآتية : (علي الغربي ـ شاكر علي التكريتي ـ مدير المدرسة .. احضروا فوراً ـ ديوان الوزارة لمقابلة المدير العام) وقد صدعت بتنفيذ الأمر فوراً .

وما أن بلّغ ـ السكرتير ـ المدير العام بأني في مكتبه حتى خرج المدير العام وهو يوسف عزالدين الناصري ، الذي كان استاذ الرياضيات في دار المعلمين والملقّب (ابو شوارب) و (ابو المعارف) كما كان يسمى يومذاك وهو من الشخصيات النادرة في تاريخ التربية والتعليم في العراق .. خرج من غرفته وهو يضحك بملء شدقيه ويأخذني بيده الى غرفته ويقول .. قصّ عليَّ قصة المعلم ـ اليهودي ـ الذي استغفلك وقام بتدريس ـ الدين ـ في المدرسة ، ولولا ـ حكمة ـ الناصري وشخصيته الفكرية والتربوية المهيبة واعتباره ـ العملية ـ التي قمت بها من النوادر وطرائف التاريخ التي تروى في الوقت الحاضر والمستقبل والى أمد بعيد ، وها أنا أرويها الآن بعد ستين سنة ، لما نجوت حتى بجلدي ولوقعت تحت طائلة العقاب .

اليهود وعلي الغربي
(راجينا) الطالبة في المدرسة

يومذاك كان يسكن ـ علي الغربي ـ جماعة من اليهود الاقوياء وكان (ابو ساسون) كبيرهم الذي علّمهم السحر ووالد (راجينا) الطالبة الوحيدة في الصف

الرابع الابتدائي ، حيث لا توجد مدرسة بنات في علي الغربي بل في كل العراق تقريباً ، وذات يوم وبعد نجاح (راجينا) الى الصف الخامس جاء أبوها الى المدرسة فشكرنا وقدم لنا دعوة لتناول الغداء في داره ظهراً ، وقد تقبلنا الدعوة .. وفي اثناء تبادل الاحاديث معه سألته أن يجيبني عما اذا كان يعرف المعلم (طعمة صالح السامرائي) هوية وديانة ، وقد أجابني ، بكل مقدساته هو انه يعرفه حق المعرفة ولكن لا يعرف انه يهودي بالمرة .. وهنا استغربت جداً وكثيراً كيف لا يعرف (ابو ساسون) اليهودي معلم (راجينا) اليهودي .. وقد حرت في تفسير هذا الأمر اذا ما كان (ابو ساسون) صادقاً في جوابه . وما هي إلا أيام وأنا في العمارة حتى زرت صاحب المكتبة فيها (الرحماني) الذي كان يحجز لي جميع الكتب والمجلات الجديدة فاشتريت منه كتاب (بروتوكولات صهيون) ، وما أن قرأت الكتاب مثنى وثلاث ورباع حتى وجدت فيه الجواب الشافي الكافي والذي يتعلق بالمعلم (طعمة السامرائي) ووالد (راجينا) الطالبة في مدرستنا ، كان هذا في عام ١٩٣٥ ، فماذا يقول الساسة والزعماء العراقيون والعرب في الصهيونية العالمية وفي اسرارها واخبارها وفي مكائدها ودسائسها ونحن في عام ١٩٩٤ م ؟

مع الشقاة وجهاً لوجه

في ربيع ١٩٣٦ وفي عطلة نصف السنة كنت في بغداد أتهيأ للعودة الى (علي الغربي) وإذ بي التقي مع الصديق (السيد جواد الحلو) من اشراف النجف الأشرف ووالد (أمير الحلو) على طريق العودة الى العمارة ، وقد تحركنا ـ ظهراً ـ في باص كبير واحد يسع (١٨) راكباً وجلست ـ والحلو ـ في صدر الباص ، وكالعادة كنا نتبادل الأحاديث الأدبية والتاريخية ونتطارح الاشعار القديمة والمعاصرة ونردد بالذات البيت المشهور (لأبي فراس الحمداني) لنا الصدر دون العالمين أو القبر ، أما الركاب الآخرون من الرجال والنساء فقد كانوا في هرج ومرج وفي شغل شاغل عنا ، بالاضافة الى اربعة اطفال كان اثنان منهم يضجّان في البكاء والصراخ .

سألت السائق وكنتُ جالساً الى جنبه وكان يشاركنا احياناً الحديث .. كم من الوقت بقي حتى نصل (علي الغربي) بعد أن اجتزنا الكوت ؟ فاجاب : حوالي ساعتين .. وبعد ساعة من الزمن وكانت الساعة الثامنة ليلًا أوقف السائق السيارة

واذا بأربعة شقاة عتاة وغلاظ شداد مسلحين ، اثنان عن اليسار واثنان عن اليمين واذا بهم يصرخون في وجوه الركاب ، صرخة واحدة : قفوا .. قفوا . وهددونا بالقتل والذبح إذا ما تحركنا ، وهم ملثمون ويصرخون بأصوات غير طبيعية وقد أنزلونا من ـ الباص ـ وأجلسونا جلسة ـ القرفصاء ـ ومزقوا بعض الحقائب بالخناجر وطلبوا منا المفاتيح فسرقوا كل محتوياتها من الملابس واللوازم والنقود .

والغريب ان هذه العملية استمرت أكثر من نصف ساعة وفي العراء وعلى الطريق العام وهم في انتظار أية سيارة اخرى لايقافها وسلبها بالطريقة الوحشية المذكورة . وهكذا فلم يبق على أجسامنا إلا الملابس الداخلية .. وبالنسبة لي وجدوا في جيبي (رصاصة) مسدس واحدة من نوع (برونيك) كان أخي الكبير (عبدالعزيز علي) قد اعطانيها لاشتري له مثيلاتها من العمارة ولكنهم لم يقبلوا بهذا الاعتذار وعبثاً حاولت اقناعهم وان لا بد من اعطائهم ـ المسدس ـ واعلامهم عن المكان الذي اخفيته فيه أو الراكب الذي سلمته له في تلك اللحظة الحرجة كانت الضربات المبرحة تنهال عليَّ من شقيين ما سمعت ولا قرأت عن واحد أو اثنين اشقى منهما . أما صاحبي ـ الحلو ـ فقد كان صامتاً مترقباً دوره بذريعة أو باخرى ، بعد دقائق اشبعونا شتماً وضرباً مبرحاً ووضعوا ارزاقهم (الحلال) في عباءاتهم وهمّوا بالانصراف ولكن الحلو ودعهم بأن قال لهم (في أمان الله) فما أن قال هذا حتى عاد اليه أحدهم ـ وكأنه عفريت من الجن ـ فأرهقه بالضرب والصفع ، والحلو يقول لهم (أنا سيّد ابن رسول الله موعيب تضربني) ولكنهم كانوا يواصلون الضرب ويقولون : (يا سيّد .. تچذبون علينا) ومن ثم تحركت سيارتنا الى حيث (علي الغربي) فنزلنا ـ ونحن اربعة ـ في المقهى واستانف الركاب الآخرون السفر الى العمارة يحدوهم صاحبي (السيد جواد الحلو) في تلك الليلة (المرة الحلوة) نمتُ على تختٍ من تخوت المقهى وعندما عرفني ـ صاحب المقهى ـ بأني مدير المدرسة في علي الغربي اعتنى بي وهيأ لي غطاءً حتى الصباح وأغدق عليَّ باقداح الشاي ...

في الصباح جاء ـ المعبر ـ الذي ينقلنا الى (علي الغربي) الواقعة في الجهة المقابلة فذهبت تواً الى دار (معاون الشرطة) وهو صديقي وقد طرقت الباب ـ والساعة السابعة صباحاً ـ وعندما وقع نظره عليَّ وأنا أتستر بالخاولي فوق الملابس الداخلية ، طار صوابه تماماً وقال : ماذا ؟ ماذا ؟ فقلت له مداعباً : (عارف داود) قائممقام وأنت معاون الشرطة والمسؤول عن الأمن في المنطقة طبعاً هذه

النتيجة !! بعدها سافرت الى العمارة لمراجعة ـ طبيب المعارف ـ فأجازني ثلاثة اسابيع ، حسب تقريره وهو : (بسبب الضرب والأذى الذي وقع على مدير مدرسة علي الغربي ـ شاكر علي التكريتي ـ على أيدي الشقاة يمنح اجازة مرضية لمدة ثلاثة أسابيع اعتباراً من .....) . كما قابلت (مدير المعارف) وحكيت له القصة كاملة وان الامن مفقود على الطرق الخارجية .. وقيل ـ يومها ـ ان الشقاة العصاة اياهم هم من فلاحي (علي جودة الايوبي) في تلك المنطقة .. وهذه ظاهرة مؤسفة في عراقنا هذا فان (بعض) المسؤولين الكبار يدعمون (المحسوبين عليهم) في بعض الظروف وان كانوا من ـ قطاع الطرق ـ والسالبين وحتى القتلة والسفاكين .

اختلافي مع قائممقام (علي الغربي)

بعد حادث السلب هذا ، استأنفت مراسلة الصحف في بغداد كما كنت في العمارة وقد نشرت هذا ـ الحادث ـ في احدى الصحف الأمر الذي كان السبب في القطيعة التي بدأت مع القائممقام ومن ورائه متصرف العمارة (محمود اديب) الذي كان محسوباً على (جميل المدفعي) .

استدعاني القائممقام ونبهني الى عدم مراسلة الجرائد في بغداد وعدم الكتابة عن شؤون الأمن والاصلاح العام في العمارة وعلي الغربي وعبثاً حاولت اقناعه بأن ملاحظته غير واردة وغير صحيحة واني حر في أن اراسل الجرائد بتواقيع مستعارة ، وان حرية الاقلام في كل مكان وزمان هي (ظاهرة صحية) ولا أشك قيد انملة ان رجال الادارة في كل العراق في تلك المرحلة كانوا لا يدركون تلك العبارات عن حرية القلم والصحافة بل كانوا يضحكون في سرهم ـ وحتى علينا ـ من مثل هذا الكلام غير الوارد وغير السليم في نظرهم . وهكذا فقد توترت العلاقات مع القائممقام وازدادت توتراً عندما قال لي بأن أحد المعلمين في المدرسة سيء السلوك وكذلك في خارج المدرسة وان بعض اشراف علي الغربي قد شكوه عنده وأن لا بد من تأديبه وتوبيخه ورفع تقرير عنه الى (مدير المعارف) وقد أجبته بأن المعلم الفلاني في داخل المدرسة وخارجها هو من أحسن المعلمين سيرة وسلوكاً ومع ذلك فاني غير مسؤول مباشرة عن سلوك المعلم ، أي معلم ، في خارج المدرسة من دون دليل وشاهد ، وان رجل الادارة هو حر في رفع التقرير الذي يرتأيه ، ومع ذلك فانه ، بل كل رجال الادارة

وممن هم من بقايا العهد العثماني ليس لهم القدرة الادارية والشخصية على تفهم معنى الدفاع عن ـ المعلم ـ الذي لا يثق فيه رجل الادارة باعتباره ـ السيد المطاع ـ وان المعلم ـ وهو الجندي المجهول ـ لا بد أن يكون (الضحية) و (العبد الذليل) وان الشعر القائل ـ كاد المعلم أن يكون رسولا ـ لانه حامل رسالة ومربي جيله هو من قبيل الشعر (الرومانتيكي) الخيالي .

نقلي الى (المجر الكبير)

لم افاجأ في الشهر الرابع من عام ١٩٣٧ م بنقلي الى (المجر الكبير) مديراً لمدرستها ونقل (عبدالمحسن جار الله) مدير مدرستها الى مدرسة علي الغربي .. ذلك لأن (جار الله) كان يعيش ـ نفس مشكلتي ـ مع مدير ناحية المجر الكبير (سلمان داود) الذي كان في عداء شديد مع اثنين من المعلمين حيث يضعهما في قائمة (الشيوعيين) .

وتعد مدرسة ـ المجر الكبير ـ من المداوس المهمة في العمارة وأهم من مدرسة علي الغربي . كما تعد (المجر الكبير) حينذاك قلعة حصينة من قلاع الاقطاع حيث يسيطر عليها أرضاً ونهراً وزرعاً وشلباً وعنفواناً وسلطاناً أربعة اخوة هم مجيد الخليفة وحمود الخليفة ومشتت الخليفة وفيصل الخليفة عدا الآخرين الذين يأتون في الدرجة الثانية أو الثالثة .

× × ×

في الاجتماع الأول لمجلس المعلمين تعرّفت على زملائي وطرحت عليهم السؤال الآتي : كم مديراً ، وكم معلماً ، في مدرستنا هذه ؟ فأجابوا : مدير واحد طبعاً وعشرة معلمين .. فأجبتهم : كلا .. ان ملاك مدرستنا يتألف عملياً من عشرة مديرين هم أنتم ومن معلم واحد هو ـ أنا ـ وستعرفون هذه الحقيقة منذ الآن .. وقلت لهم : مَن كان يتجاوب مع (عبدالمحسن جار الله) المدير السابق فاني متجاوب معه ومَن كان لا يتجاوب معه فيسرني أن أتجاوب معه .. وقلت لهم : لقد نقلت من ـ علي الغربي ـ بسبب الخلاف الذي نشب بيني وبين القائممقام ، وان مثل هذا الخلاف هو جانب من جوانب الصراع بين رجال الادارة من جهة وبين رجال التربية والتعليم من جهة اخرى ، كما ان ـ مدير مدرستكم ـ السابق قد نقل الى ـ علي الغربي ـ بسبب اختلاف

مع مدير الناحية ، فارجوكم أن تدركوا بأن التعاون ضروري مع رجال الادارة لكي تسير ـ عملية التربية ـ في ضوء المنهاج المرسوم والمقبول ، ولكن تجاوز ـ الادارة ـ على التعليم والتدخل في شؤون المدرسة والمعلمين أمران مرفوضان من حيث الاساس .. وقد ارتاح جميع المعلمين من كلماتي وتوجيهاتي هذه ولا سيما ثلاثة منهم كان (مدير الناحية) يتهمهم بالتمرد والشيوعية ، وكان أعنفهم من اخواننا ـ الصابئة ـ والجدير بالذكر اني تعرفت عندما كنت في العمارة على بعض الشخصيات ـ الصابئة ـ فوجدتهم يتميزون أدباً ورقة ووفاء واندفاعاً في الخدمة العامة .. وفي مقدمتهم (غضبان رومي) و (راشد لامي) حيث كانا من أقرب الاخوان والزملاء الى قلبي .

مدير الناحية يزورني في المدرسة

لا شك في أن مدير الناحية (سلمان داود) كان قد سمع باجتماعي الاول مع المعلمين ونقلت اليه كلماتي وتوجيهاتي كما هي أو محرّفة لا أدري ! وعلى اثر ذلك ، فقد زارني في المدرسة ورحب بي ودعاني دعوة خاصة الى داره في المساء وفي اثناء السهرة الطويلة سالته عن سبب خلافه مع سلفي (محسن جار الله) فاجاب بعد ارتشافه القدح الرابع بأن السبب سببان .. الاول كونه لا يتجاوب مع المعلمين الذين اتجاوب معهم والثاني هو ان (فراش المدرسة ..) قد كان يعمل في حديقة ـ البلدية ـ ولكن مدير المدرسة السابق قد أقنعه بالعمل في المدرسة وأخذه مني خلافاً لرغبتي ، فارجو طرد الفراش المذكور ودعم المعلمين الذين اتجاوب معهم ..

واستميح القراء عذراً عندما اذكر هذه ـ النقاط ـ الصغيرة التافهة في صلب مذكراتي ذكرياتي ذلك لاني اعدها من (التوافه الجسام) وجسامتها متاتية من كونها من الادلة والمؤشرات القوية على هبوط المستوى الاداري وضعف بعض رجال الادارة بحيث يكون كره ـ رجال الادارة ـ لفراش المدرسة هو من أسباب الخلاف بين مدير الناحية ومدير المدرسة ، علماً بان رجل الادارة في العرف الدستوري حينذاك كان يمثل الملك في كل الوحدات الادارية اعتباراً من مدير الناحية فالقائممقام فالمتصرف وفي آخر السهرة شكرته وطمأنته على اني ساحقق رغبته في طرد الفراش والتجاوب مع المعلمين الذين يتجاوب معهم ..

وفي اليوم التالي استدعيت ـ الفراش ـ الى غرفتي وكان مضطرباً وخائفاً على مصيره وحاول تقبيل يدي ، فسحبتها وراح يجهش في البكاء وقد قصّ عليَّ قصته وغضب ـ مدير الناحية ـ عليه كاملة .. سألت الفراش : كم راتبك الشهري ؟ أجاب : ديناران ونصف . قلت له : اعتباراً من مساء هذا اليوم تداوم عصراً في داري لتقديم الشاي للضيوف لقاء دينار وربع شهرياً من عندي .. والله ما فرحت أم بوليدها كما فرح ذلك الفراش بهذا العرض . لأنه اطمأن الى حاضره ومستقبله مادياً ونفسياً ولأنه استبعد شبح الطرد أو الحبس الذي كان يلاحقه ويقلق مضجعه في الليل والنهار .

مدير الناحية يزورني ثانية

ثانية .. قام مدير الناحية بزيارتي في المدرسة وذلك قبيل اجراء الامتحانات العامة النهائية وقال لي بأن ابناء الشيوخ جرت العادة على مساعدتهم وانجاحهم في آخر السنة ، وكما كان يعمل قبلك من مديري المدرسة السابقين فأرجو مساعدتك لهم من هذه الناحية .. كما اني ـ والكلام لمدير الناحية ـ جئت لأقدم لك دعوة خاصة الى بيوت الشيوخ لكي يتعرفوا عليك .. قلت لا مانع عندي من قبول الدعوة بكل سرور وشرف .. شريطة أن يدعى جميع اعضاء الاسرة التعليمية معي .. قال : وهو كذلك .

كانت الدعوة الاولى في دار أحدهم وفي قصره الواسع الكبير وقد حضر الحفلة الموظفون الكبار من العمارة وقلعة صالح حيث كانت الموائد عديدة مشوقة وموزعة هنا وهناك وتحت ضياء القمر وتألق المصابيح الكهربائية .. وفي داخل الغرف كانت الدواليب والخزانات مشحونة وعامرة بأنواع المشروبات الروحية الاجنبية من الويسكي والبيرة والبراندي والجن . كما حضر جوقان موسيقيان مع المطربات والمطربين مع جوق غنائي شعبي من الكبار ، وآخر من الصغار (فروخ) وبعد أن دبّ دبيب الاقداح والكؤوس في النفوس والرؤوس وطغى ذلك الجو الساحر العاطر على ما سواه قلت في سري .. أتحدى في هذه الليلة الساهرة الصاخبة كل الليالي الاخرى ، بل اتحدى حتى ليالي (الف ليلة وليلة) وحتى هارون الرشيد ـ الذي شوّه سمعته التاريخية ـ الشعوبيون ، والبرامكة ، بعد البطش بهم .. مسكين هارون الرشيد في عصره الذهبي إذ لم يحظ بمثل ليلتي وسهرتي التي دخلت التاريخ من أوسع أبواب الاقطاع ، قد يبدو في هذه الوصف شيء من المبالغة وحتى اذا ما بدا مثل

هذا ، فان تلك ـ الليلة الساهرة ـ كانت حقيقية ، واقعية وليست (رومانتيكية) خيالية ، وقد اعقبت هذه الحفلة ومن هذا الطراز حفلتان اخريان في (بيوت الشيوخ) الآخرين .

الامتحان النهائي .. وابناء الشيوخ .. والكرنفال

قبيل الامتحانات النهائية جمعت ـ مجلس المعلمين ـ وأكدت أمامهم على ضرورة الاهتمام بضبط الامتحانات وصيانتها من التزوير والوساطات واعطاء كل ذي حق حقه .. وقلت لهم : لقد علمت بأن (ابناء الشيوخ) وذويهم والمحسوبين عليهم قد يتساهل المعلمون في انجاحهم برغم كونهم لا يستحقون النجاح ولهذا فقد قررت تاليف لجنة من ـ ثلاثة معلمين ـ لتعيد النظر في تصحيح دفاتر الطلاب .

لقد سمع مدير الناحية بهذا القرار أو الاجراء المخالف لرغبته لانه في غير صالح (شيوخ الاقطاع) وأولادهم .

وقبل توزيع الدرجات بيوم اعددت العدة للسفر الى العمارة واتفقت مع سائق (تاكسي) وحزمت حقيبتي وصندوقي وفراشي ورجوته الحضور مبكراً صباح الغد .

وفي هذا الصباح ومع طلوع الشمس ، وكما هي العادة السنوية وعند توزيع الدرجات على الطلاب بدأت تنسل الى المدرسة من كل حدب وصوب ومن القرى والارياف القريبة أفواج الامهات والاباء وذوي العلاقة بشكل مهرجان حاشد أو كرنفال ضخم ترتفع فيه الهوسات والهتافات الى عنان السماء مع اصوات الموسيقى والرقص والغناء والدبكات الريفية .

وقد اعلنت النتائج بنفسي وسط هذا الجو الصاخب والمزغرد العاصف ، بحيث لا يعرف الناجح من الراسب بسبب الهرج والمرج واختلاط الاصوات .. وأتذكر ان ابناء الشيوخ الذين لا يقل عددهم عن (١٨) طالباً لم ينجح منهم عدا سبعة أو ثمانية طلاب .

سفر كالهروب الى العمارة

ومن ثم ودعت الاخوان المعلمين وتحركت سيارتي الجاهزة مع سائقها الى

حيث العمارة .. زرت مدير المعارف (السيد حسن جواد) واذا به يعاتبني عتاباً شديداً على ترسيب ابناء الشيوخ فكيف علم مدير المعارف بذلك ؟ لقد اتصل أحد الشيوخ من المجر الكبير أو المجر الصغير بمتصرف العمارة (محمود اديب) فبلغه بالخبر وهذا أبلغ مدير المعارف ورجاه التحقيق في الامر ، وقد حكيت ـ للمدير ـ كل شيء ، وهكذا اصبحت تلك السنة التاريخية معروفة وهي السنة التي رسب فيها ابناء الاقطاع عندما كان شاكر علي التكريتي مدير المدرسة .. وحسب تلك السنة تاثيراً بليغاً وفاعلًا على افكاري (التحررية) هو اني تجاويت أشد وأكثر ـ ولا أقول انضممت ـ مع تلك الطبقة المثقفة الواعية والمقاومة للرجعية والاقطاع ومن ورائها الاستعمار البريطاني .

خطابي في ذكرى ثورة (٩) شعبان
سجادة (الحسين) .. وشبكة (تشرشل)

قبل شهر من اجراء الامتحانات النهائيه وحادث رسوب اولاد الشيوخ ، ساهمت في القاء خطاب في الحفلة التي اقيمت في مدرسة (السنية) في العمارة بمناسبة ذكرى الثورة العربية الكبرى في التاسع من شعبان ١٩١٦ والتي كان يقودها (شريف مكة) والحجاز الملك الحسين بن علي ، كان الحفل برعاية محمود اديب المتصرف وحضرها كبار الموظفين ورجال التربية والتعليم وعدة شخصيات بارزة من الوجهاء والكبراء والشيوخ وسراة القوم .. وقد حضرت ـ الحفلة ـ متأخراً بضع دقائق عن قصد لكيلا تخضع ـ خطبتي ـ للرقابة فترفض .

قابلت صديقي عريف الحفل ومدير ثانوية العمارة (موسى الشماع) واعتذرت عن تأخري بسبب عدم توفر وسائط النقل حيث كنت في المجر الكبير .. ذهب عريف الحفل الى مدير المعارف وأخبره بذلك وأخذ مدير المعارف موافقة ـ المتصرف ـ على القاء الخطبة إن كان واثقاً من سلامتها .

وفي منتصف الحفلة قدمني (موسى الشماع) لالقاء خطبتي بالنيابة عن مديري ومعلمي القرى والارياف .

شرعت في الالقاء فكانت خطبتي سلبية أكثر منها ايجابية بعكس الضوابط والتعليمات التي اصدرتها ـ لجنة الاحتفال ـ وقد هاجمت بعض (الزعماء) العرب

ممن كانوا يجهلون دقائق السياسة العالمية في اثناء الحرب العامة الاولى وما يبيته الاستعمار لهم من مؤامرات ولا سيما اتفاقية سايكس بيكو ـ السرية .

وعندما قارنت بين (سجادة) الحسين وشبكة تشرشل وشخصت العوامل التي أدت الى فشل الثورة وخذلان العرب قوطعت خطبتي بالتصفيق الحاد أكثر من ثلاث مرات ، بعدها ابعدت عن منبر الخطابة بأمر المتصرف ومن ثم اجري التحقيق معي بديوان مديرية المعارف وبحضور مدير المعارف الذي أخبرني بزعل المتصرف عليه بالذات لانه سمح لي بالقاء الخطبة قبل قراءتها ومراقبتها .

وهنا قلت لمدير المعارف ، بأن أكثر الحقائق التي انطوت عليها ـ خطبتي ـ هي مستقاة من كتاب (حياة الشرق) لمؤلفه ـ لطفي جمعة ـ ومن كتب اخرى .

فاجابني ـ مدير المعارف ـ بهذه الكلمات (والله يا ابني شاكر .. ان جميع ما ذكرت هو من الحقائق المحفوظة في صلب التاريخ فأرجو أن تسمع مني هذه النصيحة وأنا استاذك في دار المعلمين .. ان مثل هذه الحقائق لا تنشر ولا يعلن عنها في مثل هذا الاحتفال الرسمي ، بل لا تقال حتى في الصفوف الدراسية) .

فكانت هذه النصيحة من جانب مديري واستاذي من النصائح التي لا أنساها طوال حياتي .

لقد كانت تلك الخطبة هي السبب في نقلي من العمارة الى بغداد نقلًا ادارياً وسريعاً .. تماماً كما نقلت منذ اربع سنوات من بغداد الى العمارة نقلًا ادارياً وسريعاً .. أما السبب المضاف الآخر في نقلي فهو رسوب ابناء الشيوخ والاقطاعيين كما اشرت الى هذا قبل الآن .. علماً بأن نقلي الى بغداد هو تحقيق لرغبتي الذاتية الملحة (والخير فيما اختاره الله) .

لوحة تاريخية تذكارية نسيت عرضها مع الشيخ (مطشر الفيصل) حولا كاملًا

عندما كنت معلماً في مدرسة (الكحلاء) في العمارة وكنت اراسل بعض الجرائد في بغداد ـ وكما اشرت الى ذلك ـ استدعاني ـ مدير المعارف ـ وقال .. هنالك شيخ البو دراج اسمه (مطشر الفيصل) صديق المتصرف وقد أمر المتصرف بتاسيس مدرسة في قريته تنفيذاً لرغبته ، وقد نسبناك لهذه العملية اعتماداً عليك

ورفعناك الى درجة (معلم أول) والعملية - مؤقتة - لا تستغرق أكثر من شهرين أو ثلاثة ، فما هو رأيك ؟ أجبت : لا رأي لي واعتبر هذا التنسيب أمراً ادارياً وتربوياً لا مناص من تنفيذه ..

هكذا كان جوابي برغم علمي بأن المقصود هو ابعادي عن مركز العمارة كيلا اواصل النشر في الجرائد .

× × ×

في يوم تالٍ غادرت العمارة - بالباص الكبير - الى حيث قضاء (علي الغربي) مع حقيبة ملابسي وصندوق كتبي وفراش السفر ، وذلك بطريقي الى (الجدية) قرية (مطشر الفيصل) وصلت (علي الغربي) فوجدت - جهلول - الدليل الى القرية واقفاً في انتظاري في محطة السيارات ومعه (حصان) أحمر مطهم و (حمار) أبيض مجدوع الاذن اليسرى لنقلي الى القرية المذكورة ، إذ لا طريق سيارات ولا سيارات بين - علي الغربي - و (الجدية) ولا اخفي على القراء ، اني في تلك اللحظة شعرت بالزهو والكبرياء الادبي والوجداني واكبرت ذاتي وتضحيتي في حقل التربية والتعليم .. تلميذ - مدلل - ابوه (علي الحاج حسن) رئيس بلدية تكريت وديوانه مفتوح للجميع وأمه (هدلة الامين) بالنسبة لهديل الحمام - ورحم الله المفسرين - لها رأيها القاطع في شؤون البيت والعشيرة وحتى في القضايا العشائرية التي تطرح في الديوان ، هذا التلميذ (المدلل) يتخرج في دار المعلمين بتفوق ويقبل في البعثة العلمية مع زملاء اربعة ولكن أهله - لا يوافقون - على التحاقه لانهم لا يطيقون فراقه ولانه (مدلل) . هذا الخريج - المدلل - يعين معلماً في تكريت لمدة اربع سنوات وينقل نقلًا ادارياً الى العمارة بسبب الصحافة والتدخل في الانتخابات العامة . هذا المعلم بقدرة قادر أو قادرين هما - المتصرف ومدير المعارف - يصبح هو (المعلم الأول) وليس سقراط الحكيم .

هذا (المعلم الاول) المدلل ، انه الآن مع حصان مطهم وحمار أجدع ، وحمار بشري ثان هو جهلول (الدليل) الذليل ، الذي كان عبر الطريق يحدثني بلهجته - الحلوة المؤلمة - عن مآسي الاقطاع .

من خلال هذه الصورة التاريخية وأنا مع حصان و (حمارين) وفي تلك - السفرة - الموحشة بطريقي الى - مطشر الفيصل - كيف لا أكبر نفسي وتضحيتي من أجل العلم والتربية ؟ بعد زهاء ساعتين وربع الساعة بلغنا قلعة - الشيخ مطشر - ومضيفه - فماذا شاهدت ؟ عشرات الصفوف من التلاميذ والشباب والاطفال يفترشون

الارض وقد تصدر ـ الشيخ ـ تلك الصفوف على كرسيه ـ المتواضع ـ ولا أقول الضخم . وكلهم كانوا في انتظار (القادم الكريم) و (المعلم الاول) التكريتي لا سقراط ، نهض الشيخ لاستقبالي ـ فنهض الكل وقوفاً وتقدم بعضهم ، فامسكوا بلجام الحصان وما أن ترجلت حتى اشبعوني قبلات وصلوات وشماً ولثماً ، تقدمهم الشيخ الجليل طبعاً وهو يرحب بي بكلمات دافئة ريفية لم أسمع بها من قبل .

وكان (الشيخ) يتوكا على عصاه ويجر خطاه وكانه مريض بالاعصاب أو شبه مريض وقد بلغ من الكبر عتيا غير ان حالته الصحية هذه لم تمنعه من الترحيب بي والتكريم ، وهنا ، هنا فقط شعرت بأن الانسان اخو الانسان أحبّ أم كره ، وان الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وان للمعلم رسالته وحرمته وقداسته .

المعلم الاول .. ضيف الشرف و « الشيخ »

كان مبيتي في ـ المضيف ـ الكبير أو في زاوية معزولة منه .. وبعد تناول العشاء مع الشيخ كرر ترحيبه بي وانباته كذلك بأني من ابناء العشائر والمزارعين في تكريت ، ومن ثم حكيت قصة تأسيس المدرسة وضرورة بنائها من القصب والخشب وفي السرعة المستطاعة ، وان بقائي قي المضيف سيكون بصورة مؤقتة لا تزيد عن الشهرين وان معلماً جديداً أو معلمين سيحلان هنا بديلًا عني بعد تسجيل الطلاب وبناء المدرسة .. مضى اسبوع واحد أو عشرة ايام والشيخ لم يحرك ساكناً ولم يبن مدرسته مع العلم بأني قد سجلت أكثر من (٤٠) طالباً وان الرحلات المدرسية والسبورات والكراسي قد وصلت القرية من العمارة .. واصبح (الشيخ) لا يفارقني نهاراً أو ليلًا وفي كل مرة أذكره بضرورة الاسراع في البناء لأن جميع الرحلات واللوازم في العراء ومع ذلك فانه ـ من النوع الدهري ـ فلم يحرك ساكناً ولم يبن المدرسة .

وذات صباح باكر استدعيت الفراشين الاثنين ـ صالح ـ و ـ جهلول ـ وأمرتهما بادخال الرحلات والكراسي واللوازم الى المضيف وان يمنعا كل الفلاحين من دخول المضيف لشرب القهوة ، وهكذا كان . إذ شرعت بالتعليم في داخل المضيف الذي اصبح بمثابة المدرسة ، كان ذلك تدبيراً ـ حكيماً ـ من جانبي ، إذ هرع بعض الفلاحين المتعودين على شرب القهوة الى (الشيخ مطشر) يشكونني مما اضطر ـ الشيخ ـ على أن يجرى ـ حملة ـ من الفلاحين الى (علي الغربي) لشراء القصب

والخشب والحديد وكل اللوازم الضرورية الاخرى لبناء المدرسة حيث تم بناؤها في ثلاثة أيام فقط وتحرر ـ المضيف ـ من احتلال اللوازم والأثاث واستأنف الفلاحون والضيوف الآخرون شرب القهوة .

بعد هذا كتبت تقريراً الى معارف العمارة عن بناء المدرسة ودوام الطلاب وانتظام التعليم ورجوت ـ مدير المعارف ـ أن يعيّن بديلًا عني (معلماً أول) أو معلمين وان يبرّ بوعده السابق ، ووعد ـ المتصرف ـ .

وفي كل صباح ومساء التقي مع الشيخ حيث يجلس احياناً في الصف مع الطلاب ويلعب معهم ـ كرة القدم ـ ولو بعصاه لا بالقدم . أما في الليل فلا نفترق حتى ساعة متأخرة منه ، ونحن نتبادل الأحاديث التاريخية والادبية والقصص العربية .. كما كان يحكي لي أروع وأغرب القصص عن (المؤامنة) الذين يتنقلون بين الأرياف والعشائر خلال شهر محرم الحرام ، وعن نوادرهم ونكاتهم ، فضلًا على ما يتخلل سهرتنا ، من اغان ريفية يقوم بها (جوقان) جوق من المطربين الكبار وآخر من الصغار (الفروخ) وفجأة تغيب ـ الشيخ ـ عن زيارتي وعن مضيفه بالذات فتساءلت عنه وقيل لي بأنه سافر الى العمارة لأشغال تخصه .

بعدها عاد الشيخ الى القرية فزارني مساءً وقال : هذه الليلة نتناول العشاء معاً في داره ـ أي في الحرم ـ بوصفي أصبحت واحداً من عائلته الكريمة .

وعندما حضرت في داره قال لعائلته وزوجتيه ولديه الأكبر (خزعل) والأصغر (جاسب) ، وشقيقه (شنيور) : أصبح ـ شاكر ـ واحداً من العائلة ، وهو مساعدي في حل جميع المشاكل العائلية والعشائرية وانه من الآن شيخ من شيوخ (البو دراج) .

واسترسل ـ الشيخ ـ في حديثه .يقول :

ـ في العمارة واجهت ـ المتصرف ـ ومدير المعارف ـ وقلت لهما .. اذا نقل شاكر فلا حاجة الى المدرسة وفي الامكان سدها .. على كل حال شكرته شكراً جزيلًا على عواطفه الاخوية والعربية والريفية وحاولت اقناعه بضرورة نقلي ، كما ان كتاباً رسمياً قد وصلني بعد ايام يؤكد بقائي بعض الوقت مع ـ الشيخ ـ ..

وقام ـ الشيخ ـ بتنظيم منهاج يومي يتألف من سفرة مائية في نهر ـ ابو بشوت ـ عصر كل يوم بوساطة ـ المشحوف الخاص ـ ومن سهرة ليلية وغنائية في كل يوم .

الشيخ لا يقرأ ولا يكتب ولكنه يحتفظ بالعديد من كتب التاريخ والفقه والدين

والقصص العربية يقرأها عليه بعض (المؤامنة) الخيرين ، لانه يتمتع بسمع رهيف وحس يقظ ، وتلق جيد ، فضلًا عن قابليته في النقد والتعليق على كل ما يسمع وفي جدله مع القارىء الذي يقرأ له وعليه .

وهكذا فقد كانت ـ حصيلة ـ معايشتي مع هذا الشيخ الجليل الخلوق مضاعفة جهودي في قراءة الكتب والاسفار ، لانى كنت مشتركاً في (مكتبة الرحماني) التي تزودني بكل المطبوعات الجديدة من داخل العراق وخارجه ولو كانت الشروط الصحية متوفرة في ذلك الريف الجميل لكانت تلك السنة مع الصديق الشيخ من أجمل وأسعد أعوام حياتي من حيث النزهة والمطالعة وتجربتي الاولى في نظم الشعر وبعض الاناشيد .

وما تزال العلاقة حتى الآن قائمة مع احفاد ـ مطشر الفيصل ـ وأهالي علي الغربي بوجه خاص .

مطيرة السودة .. (أم شاكر)

وأنا مدير لمدرسة علي الغربي ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ م كانت (مطيرة السودة ـ وهي من ـ عربستان ـ شغيلة عندي مع يتاماها الثلاثة الصغار ، وقد حلّت معهم في داري ووضعت راتبي الذي لا يتجاوز (١٥) ديناراً تحت تصرفها من حيث الغذاء والكساء والقيام بخدمة الضيوف والمعلمين في زياراتهم الاعتيادية والمناسبات ، فهي مسؤولة عن ادارة البيت طعاماً وشراباً ونظافة ، وقد اطلقت على نفسها (أم شاكر) ولكنها كانت تكتفي بنصف هذا الراتب ـ أي سبعة دنانير ونصف ـ .

كانت مطيرة السودة تروي لي قصصاً وصوراً عن العمارة وشيوخها ورؤسائها وبعض البيوتات وعن مشاكل الحدود بين العمارة وايران ، وذلك بلغتها البسيطة الشعبية .. وكنت أقول (للأم مطيرة) هل توافقين على المجيء الى بغداد عندما انقل اليها من العمارة ؟، فكانت تفرح بهذا الكلام والوعد وتعده من اماني الحياة ، وتقول : كيف تفارق الأم ولدها .

نقلت الى بغداد بعد اربع سنوات قضيتها في العمارة وعلي الغربي والمجر الكبير وتزوجت في ١٩٣٩ م وكنت أحكي (لأم جلال) قصة (مطيرة) السوداء وأطفالها ـ اليتامى ـ وخدماتها المشكورة لي وكانت ـ أم جلال ـ هي الاخرى تتمنى

مجيء ـ مطيرة ـ ويتاماها الى بغداد في دارنا .

× × ×

وذات يوم وبعد حركة (٢ مايس ١٩٤١) وجلال ما يزال رضيعاً ونحن في جانب الكرخ ـ سوق الجديد ـ دربونة البستان ، واذا بجرس الباب يقرع واذا بأم شاكر ـ مطيرة السودة ـ تدخل البيت ، فيا للغرابة ويا للعجب .

لقد كانت مفاجأة حقاً ولا أتذكر حتى الآن كيف جاءت ؟ وكيف عرفت عنوان الدار ؟ واعتقد انها أخذت ـ العنوان ـ من بعض المعلمين الذين اراسلهم ويراسلوني من علي الغربي .

حلّت مطيرة في دارنا (١٥) سنة مع احدى بناتها وطفل آخر وهي مكرمة ومعززة حيث شاركت في تربية أطفالنا وشبابنا .. ومن ثم انتقلت ـ مطيرة ـ الى رحمة الله وحلت محلها احدى بناتها الكبار .. وقد تزوجت احدى حفيداتها ـ كهلًا ـ مهيباً من اسرة (الباجهجي) الكبيرة المعروفة .. وبالرغم من كثرة الاصدقاء والمعارف والشخصيات البارزة التي تشدني شداً وثيقاً بالعمارة وذكرياتي فيها ، فان (مطيرة السودة) تأتي في المقدمة .. فرحم الله تلك المرأة الصالحة الكادحة (أم توفيق) حقيقة و (أم شاكر) مجازاً .. وما زلت أرعى سلالتها من البنات والبنين واندفع بكل سرور في حل مشاكلهم الخاصة ومساعدتهم ما استطعت الى ذلك سبيلا .

جورجيت حبيب كركر ـ المناضلة الفلسطينية
معلمة الروضة في المعهد الوطني في بغداد

يومها ،كنت مدير اعلام واستعلام بوزارة المعارف ، أي التربية ، وكان لي ، بتفويض من الوزير صلاحية الاتصال المباشر بكل المدارس الرسمية والاهلية وعلى مختلف درجاتها ومستوياتها .. كان هنالك معهد أهلي باسم (المعهد الوطني) لصاحبه ومؤسسه الصديق المحامي (مصطفى الاعظمي) وكان يزورني بديوان الوزارة لاشغال تتعلق بشؤون معهده وكنت أرد له الزيارة أحياناً في المعهد المذكور وفي ضوء المجاملة والصداقة . وذات مساء ـ وأنا معه في المعهد الوطني ـ دخلت عليه احدى المعلمات التي عرفها بي وسماها لي بأنها (جورجيت حبيب كركر) فلسطينية الجنسية

ومديرة الروضة الجديدة الملحقة بالمعهد الوطني .

وقد زرت الروضة في ذات المساء وفي تلك الساعة وهنأت ـ جورجيت ـ على نشاطها واسلوبها التربوي وشجعتها على الخدمة وان الوزارة مستعدة لابداء كل التسهيلات اللازمة ..

وبعد ثلاثة اسابيع من تلك الزيارة ـ وأنا في داري ـ اتصلت ـ جورجيت ـ هاتفياً بي وعرضت رغبتها في زيارة البيت والتعرف على (أم جلال) فكان الجواب الطبيعي والاعتيادي : (اهلًا وسهلًا .. بكل سرور) وقد وصفت لها موقع الدار وعنوانه في العلوية .

وما هي إلا نصف ساعة واذا بجورجيت تدخل الدار وهي تبكي بكاءً مراً دونه بكاء الثاكلات ، تعرّفت عليها ـ أم جلال ـ وكفكفت دموعها .

وبعد أن هدأ روعها وتناولت الشاي والقهوة سألتها ما بالك وما بك ؟ يا ابنة فلسطين العرب ؟ ولماذا تبكين ؟ أجابت بأن صاحبك الاعظمي كلفني بأن اشتري له بعض اللوازم والحاجيات الضرورية للروضة وقد قمت بهذا التكليف ونفذت الواجب بقدر المبلغ الذي اعطانيه ، ولكنه اتهمني بأني خنت الأمانة ولم أصرف كل المبلغ .. قلت : هذه مسألة بسيطة يا جورجيت ، ولا تستوجب مثل هذا التأثر والبكاء ، وسأتصل الآن بالاعظمي كي يأتي الى داري ، ونتناول العشاء معاً . وفعلًا فقد جاء صاحبي الى الدار بسرعة قياسية ودعوت جورجيت الى الديوانية ، فلم تلب الدعوة وبقيت مع ـ أم جلال ـ في الصالون .. وقد عاتبت صاحبي الاعظمي الى حد التوبيخ ، بسبب الصداقة المتينة والاخوة التي تجمعنا منذ أعوام وأعوام .. فأكد لي صاحبي بأنه لم يتهم جورجيت بخيانة الامانة وسرقة بعض المبالغ وانما طلب منها كشفاً كاملًا وقوائم بالصرف لكي يضيفها الى حسابات الروضة ، وقد جنّ جنونها وقامت قيامتها وتركت الروضة وقصدت داركم وهي تشكي وتبكي ، فكن أنت الحكم بيني وبينها يا أبا جلال .

دعوت جورجيت ثانية لمواجهة الاعظمي في الديوانية ، فرفضت مقابلته رفضاً باتاً .

انصرف صاحبي من داري بعد تناول العشاء ، كان ذلك بداية قصة ، بل (ملحمة جورجيت) التي بقيت ضيفة عربية فلسطينية عزيزة في دارنا ثلاثة أيام تمشياً مع الطريقة العربية .. بعد ثلاثة أيام فاتحتها (أم جلال) وقالت لها (يا جورجيت لقد عرفت دارنا وأهلنا وأولادنا وبعض اقاربنا حيث عشت معنا هذه الايام ، الكبير أخ لك والصغير ابنك فان اعجبتك الاقامة في دارنا والعيش معنا فاهلًا

بك اختاً كريمة وان لم يعجبك السكن معنا فان ـ أبا جلال ـ عمك وخالك واباك مستعد لاستئجار أية غرفة في أية دار سكن لدى اخواننا المسيحيين والمسلمين ، وندفع لك اجور السكن على حسابنا مهما كانت الاجور ، ومن ثم يعيّنك ـ ابو جلال ـ في السنة الدراسية الجديدة ـ معلمة ـ أو مديرة على ملاك التربية والتعليم ..

اجابت جورجيت بالشكر لأم جلال ، ثم قالت لها : أنا واحدة من اسرتكم منذ الان وداركم داري وانت اختي الى الابد وهكذا كان .

تلك هي البداية في (ملحمة جورجيت) التي استمرت سبع سنوات سمان ، والحمد لله ، لا عجاف ، وجورجيت معنا تسرح وتمرح وتسمع الاخبار والبرقيات وتعلّق عليها وتتحدث عن نكبة فلسطين ، فصولها وأحداثها وتطالع في المكتبة ما يروقها ويسرها ، وكان اثنان من اولاد أخيها يسكنان في لبنان ، ويقومان بزيارتنا في بعض المواسم . ومن تحصيل الحاصل القول باني و ـ أم جلال ـ كنا حريصين على تحقيق كل رغبة ممكنة للاخت جورجيت طوال بقائها في دارنا اكراماً وحباً لفلسطين التي هي احدى بناتها ومناضلاتها .



حسن علي التكريتي
القاضي ونقيب
المحامين



ابراهيم العلي الحاج حسن (الاخ الاكبر) في أثناء مرضه في لبنان ومعه السيد لبيب عبداللطيف
(ابن الخال) واخوه السيد شاكر علي التكريتي



شاكر علي التكريتي
والفنان الموسيقار
سعيد شابو



شاكر علي التكريتي مع الدكتور خالد الهاشمي
والدكتور محمود غناوي وغيرهما من رجال التربية





مع الاستاذ محمد بهجت الاثري رئيس الوفد العراقي الى المؤتمر الثقافي العربي ١٩٤٧ في (بيت مري) في لبنان وسليم الرشدان مندوب الهيئة العليا بفلسطين





الزميل محيي الدين الناصري مؤسس الحركة الكشفية في تكريت





زميلي الاستاذ ناجي عبدالباقي



حسن علي التكريتي يرثي عمه المرحوم دحام الحاج حسن

رحماك .. رحماك يا عمّاه .. فلقد وافاك الاجل المحتوم في مساء الجمعة الموافق ٣ / ٤ ـ ٢ ـ ١٩٣٩ عن عمر يناهز الخامسة والاربعين عاماً حافلةً بعمل الخير والانسانية والايادي البيضاء بما فيها أعوام النفي الى الهند ، عندما احتل الانكليز العراق ، وتقدموا الى الشمال ، فاحتلوا سامراء وتكريت ، لدحر الجيش العثماني المتقهقر الى وراء في الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ .. لقد كنت يا عمّاه رحيماً بالفقراء والضعفاء وجمّ الحياء وحلو الشمائلِ وليّن السريرة وطيب الخلق .. وهكذا فقد انطوت بوفاتك صفحة رائعة من صفحات المجد والانسانية ، واندرست بين الرموس شخصية ما كنا نظن لها هذا المصير القدري بهذه العجالة . كما انفرطت من جيد الدهر درة ناصعة نادرة وكانها قلادة رائعة لامعة . فوا أسفاه !! واني لاعاهد الله واعاهد روحك الطاهرة على تخليد ذكراك ما حييت . فنمْ مرتاحاً في ضريحك الطاهر وإنا على تخليد ذكراك لدائبون .

الفصل الثاني

لقاءات ومواقف مع رؤساء وزارات ووزراء
نقل خدماتي من وزارة التربية لمديرية الدعاية العامة

في ٣ / ٥ / ١٩٤٢ صدر الأمر الوزاري بنقل خدماتي من وزارة المعارف ـ أي التربية ـ الى مديرية الدعاية العامة والنشر والمطبوعات المرتبطة بوزارة الداخلية ، عندما كان (نورالدين داود) ـ والد الشاعرة أميرة نورالدين ـ المدير العام للدعاية وفي عهد وزارة جميل المدفعي ، وبعد أن غادر البلاد (رشيد عالي الكيلاني) والقادة العقداء الاربعة والذين اطلق عليهم فيما بعد (المربع الذهبي) صلاح الدين الصباغ ومحمود سلمان وفهمي سعيد وكامل شبيب .

مع مدير الدعاية العام لاول مرة ؟

استدعاني ـ المدير العام ـ لأول مرة في مكتبه الرسمي ، فقدمت له ولمدير المطبوعات العربية ـ ناجي القشطيني ـ الشاعر الوطني الرقيق جزيل شكري على نقل خدماتي وثقتهما بي وطلب مني المدير العام ـ وهو الطلب الاول ـ أن أكتب له مقالاً بعنوان (لماذا هذه القطيعة بين سوريا والعراق) قلت للمدير العام لقد جئتكم من ـ التربية ـ الى ـ الدعاية ـ منذ اربعة أيام وما أزال أجهل الكثير عن شؤون الدعاية والنشر ، فأرجو التكرم بتزويدي برؤوس أقلام حول ـ المقال ـ المطلوب لكي احرره في الاطار المطلوب . قال ـ المدير العام ـ هذا حقك وكتب لي « رؤوس الاقلام » المطلوبة على ورقة خاصة واعطانيها ونورني بالمحور الذي يجب أن يدور حوله

المقال . وأهم ـ نقطة ـ رجاني التركيز عليها ، هي ان الاستعمار يدرك تماماً ان كل تقارب بين سوريا والعراق هو المنطلق الى تحقيق الوحدة العربية المنشودة أو الاتحاد العربي ، باي شكل من الاشكال وبالتالي تحرر العروبة من الهيمنة أو السيطرة الاجنبية ، ولهذا فانه ـ أي الاستعمار ـ يهدف أبداً الى تكريس القطيعة بين القطرين العربيين الشقيقين سوريا والعراق .

لقد كتبت المقال ونشر في الصحف واذيع من دار الاذاعة سنة ١٩٤٢ بامر مدير الدعاية العام ، واليوم ونحن في سنة ١٩٩٤ ، ما أشبه الليلة بالبارحة ولكن قطيعة اليوم أخطر من قطيعة الماضي ، لانها تجسد صراع العقيدة ضد المرتدين عنها ؟

مع كمال عبدالمجيد

نقل (نورالدين داود) من مديرية الدعاية العامة ، فاشغل المديرية العامة (كمال عبدالمجيد) معاون مدير الداخلية العام .. استدعاني في أول يوم داوم فيه ، وطلب مني أن أكتب ـ مقالًا ـ عن العلم العراقي ورموز الوانه الاربعة وذلك بمناسبة تاسيس الحكم الوطني وتتويج ـ فيصل الاول ـ ملكاً على العراق .. وفي اليوم التالي قدمت المقال المطلوب والانشائي البسيط فكتب عليه ـ المدير العام ـ بالقلم الاخضر (بارك الله فيك .. لينشر ويذاع) .. ويومها ما كنت ـ والله ـ أدري بأن هذا التشجيع الذي لقيته من (كمال عبدالمجيد) وقبله من (نورالدين داود) هو بداية طريق اعلامي شاق عرفت منه نقطة البداية ولم أكن أعرف أو أتصور نقطة النهاية أو خاتمة المطاف ان كان له نهاية وخاتمة ؟

بين (كامل) ... و (كمال) ؟

موقف تاريخي لن انساه ؟

في غرفة وزير الداخلية ؟

المعروف أو الذي أعرفه ـ شخصياً ـ عن (كمال عبدالمجيد) مدير الدعاية العام بالوكالة هو انه لا يصلح للدعاية بمفهومها ـ التقليدي ـ في العراق ؟ ذلك لانه

سليل عائلة ـ برجوازية ـ معروفة فهو صريح لا يجامل وقوي لا يحابي ولا تاخذه في قولة الحق لومة لائم ؟ ولا يلتقي بأية حال مع (المرونة) و (المراوغة) و (المداهنة) وغير هذه الصفات والمؤهلات التي تعبد الطريق أمام (مدراء الدعاية) والاعلام (الناجحين) ؟

ان ـ كمال عبدالمجيد ـ الذي عملت معه في بحران الحرب العالمية الثانية يحتقر (غوبلز) وزير دعاية ـ هتلر ـ عندما يقول (اكذب .. ثم اكذب .. ثم اكذب ؟ حتى يصدقك الناس ، وحتى تصدق نفسك ؟) .

ومن هنا فان كمال عبدالمجيد ـ ابا باسل ـ قد استمر في ـ الدعاية ـ حوالي السنة فلم يواته النجاح ولم يحز رضاء وزير الداخلية أو رئيس الوزراء أو الوزارة ـ الحكومة ـ بوجه عام ؟ بل على العكس فقد خلق له خصوماً كباراً ، في طليعتهم كامل الجادرجي ومهدي الجواهري ، وحسين جميل ومحمد حديد وفائق السامرائي وصديق شنشل وغيرهم .. واكتفي بتسجيل هذا الموقف الواحد مصداقاً لما اقول ـ

توترت العلاقات بين ـ كامل الجادرجي ـ صاحب جريدة (الاهالي) وكمال عبدالمجيد مدير الدعاية العام بالوكالة حتى ان ـ كمالًا ـ في احيان كثيرة كان يعتذر عن مقابلة ـ الجادرجي ـ اذا ما حاول المقابلة ؟ وقد يصادف أن يكون ـ كامل ـ في غرفتي في انتظار مقابلة ـ كمال ـ ولكن ـ كمال ـ كان يغادر المديرية العامة كيلا يقابل (الجادرجي) بلغ هذا التوتر بين ـ كامل ـ و ـ كمال ـ أشده وذروته في الوقت الذي كان فيه (وزير الداخلية) تحسين العسكري ـ شقيق جعفر العسكري . ومديرية الدعاية العامة كانت ترتبط بوزير الداخلية وذات صباح اتصل بي (سكرتير وزير الداخلية) وقال (الوزير يريد مدير الدعاية العام الآن فليتفضل ؟) بلغت ـ المدير العام ـ بذلك فنهض من مكتبه الى حيث مكتب الوزير .

دخل على الوزير في اللحظة التي كان فيها ـ كامل الجادرجي ـ يجلس مع الوزير ولكن ـ كمالًا ـ لم يسلم على الاثنين ؟ وانما قال للوزير : ماذا تامر ؟ فقال الوزير : تفضل اجلس وسلم على (كامل الجادرجي) . قال ـ كمال ـ : وهل يعرف ـ معاليك ـ كامل الجادرجي من قبل ؟ قال الوزير : طبعاً أعرفه . قال ـ كمال ـ : لو كنت تعرفه حقاً لما سمحت له بمقابلتك والجلوس في غرفتك ؟ انه ـ الجادرجي ـ الملطخة يداه بدم شقيقك ـ جعفر العسكري ـ في اثناء حركة (بكر صدقي) الذي قام بانقلاب عسكري على وزارة (ياسين الهاشمي) التي كان وزير الدفاع فيها (جعفر العسكري) حيث قتله (الانقلابيون) شر قتلة على طريق ديالى . وبعدما

قال ـ كمال ـ هذه العبارات بعصبية وعنجهية غادر مكتب الوزير وترك الوزير والجادرجي وحدهما ؟

ان ـ كمال عبدالمجيد ـ في قوله هذا يشير الى ان (كامل الجادرجي) كان من المؤيدين لوزارة (الانقلاب) العسكري سنة ١٩٣٦ وكان وزيراً للاقتصاد والمواصلات فيها .. ومن خلال تلك ـ الخلفية ـ التاريخية كان ذلك الموقف العنيف والرهيب ضد تحسين العسكري والجادرجي متناسياً ان الجادرجي قد استقال من وزارة حكمت سليمان وانه اسس جمعية (الاصلاح الشعبي) الوطنية .. وبعد .. فما هو رأي القراء والتاريخ في مثل هذا الموقف الذي يندر أمثاله بين المواقف ؟

والذي حصل بعد هذا الموقف هو تسنم مصطفى العمري منصب وزارة الداخلية حيث اطّلع على ما جرى بين (تحسين العسكري) و (كمال عبدالمجيد) فأصدر الأمر بنقل ـ كمال ـ معاون مدير الداخلية العام ووكيل مدير الدعاية العام الى وظيفة (قائممقام) في تلعفر ، وقد رفض الالتحاق بوظيفته الجديدة وتمتع باجازاته الاعتيادية ومن ثم باجازات مرضية الى أن طلب احالته على التقاعد ، وفضّل نهايته وهو على سرير الموت على وظيفة ـ العبودية .. الذليلة .

بعدها نيطت مديرية الدعاية العامة بمدير المطبوعات العربية (ناجي القشطيني) لبضعة أشهر حتى عين (أحمد زكي الخياط) مديراً عاماً بالاصالة وهو المدير العام الذي عملت معه اطول مدة وناط بي مسؤوليات ثلاثاً في آن واحد ، كما سيأتي الحديث الآن .

أحمد زكي الخياط مديراً عاماً أصيلًا للدعاية العامة

جيء باحمد زكي الخياط مديراً عاماً للدعاية برغبة من (عبدالاله) الوصي على عرش العراق حينذاك وعلى عهد وزارة (حمدي الباجه‌جي) الاولى والتي سميت (بوزارة الوصي) وكان فيها مصطفى العمري وزيراً للداخلية ـ أي وزيرنا نحن موظفي الدعاية والنشر والاذاعة والمطبوعات ـ وقد تألفت تلك الوزارة في (٣ حزيران سنة ١٩٤٤) ، واستقالت في (٢٨ آب سنة ١٩٤٤) والحرب العامة الثانية ما تزال لم تضع أوزارها ؟ بل بلغت الذروة في الصراع بين المعسكرين

معسكر الحلفاء من جهة ومعسكر المحور من جهة اخرى .

ومن ثم تألفت وزارة الباجهجي الثانية بين (٢٩ آب سنة ١٩٤٤) و (٢٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٦) وكانت تلك المرحلة الطويلة بالنسبة لواجباتي ومسؤولياتي من اشق واصعب المراحل التي عشتها فقد ناط بي - الخياط - مسؤوليات كبيرة أكثر من قابلياتي وامكاناتي وهي رقابة الصحافة والاذاعة والمطبوعات وكل وسائل الاعلام في الداخل والخارج ، عدا المطبوعات الاجنبية التي نيطت بالصديقين الكبيرين (حسين الرحال) و (عبدالله جدوع) وعدا القضايا القانونية والانضباطية والاستشارية التي نيطت بالاخ (مدحت الجادر) المحامي في هذا اليوم ، والذي أصبح بعد ذلك مديراً عاماً بالوكالة مرة أو مرتين .

وبالرغم من اختلافي مع (مدير الدعاية العام) اختلافاً مستمراً في مجالات الدعاية والصحافة والمطبوعات وفي مجال الرقابة بوجه خاص ، فانه لم يفرط بي ولم يعتمد على غيري أكثر مني الى آخر لحظة نقل بعدها من الدعاية .. وتوثيقاً لما أقول أسوق بعض الامثلة على ذلك .

ماذا نشرت (روز اليوسف) عن ثورة (٢ مايس ١٩٤١) ؟

في صيف ١٩٤٤ جاءني « محمود حلمي » صاحب المكتبة العصرية في بغداد وهو المستورد الوحيد للمجلات والصحف المصرية والعربية .. جاءني الى الدعاية وهو يتأبط ثلاثة أعداد من مجلة (روز اليوسف) المصرية لاجراء الرقابة عليها قبل توزيعها .. قرأت المجلة واذا فيها كلمة قد نشرت داخل مربع فحواها (.. ما تزال طبقة كبيرة من الشعب العراقي تعطف على حركة رشيد عالي الكيلاني .. أي ثورة - ٢ مايس سنة ١٩٤١ - ضد الانكليز ... الخ) .

وافقت على توزيع المجلة دون الرجوع الى المدير العام لانها كلمة اعتيادية لا تستوجب منع دخول المجلة الى العراق بسببها ولأن قصّها من المجلة قد يثير تساؤلات كثيرة قد تعطى بعض الاهمية لكلمة غير مهمة وصحيحة .

وزعت المجلة في الاسواق فاستدعاني - الخياط - المدير العام وهو يتميز حنقاً

وغيظاً ويعاتبني عتاباً مراً الى درجة ـ التوبيخ ـ ؟ شرحت للمدير العام وجهة نظري .
ان منع المجلة من الدخول قد يجرنا الى مشكلة جديدة أو صراع جديد مع صحف القاهرة واعلام القاهرة ونحن نقف في جبهة واحدة هي جبهة الحلفاء ومتضامنون مع الشقيقة مصر في دعم المجهود الحربي المشترك . كتبت هذا ـ وكالعادة ـ في تقرير خاص لتنوير المدير العام بوصفي مراقباً للصحافة والمطبوعات مضافاً اليها (الاذاعة) أجاب ـ الخياط ـ على مذكرتي بان ما جاء فيها من تبريرات مختلفة انما هو دس مقصود من جانبي ؟ وانه لا بد أن يشكوني لدى (البلاط الملكي) ؟ وفعلًا فقد خرج مغاضباً من غرفته وتوجه توّاً الى البلاط الملكي .. وقد يتساءل القراء وهم يقرأون مذكراتي ـ في عام ١٩٩٤ ـ أي بعد نصف قرن مضى ؟ ما دخل البلاط الملكي في توزيع مجلة (روز اليوسف) وفي وجهة نظر رقيب أو ـ موظف صغير ـ خاضع لمدير الدعاية العام مباشرة ولوزير الداخلية ؟ والى القراء الجواب ..

عاد في الساعة الثانية عشرة ظهراً من البلاط الملكي الى مديرية الدعاية العامة فاستدعاني الى غرفته ـ وهو منبسط الاسارير ـ ويقول .. ان رأيك هو الصحيح والصواب ، وان رأي ـ معمر حسين ـ موافق لرأيك فبارك الله فيك .. ومعمر حسين هذا موظف كبير في البلاط الملكي ومن الاسرة الهاشمية المالكة ، وتربطه آصرة نسب أو (رضاعة) مع عبدالاله .. واضاف ـ المدير العام ـ يقول (... ان سيدنا عبدالاله يقول .. ان كلمات أو مقالات من الدرجة الثانية أو الثالثة كهذه دعوها تدخل الى العراق وعليكم أن تتضامنوا مع الصحافة المصرية) .

اعنف مشادة مع مدير الاوقاف العام ؟

كان (رؤوف الكبيسي) مديراً عاماً للأوقاف والشؤون الدينية وهو من الشخصيات الوطنية التي ساهمت في الحقل الوطني والقومي ومن المحسوبين على (جميل المدفعي) .

استدعاني ـ الخياط ـ وقال : ان مدير الاوقاف العام سيقوم بجولات تفتيشية ميدانية في الوية العراق فإياك أن تسمح بنشر أي كلمة أو خبر أو تعليق حول هذه الجولات ؟ والواقع لم احاول أن أفهم السبب لهذا المنع فليس من حقي ذلك ، وربما كان مثل هذا ـ المنع ـ صادراً عن « مقام عال » في الدولة وليس عن مدير الدعاية العام ؟ ولهذا فقد عددت هذا الامر أمراً دعائياً واجب التنفيذ .

لقد بلغت (علي الفراتي) الأديب الشاعر ومندوب الاخبار المحلية بذلك .. انتهت جولة ـ مدير الاوقاف العام ـ بعد عشرة أيام تقريباً ولما ينشر أي خبر عنها من خلال الصحف والاذاعة .. وذات ضحى وأنا في غرفتي الصغيرة في الدعاية العامة واذا بـ (رؤوف الكبيسي) يدخل الى غرفتي وهو عابس الوجه ومقطب الجبهة ويسالني : (أين هو مديرك العام يا شاكر ؟) . أجبته : ربما في البلاط الملكي لان موعده هنالك في كل يوم ثلاثاء واليوم ثلاثاء ؟ قال وبعد أن تفوّه بكلمات قاسية ضد المدير العام .. لماذا لم تنشروا اخبار جولاتي الى الالوية ـ أي المحافظات ـ ؟. أجبته : لا أدري واني لم ياتني أي خبر عنها حتى اللحظة ولو جاءني أي خبر إذن لما تاخرت عن نشره واذاعته . فهذا من صميم واجباتي الاعلامية .. قال : أنا ذاهب الى الاوقاف وعندما يعود المدير العام فليخابرني ؟ عاد ـ المدير العام ـ فاخبرته بكل ما جرى مع (رؤوف الكبيسي) وانه زعلان علينا ويرجو أن نتصل به تلفونياً وأرى انه من الضروري أن نلخص ـ جولاته ـ الميدانية كلها خلال الاسبوع الماضي ونذيعها في الساعة السادسة من هذا المساء وننشرها في الجرائد غداً ، فوافق المدير العام على رأيي هذا ولكنه لم يتصل بمدير الاوقاف العام تلفونياً ، وانما أمرني بالاتصال به واخباره بأن يسمع أخبار جولته في الساعة السادسة مساءً من الاذاعة ويقرأها في الجرائد غداً .. وبهذا التدبير أو التصرف استطعت أن أتفادى ـ مشكلة اعلامية ـ ولا فخر ، بين مدير الدعاية العام أحمد زكي الخياط وبين مدير الاوقاف العام رؤوف الكبيسي وهما من موظفي الدولة الكبار البارزين ومن المحسوبين كليهما على (عبدالاله) .

ولم أعرف ـ والله ـ ما السبب في هذه المشادة الضيقة بين الاثنين .. والقصد من تسجيل هذه المشادة لكي اعطي صورة من صور المعاناة التي قد يعيشها رجل الاعلام ولا سيما في عراقنا وفي تلك العهود التي اصبحت في ذمة التاريخ

مع مصطفى العمري وسعد صالح والجواهري ؟

كان وزير الداخلية في وزارة حمدي الباجهجي الاولى مصطفى العمري ، وكان وزير المالية فيها (صالح جبر) وهما من اقطاب الوزارة وأركانها ..

يومها جرت في مجلس النواب معركة برلمانية جدلية عنيفة جداً بين الوزارة والمعارضة الوطنية إذ تطرقت المعارضة على لسان ـ سعد صالح ـ البرلماني

المعروف والاديب الموهوب والخطيب المفوه المرموق الى تعسف ـ الرقابة ـ على الصحف المحلية الى درجة لا توصف ولا تحتمل بحيث ان (الرقباء) على الصحف يتعسفون في استخدام صلاحياتهم بحيث أصبحوا يراقبون حتى خطب النواب المعارضين وكذلك بعض خطب الاعيان ؟ وقد ردّ (مصطفى العمري) وزير الداخلية بهجوم معاكس وقوي على حملة (سعد صالح) البرلمانية هذه وغيرها .. وأعلن مصطفى العمري بأن خطب النواب والاعيان مهما كانت لا تخضع للرقابة مطلقاً لان هؤلاء يتمتعون بالحصانة البرلمانية وبقدر ما يتعلق الأمر بي بصفتي رقيباً على جرائد الصباح الى جانب (ناجي القشطيني) مدير المطبوعات العربية ورقيب جرائد المساء فقد كنت أحضر معظم الجلسات النيابية بحكم واجباتي إن لم أقل كلها مع اخواني وزملائي اصحاب الصحف المحلية وبعض مندوبيها ومحرريها .

وقد استمعت ـ بحكم حضوري ـ الى تلك المشادة العنيفة بين الحكومة والمعارضة والى تصريح ـ وزير الداخلية ـ وهو وزيري طبعاً ، لأن الدعاية والتوجيه والنشر ترتبط بوزارة الداخلية ، كما نوهنا سابقاً .

الرقيب .. والوزارة .. والمعارضة

في ذلك اليوم العاصف البرلماني وهو اليوم الذي شهد أروع وأعنف خطاب القاه ـ سعد صالح ـ في مجلس النواب وأروع وأقوى رد القاه مصطفى العمري وزير الداخلية استدعاني ـ مدير الدعاية العام ـ أحمد زكي الخياط الى مكتبه وناولني ورقة صغيرة كتب عليها الآتي (الى رقيب جرائد الصباح شاكر علي التكريتي نفذوا ما يلي : (١) يجب عدم السماح بنشر خطاب سعد صالح الذي ألقاه في مجلس النواب ما لم تنشر معه ردود الحكومة في نفس العدد . و (٢) ابلاغ ناجي القشطيني رقيب جرائد المساء بذلك لتنفيذ هذا الأمر) .

وقد بلغت ـ ناجي القشطيني ـ رقيب جرائد المساء بذلك وأخذت توقيعه على تلك الورقة الصغيرة ، وجرائد المساء ـ يومها ـ هي جريدة (اليقظة) لسلمان الصفواني والمعروفة بتيارها القومي وجريدة (الرأي العام) لصاحبها محمد مهدي الجواهري والمعروفة بتيارها الديمقراطي اليساري وجريدة (الحوادث) لصاحبها ـ عادل عوني ـ وهي الجريدة (الخفيفة) التجارية والتي ما كانت مطبوعة بطابع معين .

وفي الساعة الثامنة مساءً ـ وكالعادة وأنا في وزارة الداخلية ـ بقصد مراقبة صحف الصباح فقد لاحظت ان جميع الجرائد التي تتعاطف مع الوزارة القائمة لم تنشر خطاب (سعد صالح) وان جريدة البلاد لصاحبها ـ روفائيل بطي ـ هي الجريدة الوحيدة التي نشرت ذلك الخطاب وعلى الصفحة الاولى وبعناوين بارزة وبالنظر للعلاقة الأدبية والشخصية التي تربطني مع (ابي بديع) بطي فقد اشرت بالموافقة على نشر الخطاب اعتماداً على تصريح (وزير الداخلية) مصطفى العمري الذي أعلن بأن خطب النواب والاعيان لا تخضع للرقابة وخلافاً للأمر الذي أصدره لي مدير الدعاية العام بعدم السماح بنشر الخطاب ما لم تنشر معه في نفس العدد ردود الحكومة ؟ علماً بأن البلاد لم تنشر إلا خطاب (سعد صالح) وحده . نشر ذلك ـ الخطاب ـ الذي تطرق الى جوانب عديدة من السياسة العامة صباح يوم الجمعة ـ كما أتذكر ـ في الساعة العاشرة اتصل بي من الاذاعة ـ تلفونياً ـ محمود المعروف ، وقال لي بأن مدير الدعاية العام اتصل بك عدة مرات وهو يرغي ويزبد ويقول ـ ليخابرني شاكر علي للبيت ـ وهكذا فلم اخابره في ذلك الصباح ولم اداوم في الاذاعة كما هي عادتي في صباح كل جمعة ، وكنت أنتظر أن تزول ـ عصبية ـ المدير العام في صباح السبت التالي ، حيث استدعاني الى مكتبه وهو يتميز من الغيظ والغضب والتوتر والتشنج بشكل لا يوصف ؟ وقد سألني عن السبب الذي دعاني الى مخالفة ـ أمره ـ الواضح الصريح ؟ فاجبته السبب هو اني اخذت بتصريح وزير الداخلية بأن خطب النواب والاعيان تنشر دون رقابة ودون قيد أو شرط ورجوته تاجيل ـ توبيخي ـ حتى الساعة الثانية عشرة ظهراً ، حيث سيثار الموضوع في المجلس النيابي لان رقيب جرائد المساء منع جريدة « الرأي العام » من نشر الخطاب فلم تنشره ؟ ورويت له القصة كاملة وعلى الوجه الاتي :

ان « مهدي الجواهري » صاحب جريدة (الرأي العام) المسائية وصديق (سعد صالح) حاول أن ينشر هو الآخر خطاب (سعد صالح) وقدم له بهذه المقدمة (نشرت الزميلة ـ البلاد ـ الغراء صباح هذا اليوم خطاب النائب المحترم ـ سعد صالح ـ والذي ألقاه في مجلس النواب .. وها نحن نعيد نشره في جريدتنا الرأي العام اتماماً لفائدة القراء ...) .

والذي حدث هو ان رقيب جرائد المساء ـ ناجي القشطيني ـ لم يسمح بنشر الخطاب المذكور وكتب على ـ مسودات ـ الجريدة هذه العبارات (... لا يجوز نشر هذا الخطاب ما لم تنشر معه ردود الحكومة في نفس العدد وذلك بأمر ـ سعادة

الاستاذ أحمد زكي الخياط ـ مدير الدعاية العام ؟) . التزم الجواهري ولم ينشر الخطاب وركب ـ عربة ـ الى حيث دار (سعد صالح) في الصالحية واطلعه على منع ـ الرقيب ـ نشر خطابه ، وقال له : وزير الداخلية يصرح بأن خطب النواب تنشر دون رقابة ودون قيد أو شرط ومدير الدعاية العام يمنع نشر الخطاب ، وسلمه ـ مسودات ـ الجريدة بوصفها ـ الوثيقة ـ والدليل على كذب الوزارة ؟ وفي اليوم التالي انعقدت ـ الجلسة النيابية ـ وكان المتكلم الأول فيها النائب (سعد صالح) إذ قال أيها الاخوان تتذكرون ما صرح به الأخ وزير الداخلية في الجلسة السابقة من ان خطب النواب والاعيان تنشر دونما رقابة وشروط لأنهم يتمتعون بالحصانة النيابية .. ولكن جريدة (الرأي العام) المسائية قد منعها ـ الرقيب ـ من نشر خطابي ؟ ولوّح أمام النواب المحترمين بالوثيقة الدامغة وهي مسوّدات الجريدة وهنا انتفض ـ مصطفى العمري ـ وزير الداخلية وقال : اذا كان هذا صحيحاً فلا بدّ من اجراء التحقيق مع رقابة المطبوعات والصحافة .

وفي اليوم نفسه استدعاني ـ وزير الداخلية ـ الى مكتبه بديوان الوزارة ، ونورته بالكيفية وان هناك أمراً من مدير الدعاية العام بمنع خطاب ـ سعد صالح ـ ما لم تنشر معه ردود الحكومة في نفس العدد ، ولكني أخذت بتصريحكم ولم أمتثل لأمر مدير الدعاية العام ، وسمحت لجريدة ـ البلاد ـ بنشره في الصباح ولكنْ ـ ناجي القشطيني ـ رقيب المساء التزم بأمر مدير الدعاية العام فلم يسمح لجريدة (الرأي العام) بنشره ، وهنا وفوراً استدعى ـ وزير الداخلية ـ كلًا من مدير الدعاية العام ورقيب المساء ، وحقق معها الاثنين ـ وأنا شاهد للتاريخ ـ قال ـ الخياط ـ ان رقيب المساء ـ ناجي القشطيني ـ قد تصرف من عند نفسه ومنع (الجواهري) من نشر خطاب ـ سعد صالح ـ بدليل ان (شاكر علي التكريتي) رقيب جرائد الصباح قد سمح لجريدة (البلاد) بنشره دون قيد أو شرط .

قال ـ العمري ـ بعد أن تفهم الحقيقة .. تفضلوا الى غرفكم ومن ثم نستكمل التحقيق .

خرجنا ـ نحن الثلاثة ـ من غرفة ـ الوزير ـ الى حيث غرفتي الصغيرة في مديرية الدعاية العامة فقال لي ـ الخياط ـ أين هو الامر الذي أعطيتك إياه بمنع نشر خطاب ـ سعد صالح ـ؟ وعندما تسلمه من عندي مزقه بيديه برغم ان ـ القشطيني ـ أمسك بيديه ليحول دون تمزيقه .

وبهذا كان (سعد صالح) و (الجواهري) هما ـ المنتصران ـ بعد هذا في

المعركة النيابية وكان (روفائيل بطي) ـ صاحب البلاد ـ هو ـ المنتصر ـ فى نشر الخطاب المذكور دون غيره ؟

موقف صحفي تاريخي مع (الباجهجي) رئيس الوزراء

استدعاني ـ أحمد زكي الخياط ـ وقال لي : ابني شاكر ؟ في الساعة السابعة من مساء اليوم أرجو أن تذهب الى دار حمدي الباجهجي رئيس الوزراء في الكرادة الشرقية وهو في انتظارك وأملي فيك أن تبيض وجهي لاعتمادي عليك وهو يريد أن تكتب له مقالًا حول المعارضة ؟. وهكذا كان فقد استأجرت عربة رقم (٢٥) يجرها حصان ابيض من داري في العلوية الى دار رئيس الوزراء ، وقد استقبلني شخص كان في انتظاري في حديقة الدار .. ادخلني الى غرفة الاستقبال في الوقت الذي كان فيه (الباجهجي) يلعلع صوته عالياً ويستشيط غضباً وعجباً وهو يتحدث في الغرفة المقابلة مع بعض ـ فلاحيه ـ المزارعين لأن مدير الناحية كان قد وبخهم بشدة وطردهم وقال لهم : روحوا اشتكوا عليَّ عند الباشا . بعدها دخل ـ الباشا ـ الى غرفة الاستقبال وسلم عليَّ وهو يقول : ابني ؟ هاي شلون حكومة ؟ مدير الناحية يطرد الفلاحين العائدين لي ، ويقول لهم : روحوا اشتكوا . وعندما اسألهم عن السبب يقولون ـ ما ندري ـ .. بعد أن شربت القهوة والشاي سألني ـ الباشا ـ عما اذا كنت قد حضرت صباح اليوم جلسة مجلس النواب أم لا ؟ فاجبته باني وبحكم واجباتي ومسؤولياتي ـ كمراقب للصحافة والمطبوعات ـ أحضر كل الجلسات البرلمانية تقريباً .

قال ـ الباشا ـ اذا كان الامر كذلك فما رأيك في الهجوم الذي شنته المعارضة ضدي بالذات وضد الوزارة القائمة ؟ أجبته : انه تجن وغمط لبعض الحقائق ؟ قال اريد أن أرد عليهم بمقال افتتاحي ينشر صباح غد في احدى جرائد الصباح المؤيدة للحكومة ؟ قلت : أمرك ـ باشا ـ ولكن ـ فخامتك ـ قد رددت على المعارضة بقوة وحجة منطق ، كما ان (مصطفى العمري) وزير الداخلية و (صالح جبر) وزير المالية قد ردا على المعارضة .. قال : (ولكن قلبي لم يبرد ؟) . وهنا نهض من كرسيه وراح يملي عليَّ (رؤوس اقلام) ونقاطاً اساسية من حيث ـ المحتوى ـ والاطار العام للمقال ، رجوت ـ الباشا ـ أن يسمح لي بان اخابر جريدة (الاخبار)

لصاحبها ـ جبران ملكون ـ حول الموضوع واخباره بأن المقال الافتتاحي سآتي به بعد الساعة التاسعة بنفسي الى الجريدة وانني الآن في دار ـ الباشا ـ وهكذا كان .

ودعت ـ الباشا ـ وقصدت أقرب ـ بار ـ على شارع (ابي نؤاس) حيث حررت ـ المقال ـ في ضوء توجيهات ـ الباشا ـ ورؤوس اقلامه ونقاطه الجوهرية ، ومن ثم ذهبت الى جريدة ـ الاخبار ـ في الحيدر خانة حيث كان صائق الازدي ومحمود عبدالكريم في انتظاري .. وتوا نضد المقال وصححته لكي يصدر في صدر الصحيفة في اليوم التالي بعنوانه الجذاب .. وهكذا كان . وفي الغد استدعاني ـ الخياط ـ مدير الدعاية العام وشكرني وشجعني وقال ـ بارك الله فيك ـ لان ـ الباشا ـ مرتاح جداً من المقال وأوصاني بأن الطفك وأرفعك ، فقلت لمديري العام : لا شكر على الواجب ، والحمد لله على رضاء الباشا ورضاك واني غير مستحق الترفيع فقد ترفعت منذ سنة .. جدير بالذكر ان الموظفين والمحررين المتميزين لم يحلموا حينذاك باعطائهم أية مكافاة مادية أو عينية .

في جريدة (الفجر الجديد) المسائية

في عصر ذلك اليوم زرت جريدة (الفجر الجديد) المسائية لصاحبها (الحاج طه الفياض العاني) فسألته في اثناء الحديث هذا السؤال : هل قرأت ما نشرته جريدة « الاخبار » صباح اليوم حول المعارضة وما فيه من نقاط ضعف وتهافت ؟ انك مسلم مؤمن بالحق وان المسلم الحقيقي هو الذي يدافع عن الحق والمثل المشهور يقول (الساكت عن الحق شيطان اخرس) فلماذا لا ترد على ذلك المقال وتبرىء ذمتك الوطنية والصحفية ؟ ومن هو أجدر منك بازهاق الباطل ودعم الحق ؟

استفززت ـ الحاج طه الفياض ـ وهنا أخذني (ابو حيدر) من يدي الى حيث الغرفة الثانية وقال : هذا قلم وهذا ورق فاكتب الرد كما تشاء وأنا أنشره ـ كما هو ـ عصر الغد ؟ وهكذا كتبت الرد على مقال ـ الباشا ـ الذي حررته بقلمي في ضوء (رؤوس اقلامه) وأنا أعرف من غيري بنقاط الضعف التي ينطوي عليها ؟

وبعد نشره استدعاني ـ الباشا ـ ثانية ولكن الى ديوان مجلس الوزراء هذه المرة ، وقال .. أقرأت الرد الذي نشرته جريدة (الفجر الجديد) على مقالي ؟ قلت .. نعم ؟ وقد عرض عليَّ ـ الرقابة ـ واجيز .. قال : اذن لنكتب رداً آخر

جديداً على تلك الجريدة ؟ قلت : أمرك باشا ؟ ولكن اصحاب الجرائد تروج جرائدهم عندما يهاجمون الحكومة أو رئيس الوزراء أو الوزراء وكلما رددنا عليهم ردوا علينا ، وهذه قصة لا تنتهي والامر أمرك سيدي .. قال - رحمه الله - اذن دعهم وشأنهم ، وابلغ - مدير الدعاية العام - بذلك حتى يتميز الحق من الباطل والمخلص من الخائن .

كتاب - فيصل بن الحسين -

اروع ما تركه - أحمد زكي الخياط - مدير الدعاية العام في عهده ذلك الكتاب النفيس عن الملك الهاشمي - فيصل بن الحسين - فقد قامت بتاليفه لجنة على مستوى عال من بعض الكتاب والمؤرخين يساعدهم بعض (السكرتارية) من أمثال الصديقين العزيزين (نجدة فتحي صفوة) والدكتور فخري شهاب وشاكر علي التكريتي بالاضافة الى بعض العسكريين .. وقد خصص لمشروع الكتاب حوالي (٩) تسعة آلاف دينار ارتفع فيما بعد الى (١٥) خمسة عشر الف دينار .. وقد صدر الكتاب بثوب قشيب وتحقيق دقيق وما يزال يسد فراغاً ملحوظاً في المكتبة العراقية والعربية بالرغم من صدور العديد من المؤلفات الاخرى عن فيصل الاول بعد هذا ولا سيما الكتاب الذي أصدره الدكتور - عبدالمجيد كامل - في - الثمانينات - .

وزارة توفيق السويدي والغاء الرقابة على الصحف

استقالت وزارة (حمدي الباجه‌جي) الثانية بعد أن تحملت من الاعباء والمسؤوليات الجسام ما لم تتحمله وزارة اخرى ولا سيما تلك - المناورات - التي كان يشارك فيها الانكليز من وراء ستار وتُحبك بيد (عبدالاله) الوصي على عرش العراق وبطانته من حوله . وقد ألّف الوزارة الجديدة توفيق السويدي خلافاً لرغبته واثباتاً للوصي الذي كان يشك في تجاوبه معه بانه لا يتاخر عن تلبية رغبته .. أسجل هذا على ذمة - استاذنا الجليل عبدالرزاق الحسني - صاحب موسوعة (تاريخ الوزارات العراقية) وما هي إلا أن تضع الحرب العامة أوزارها ويقوم

ـ السويدي ـ بتاليف الوزارة الجديدة لكي تتماشى مع الاوضاع الجديدة أوضاع ما بعد الحرب ، حيث الغيت الاحكام العرفية ورفعت ـ الرقابة ـ على الصحف وتالفت خمسة أحزاب سياسية هي حزب الاحرار والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وحزب الشعب وحزب الاتحاد الوطني وبالغاء ـ الرقابة ـ على الصحف وتاليف الاحزاب السياسية خفّت ـ نسبياً ـ مسؤوليات ـ الدعاية العامة ـ وخلد ـ قلم الرقيب ـ الاحمر الى الراحة والسكينة وعشنا ـ نحن الاعلاميين ـ الفرحة ولكنها (الفرحة التي ما دامت ؟) فقد استقالت ـ الوزارة السويدية ـ في خريف سنة ١٩٤٦ بعد أن عارضها مجلسا النواب والاعيان وتخلى ـ الوصي ـ عن دعمها ، وراحت الأوساط الرسمية والوطنية تتحدث عن مجيء وزارة محايدة برئاسة الامير زيد بن الحسين شقيق فيصل الأول تقوم باجراء انتخابات عامة جديدة ـ تاريخ الوزارات العراقية ـ ولكن الذي حصل هو العكس فقد كلف (ارشد العمري) أحد اعضاء مجلس الاعيان بتشكيل الوزارة الجديدة .. وقد ألّف وزارته من عشرة وزراء وكان ـ عبدالله القصاب ـ وزيراً للداخلية وهو الوزير الذي ترتبط به مديرية الدعاية العامة .. كما كان وزير الخارجية ، لاول مرة الدكتور محمد فاضل الجمالي ، ولم تستطع هذه الوزارة الاستمرار في الحكم أكثر من ستة أشهر بسبب عدم التجانس بين اعضائها ولان ـ اصابع ـ الوصي على عرش العراق لم تحسن حبك ـ النسيج ـ الوزاري المرحلي ، ولان (ارشد العمري) لا لون سياسياً له ، كما لا طعم سياسياً فيه ، وهو أقرب ما يكون الى رجال الادارة منه الى رجال السياسة ؟

اصعب وأعقد مرحلة عشتها في الدعاية العامة مع ارشد العمري وأنا الموظف الصغير في الدعاية ؟

كانت تلك ـ المرحلة ـ من المراحل الصعبة والمعقدة في حياتي الوظيفية والادارية . وكان (عبدالجبار الامين) مديراً عاماً للدعاية ، وكان ـ وزيري ـ كما ذكرت (عبدالله القصاب) وزير الداخلية ، ومن اسرة ـ القصاب ـ البغدادية المعروفة .

حضرت حفلة الاستيزار

من تقاليد ـ الحكم الدستوري ـ في العهد الملكي أن تقام حفلة استيزار كبرى اثر تاليف الوزارة الجديدة وأن يلقي فيها ـ رئيس الوزراء الجديد ـ كلمة يوجهها الى كبار موظفي الدولة حول سياسة الوزارة ومنهاجها الجديد .. وهكذا اقيمت ـ حفلة الاستيزار ـ والقى (ارشد العمري) رئيس الوزراء كلمة غريبة في نوعها ولونها جاء فيها العبارات الآتية : (اخواني طالما جئت الى هذه القاعة من قبل كموظف مثلكم ، وقد حضرت عدة احتفالات من هذا النوع ، وبالنتيجة وصلت الى هذا المنصب رئيس الوزراء . وان الطريق مفتوح أمامكم اليه . وها أنا منكم واليكم ، لقد كان رائدي دوماً السعي لاداء واجب الوظيفة والخدمة الصادقة لهذه المملكة ، ومهما تعقدت مشكلات الزمان فليكن رائدكم الحق لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه ... الخ) .

ان الذي يتمعن في هذه الكلمات البسيطة التاريخية وفي قائلها رئيس الوزراء يدرك فوراً ان رئيس الوزراء الجديد (ارشد العمري) لم يستوزر عن طريق الحزبية أو العمل السياسي وانه ـ كما يقول ـ قد تسلق على السلم الوظيفي حتى بلغ القمة وأصبح رئيساً للوزراء . وبمعنى آخر فان (رئاسة الوزراء) في نظره هي ذروة الجهاز الوظيفي الاداري ولهذا فقد أهاب بالموظفين الى الاخلاص والاقتداء به ، إذ ربما سيصبح بعضهم أو أحدهم رئيساً للوزراء . من ناحية ثانية فان كلمة (الاستيزار) هذه قد تدل على هبوط المستوى الوزاري والسياسي في تلك المرحلة . من خلال هذه الحقائق التي لا يصدقها ولا يماري فيها إلا كذاب أشر واجهت مديرية الدعاية العامة مشاكل وصعوبات انصبّت على وزير الداخلية فمدير الدعاية العام فمدير المطبوعات العربية فمدير المطبوعات الاجنبية فمراقب المطبوعات والصحافة والاذاعة وهو (أنا) والى القراء بعض التفصيلات والتوضيحات في العرض الآتي :

وجهاً لوجه مع (ارشد العمري) وحوار معه

... وأنا في غرفتي ـ في مديرية الدعاية العامة ـ اتصل بي مرافق رئيس الوزراء وقال لي بأن رئيس الوزراء يطلب حضورك فوراً لمقابلته .. هرعت الى رئيسي المباشر (مدير الدعاية العام) وأخبرته بالنداء التلفوني وان رئيس الوزراء يطلبني بالاسم

وهو لا يعرفني مطلقاً قبل الآن ؟ قال : اذهب فوراً ولبِّ النداء وساخبر (عبدالله القصاب) وزير الداخلية بذلك .

دخلت على (ارشد العمري) وهو يذرع الغرفة طولًا وعرضاً فحييته وأجابني بـ (أهلًا وسهلًا) ، وسالني : أأنت شاكر علي التكريتي ؟. فاجبت : نعم . قال : وما هي وظيفتك في الدعاية العامة ؟ قلت : مراقب الصحافة والاذاعة والمطبوعات . قال : ومنذ كم سنة ؟ قلت : منذ سنة ١٩٤٢ ، ومنذ كان (نورالدين داود) مديراً عاماً للدعاية . وسالني : أتدري لماذا اخترتك واستدعيتك من دون الموظفين الكبار ؟ قلت : لا أعرف سيدي ؟ قال : لاني لا أثق بالموظفين الكبار في كل الوزارات ولانهم يعتمدون على الموظفين الصغار باعتبارهم هم (الحجر الاساس) الذي يقوم عليه البناء الاداري وجهاز الدولة وهذا هو المغزى من كلمة (الاستيزار) التي ارتجلتها في الحفلة .. ولهذا فقد استدعيتك مباشرة الى هنا دون سواك . واضاف يقول : ابني شاكر . شد حزامك مع جماعتك في الدعاية لأن الوزارة مقدمة على مشاريع وأعمال جبارة وبخاصة مشروع (العشر سنوات) الذي هو تحت الدرس قبل الآن .. واعتقد بأن بعض الاحزاب السياسية ستقف ضد الحكومة القائمة وبخاصة في قضية ـ فلسطين ـ ولها رأيها في حل هذه المشكلة . ابني ، اذهب الآن وسأدعوك ثانية ، وبلغ ـ المدير العام ـ بذلك .. وهكذا ودعته وخرجت من لدن ـ فخامته ـ الى حيث الهواء الطلق والسلامة ، وحمدت الله على ان كانت ـ المقابلة ـ اعتيادية وان (النار كانت برداً وسلاماً على ابراهيم) . نقلت هذا الموقف الى رئيسي (عبدالجبار الامين) مدير الدعاية العام ، فقال : بارك الله فيك ، وهذا أملي فيك .. .

الاصطدام الاول مع لجنة الاحزاب العراقية في عهد ارشد العمري

اصدرت لجنة الاحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين بياناً مهماً أعلنت فيه الاضراب العام في العراق وحملت حملتها الشعواء على (الوزارة الارشدية) القائمة واجراءاتها التعسفية ضد الاحزاب المؤتلفة وانشطتها السياسية وعدم الاهتمام البالغ بقضية فلسطين وقد اعلنت ـ اللجنة ـ حل نفسها بنفسها تعبيراً عن استنكارها لموقف الوزارة من قضية فلسطين .

وقد أزعج ذلك ـ البيان ـ غير المنتظر ارشد العمري رئيس الوزراء وأوعز لنا ـ نحن رجال الدعاية ـ عن طريق ـ وزير الداخلية ـ باعداد رد قوي بتوقيع ـ مدير الدعاية العام ـ ونشره واذاعته من خلال وسائل الدعاية والنشر كالعادة .. وهكذا فقد اعددنا الرد بشكل (تصريح رسمي) للرأي العام حيث كذبنا فيه ما جاء في بيان (لجنة الاحزاب العراقية) التي حلّت نفسها بنفسها لتهربها من المسؤوليات القومية ، كما ان الحكومة بدورها لم تمنع أحداً أو لجنة من جمع التبرعات من أجل نصرة فلسطين بعد توحيد الجهود مع جمعية الدفاع عن فلسطين ، وقد نوهنا بالمبالغ الجسيمة التي رصدتها الحكومة في الميزانية العامة لهذه الغاية ، أي نصرة فلسطين .

والحق ان ارشد العمري رئيس الوزراء قد ارتاح لذلك ـ البيان ـ الذي اصدرناه باسم (مدير الدعاية العام) والذي كان بداية التوتر مع الاحزاب السياسية ومع الصحف المعارضة التي اضرب بعضها عن الصدور .

ثانية وجهاً لوجه مع ارشد العمري

تطور الوضع السياسي العام وتفاقم بشكل راح ينذر بالخطر الداهم وتفجر الثورة الشعبية فكانت أحداث ـ الصالحية ـ في بغداد وكاوور باغي في كركوك واحتجاجات العمال الصاخبة وسقوط بعض الشهداء والصرعى والضحايا .

في ذلك الجو الصاخب اللاهب ونحن ـ رجال الدعاية والاعلام ـ ندافع عن انفسنا أمام الاحزاب والرأي العام استدعاني ـ ارشد العمري ـ الى مكتبه في مجلس الوزراء وكأن هذه الاضطرابات الخطيرة لم تحدث . استدعاني وسألني : مَن هو الذي كان السبب في اعادة ـ محمد القبانجي ـ الى الاذاعة لقراءة المقامات . أجبته : سيدي ، هنالك لجنة فنية مسؤولة مباشرة عن تنظيم برامج الاذاعة برئاسة ـ جميل بشير ـ وبعض الفنيين والعازفين . وقد كان ـ القبانجي ـ مقاطعاً للاذاعة لان الاجور التي كان يتقاضاها لا تزيد عن (٣) ثلاثة دنانير عن الحفلة الواحدة في كل اسبوع وذلك اسوة بالمطربين ـ المتميزين ـ الآخرين .. ولهذا السبب وحده قاطع قراءة المقام من خلال ـ الميكروفون ـ لانه يرى ـ مستواه ـ في العراق أعلى من مستوى محمد عبدالوهاب وام كلثوم في مصر .. وقد اضطررنا بعد هذا على استحصال موافقة

وزارة المالية على رفع اجور الحفلة الواحدة من (٣) دنانير الى (١٠) عشرة دنانير لكي يعود الى قراءة المقامات .. وفعلًا فقد عاد للغناء وما يزال يغني . قال ـ العمري ـ : اذن خفض اجوره الى (٣) دنانير لكي يقاطع الاذاعة ثانية ولا يغني . وهكذا كان .

وأردف ـ العمري ـ يقول : وكذلك ـ علي الدبو ـ قارىء ـ المونولوج ـ ابعدوه عن ـ الميكروفون ـ بعد الآن كيلا يغني مونولوج (يطوطح .. يتلولح .. سكران بالك عنا فلوس العرق ما منا ..) وكان العمري ـ وهو يقول هذه الكلمات ـ يقلد (علي الدبو) في حركاته عندما يقرأ ـ المونولوج ـ . قلت : أمرك سيدي .. وقبل انصرافي قال لي : بلغ ـ جميل بشير ـ والفرقة العازفة ليكونوا غداً هنا وفي نفس هذا المكان ـ ديوان رئاسة الوزراء ـ وذلك في الساعة (١٢) الثانية عشرة ظهراً .. وفي اليوم التالي ـ ظهراً ـ حضروا أمام رئيس الوزراء وسألهم عن كيفية اعداد البرامج الاسبوعية ووعدهم بأن يرفع رواتب ثلاثة منهم اثنين درجتين والثالث ثلاث درجات . وقد عدلنا بسرعة جدول (ق) لهذا الغرض وبلغناهم بالترفيع وجاءوا ثانية الى ديوان مجلس الوزراء لتقديم الشكر (لفخامته) علماً بأن جدول (ق) لا يعدل إلا في حالات الضرورة ولدى تعيين بعض الاشخاص الاكفاء لاستكمال الملاك عند الضرورة وقد قمت بهذه العملية السريعة ـ أي تعديل جدول ق ـ بنفسي ونقل ـ المعاملة ـ يدأ بيد خلال (٤٨) ساعة بين (عبدالله القصاب) وزير الداخلية و (يوسف غنيمة) وزير المالية .

والاغرب من كل هذا وذاك ومن هذه ـ العملية ـ هو ان (العمري) بعد ثلاثة أسابيع أو أربعة استدعاني وأمرني بأن اطرد (الثلاثة) الذين أمر بترفيعهم من الاذاعة نهائياً ولما يمض على الترفيع شهر واحد ولم يعودوا الى الاذاعة إلا بعد أن قدم ـ العمري ـ استقالته وشكل الوزارة ـ نوري السعيد ـ .

والسؤال الذي يتوارد الى الذهن هو .. لماذا رفع (العمري) اولئكم (الثلاثة) العازفين ؟ ولماذا طردهم خلال مدة قصيرة جداً ؟ يجيب بعض المفسرين ـ ورحم الله المفسرين ـ .. ان (العمري) اعجب (بالثلاثة) في احدى الحفلات الساهرة وقد عزفوا فيها عزفاً جيداً ولهذا فقد حباهم ـ بالترفيع ـ والتكريم .. ولكن ـ الثلاثة ـ في حفلة ساهرة اخرى لم يعزفوا جيداً فلم ينالوا رضاه فغضب عليهم وأمر بطردهم .

ثالثة مع ـ العمري ـ رئيس الوزراء وهو يزور دار الاذاعة ليلاً

في تلك الظروف الخطيرة ـ وأنا مراقب الاذاعة ـ زار ـ ارشد العمري ـ دار الاذاعة من غير ما موعد وانما مفاجاة ! استقبلته وهيات له (جميل بشير) و (مهندس الاذاعة) ومدير الاسطوانات والتسجيلات وبدأ يفحص الاسطوانات التركية واحدة فواحدة حتى بعد أن انتهت الاذاعة من البث بعد الساعة العاشرة والنصف ليلاً .. قال (العمري) رئيس الوزراء لجميل بشير : هذه ـ المجموعة ـ من الاسطوانات وحدها هي التي تذاع من دار الاذاعة .. وهذه المجموعة الثانية لا تذاع مطلقاً وان مدة الاسطوانات التركية يجب أن تمدد من (١٥) دقيقة الى (٣٠) دقيقة ؟ وانه ـ أي رئيس الوزراء ـ سيتصل غداً بالسفارة العراقية في تركيا لتزويد الاذاعة باسطوانات جديدة في ضوء ـ القائمة ـ التي سترسل الى سفارتنا في (انقرة) وهذا الذي حدث بالضبط خلال اسبوع أو عشرة أيام إذ وصلت الاسطوانات المطلوبة الى الاذاعة بسرعة قياسية .

رابعة .. وجهاً لوجه مع (العمري) ؟

استدعاني (ارشد العمري) رئيس الوزراء الى ديوان مجلس الوزراء في مرحلة كانت فيها اسعار الورق ومواد الطباعة مرتفعة جداً حيث كان بعض اصحاب الصحف المحلية يلوحون بالاضراب وعدم اصدار صحفهم . قال : غداً .. بلغ رجال الصحافة ـ أو أهل الصحافة على حد تعبيره ـ بالحضور الى ديوان مجلس الوزراء للمشاركة في مؤتمر صحفي يعقده لمعالجة بعض مشاكل الصحافة .. حضروا في اليوم التالي فسألهم هذا السؤال : لماذا تلوحون بالاضراب ؟ فشرحوا له الاسباب والظروف الصعبة ... قال : الآن ولو بصورة تقديرية وتقريبية اريد أن أعرف مصروفات الجريدة الواحدة وارداتها . فقدموا له كشفاً سريعاً بالمصروفات والواردات . قال (العمري) : ولكنكم نسيتم مورداً مهماً لم تضيفوه الى قائمة الواردات .. فسألوه : وما هو يا فخامة الرئيس ؟ قال : انها « المخصصات السرية » التي تقبضونها من

الحكومة . وقال : الآن ينتهي المؤتمر وكل واحد منكم يمشي في الطريق الذي يعجبه . اما يصدر جريدته أو لا .

انفضّ المؤتمر الصحفي وانصرف ـ أهل الصحافة ـ الى دور صحفهم وبقيت مع ـ رئيس الوزراء ـ واثنين من الكتاب الذي كنا نستكتبهم في المناسبات بأجور مقطوعة .

طلب مني ـ رئيس الوزراء ـ أن أتصل في تلك اللحظة بصاحب جريدة (الاخبار) جبران ملكون وبصاحب جريدة (العالم العربي) سليم حسون وأن أبلغهما ـ تلفونياً ـ بأن جريدتيهما منذ الآن قد اصبحتا تحت تصرف ـ مديرية الدعاية العامة ـ من حيث التحرير والتصدير ، فكان الجواب بالايجاب طبعاً ! ومن ثم التفت اليّ وقال : وأنت يا شاكر . في الساعة العاشرة من كل صباح تكون حاضراً عندي لكي اعطيك ـ عناوين ـ المقالات التي يجب أن تكتب وتنشر في تينك الجريدتين وأنت بمعرفتك توزعها على الكتاب الذين يتعاونون مع ـ الدعاية ـ من أجل تحريرها وصياغتها ومن ثم نشرها .. وفعلًا فقد نفذ أمر ـ رئيس الوزراء ـ حرفياً كتابياً وتحريرياً وبشكل لم تالفه الصحافة العراقية من قبل .

ارشد العمري ـ ومجلة الوادي ـ وأزمة وزارية

اصدر وزير الداخلية (عبدالله القصاب) أمراً وزارياً وفي ضوء ـ صلاحياته ـ باستئناف صدور مجلة (الوادي) لصاحبها ـ خالد الدرة ـ وهي ـ لسان حال الزبانية ـ أذكر منهم حافظ جميل وعباس بغدادي ومحمود المعروف وحميد المحل ـ الرسام والكاريكاتير ـ المعروف وشاكر مصطفى سليم وشاكر علي التكريتي ـ مراقب الصحافة ومدحت الجادر وغيرهم ـ اعتذر لمن نسيت اسماءهم ـ .

لقد صدر العدد الأول من (الوادي) ـ بعد مدة التعطيل السابقة ـ وفيها طبعا تعريض بالوزارة القائمة وبرئيس وزارتها شخصياً فقامت قيامة ـ العمري ـ وحصل التوتر الشديد بينه وبين وزير الداخلية الذي سمح للمجلة باستئناف الصدور .

استدعاني استاذي (ناجي القشطيني) مدير المطبوعات العربية في الدعاية العامة وقريب (عبدالله القصاب) وقال لي (ابو سعدون) .. ابني شاكر . اليوم يومك .. فلقد حدثت ـ أزمة وزارية ـ وتوتر بين رئيس الوزراء ووزير الداخلية

بسبب اصدار مجلة (الوادي) ولا بد من سحب الامتياز وجمع جميع نسخ - الامتياز - الصادرة الى الدوائر والمؤسسات الرسمية .. وقد سحبنا فعلاً جميع النسخ الصادرة ولم نبق إلا النسخة الوحيدة التي هي في جيب - خالد الدرة - صاحبه - المجلة - إذ احتفظ بها ورفض سحبها من عنده .

في تلك الليلة سهرنا - ونحن جماعة الزبانية - في ملهى (الجواهري) احتفاءً بصدور العدد الجديد الذي تسبب في حدوث (أزمة وزارية) وقد تعاونت - مع محمود المعروف - على سرقة - النسخة الوحيدة - من جيب - خالد الدرة - واعطيناها الى (ناجي القشطيني) تنفيذاً لرغبته وانهاءً للخلاف الطارىء بين رئيس الوزراء ووزير الداخلية ؟

وقال - القشطيني - قولته المشهورة : شكراً لك يا مدير الموبقات . ولكن سرعان ما عاد التوتر من جديد بين (العمري) و (القصاب) - رحمهما الله - فقد طلب (العمري) من (القصاب) - وهو وزير الداخلية - أن يصدر أمراً الى الشرطة بضرب عمال شركة النفط فرفض - القصاب - واثر تقديم استقالته من الوزارة على أن يصدر مثل هذا الامر إذ قبلت الاستقالة فوراً وتولى - العمري - وزارة الداخلية بالوكالة الى أن تقدمت الوزارة باستقالتها في خريف سنة ١٩٤٦ ، فخلفتها وزارة (نوري السعيد) التاسعة وجيء بـ (خليل ابراهيم) لأول مرة مديراً عاماً للدعاية بالوكالة وهو من موظفي وزارة الخارجية المعروفين .

مع ارشد العمري وفاضل الجمالي وصحيفة عربية تصدر في - ديترويت - الامريكية

كان الدكتور محمد فاضل الجمالي وزير الخارجية في وزارة (ارشد العمري) في زيارة رسمية للولايات المتحدة الامريكية .. وقد نشرت احدى الصحف التي تصدر في (ديترويت) تصريحاً عن لسانه يتعلق بقضية فلسطين وكان في - التصريح - ما يتنافى والاتجاه العربي نحو فلسطين .. وبحكم واجبي - كرقيب على الصحافة والمطبوعات حجزت الاعداد الواردة الى الدعاية العامة - بوساطة البريد - واطلعت عليها - مدير الدعاية العام - فطلب مني أن اطلع عليها - رئيس الوزراء - فوراً .

ذهبت الى (ارشد العمري) واطلعته على الجريدة المذكورة فكتب عليها :

تعرض عليّ ثانية بعد عودة الجمالي من امريكا .

عاد ـ الجمالي ـ بعد ثلاثة أيام ، فاستقبله رئيس الوزراء الذي استدعاني ـ بوساطة المدير العام ـ دخلت على ـ العمري ـ وأنا أتابط الجريدة موضوعة البحث وبعد التحية والسلام قال رئيس الوزراء : اعط الجريدة للدكتور الجمالي ، فقرأها ـ الجمالي ـ وقال ـ العمري ـ : دكتور جمالي . أنت وزير خارجية العراق فكيف تصرح بمثل هذا ؟ أجاب الجمالي بأن هذا التصريح فيه تزوير وتحريف ، وان الصهيونية وراء ذلك . قال ـ العمري ـ : اذن فاكتب تكذيباً لكي ينشر في الصحف ويذاع في الاذاعة وهذه ورقة وهذا قلم ، واكتب التصريح الآن . كتب ـ جمالي ـ التكذيب اللازم واعطاه للعمري للاطلاع عليه فما أن قرأه حتى قال : هذا التكذيب ناقص لا يكفي . وناولني ورقة جديدة وأخذ يملي عليّ صيغة تكذيب جديدة . وقال : اعطه ـ للجمالي ـ حتى يوقعه . وهكذا كان إذ اذيع التكذيب من دار الاذاعة مساءً ونشر في جميع الصحف في اليوم التالي .

ارشد العمري .. الشخصية الجبارة ؟

بعد هذه الصور والمواقف والانطباعات الشخصية التي سجلتها عن (ارشد العمري) الذي عايشته ـ وهو رئيس الوزراء ـ لا بد من التاكيد على نقطة جوهرية ومهمة هي ان تلك الصور والمواقف تمثل بعض الجوانب من شخصية ـ العمري ـ الحاكم ولا تمثل شخصيته في حقيقتها واصالتها ولا اتردد في القول لابناء الجيل الحاضر بأن (ارشد العمري) شخصية جبارة ذات جذور واصول تاريخية عميقة هي جذور الاسرة (العمرية) العربية العريقة المعروفة على مستوى العراق والوطن العربي الكبير وقد انجبت عبر التاريخ فطاحل العلماء والادباء والمؤرخين .

و (ارشد العمري) هذا مهندس علم وعمل من الطراز الأول ومنذ العهد العثماني وما تزال مشاريعه وانجازاته عندما تولى ـ أمانة العاصمة ـ تتحدث عن شخصيته الفنية والعملية .. فهو واقعي وجدي قد يندر أمثاله وهو يخطط مشاريعه وتصاميمه على الارض وليس على قبة السماء كما يفعل (الرومانتيكيون) والشعراء . أو اولئك الذين يحرثون في البحر والماء . وهو الى ذلك يتميز بسرعة الخاطر والذكاء الخاطف والنكتة والنادرة ، كما يتميز بالصراحة والمجابهة وجهاً لوجه .

ومن هنا كان اخفاقه في السياسة العامة عندما شكل الوزارة (الارشدية) ذائعة الصيت .. وقد تعرفت على هذه الشخصية الفريدة ـ قبل أن يشكل الوزارة ـ من خلال شقيقه ـ أمجد العمري ـ الذي كان مديراً لناحية تكريت في ـ الثلاثينات ـ ومن (برهان الدين اسعد) مدير ناحية تكريت هو الآخر ، ومن خلال الصديق الكبير صهره (ممتاز العمري) مدير الداخلية العام في الخمسينات .. ولم يعرف عن (ارشد العمري) وهو في خدمة الدولة غير الاستقامة والنزاهة ونظافة اليد والضمير وغير الجرأة والشجاعة في مجال التخطيط والتنفيذ .

وقد تحدث ـ توفيق السويدي ـ في مذكراته عن (ارشد العمري) كشخصية سياسية بهذه العبارات : (... لقد ظهر بالتدقيق ان الزعزعة الفطرية التي يتمتع بها ـ ارشد العمري ـ رئيس الوزراء وقصر الاناة في معالجة امور الدولة قد جعلتا حتى السفارة البريطانية تدرك هذا ، وتشير بتنحيته عن الوزارة) .. وهكذا كان .

وزارة (نوري السعيد) التاسعة ..
ـ خليل ابراهيم ـ مدير الدعاية العام ـ بالوكالة ـ

بعد أن استقالت الوزارة العمرية ـ أي وزارة ارشد العمري ـ تشكلت الوزارة السعيدية التاسعة . وجيء بخليل ابراهيم مديراً عاماً للدعاية بالوكالة . وهو أحد موظفي السفارة العراقية في لندن يومذاك . وذلك لأن (نوري السعيد) كان يعرفه معرفة شخصية في اثناء تنقلاته ورحلاته بين بغداد ولندن عندما كان ـ حكام ـ بغداد يستلهمون ويستوحون سياستهم الخارجية ، وحتى الداخلية من حكومة (صاحبة الجلالة) البريطانية التي كانت الشمس لا تغيب عن املاكها ومستعمراتها في الشرق والغرب . وخليل ابراهيم هذا ـ وإن كنتُ قد اختلفت معه في الرأي والاتجاه وفي الرقابة والاشراف على المطبوعات عدة مرات ـ لا أتردد في القول مطلقاً بانه كان شاباً دمث الاخلاق لين العريكة متأثراً بالافكار الغربية نسبياً وبالفكر ـ السعيدي ـ وحلوله لجميع القضايا العربية وبخاصة قضايا فلسطين وقضية الوحدة العربية والاتحاد العربي ، وقضية (زعامة) الامة العربية وقيادتها هل ستكون للعراق أم لمصر ؟ بالاضافة الى هذه الافكار التي يحملها ـ خليل ابراهيم ـ وتمكنه من اللغة الانكليزية فإن منصب (مدير الدعاية العام) الجديد لم يُغره كما

اغرى غيره من قبل ومن بعد ، وهو من اصدقاء المرحوم ـ خليل كنّه ـ المرموقين وما أندر اصدقاء ـ كنّه ـ بعد أن انشقّ على حزب الاستقلال إن لم أقل بعد أن انشقّ ـ حزب الاستقلال ـ عليه ، ولا أنسى تلك الليلة الوحيدة التي جمعتني مع ـ الخليلين ـ حتى الساعة الثانية عشرة ليلًا إذ زارا (دار الاذاعة) يوم كنت مراقباً ومشرفاً عليها وأخذاني الى حيث فندق (السندباد) على شاطىء دجلة ، واطلعت على بعض الحقائق والامور والشؤون الداخلية والخارجية ما كنت أعرفها من قبل .

مسؤوليات مضاعفة لمديرية الدعاية العامة

لقد تالفت الوزارة (السعيدية التاسعة) وشارك فيها كل من الحزب الوطني الديمقراطي ممثلًا بوزير التموين ـ محمد حديد ـ و (حزب الاحرار) ممثلًا بالسيد علي ممتاز الدفتري ، ولم يدع حينذاك ـ حزب الاستقلال أو حزب الشعب ، وحزب الاتحاد الوطني للمشاركة في تلك الوزارة وسرعان ما حدثت الازمة الوزارية العاصفة عندما تقدم ـ الوزيران الحزبيان ـ المذكوران باستقالتيهما من الوزارة وقد قبلتا فعلًا ! لقد انعكست هاتان الاستقالتان على الوضع السياسي العام وعلى مديرية الدعاية العامة بالذات إذ تضاعفت مسؤولياتنا ـ نحن رجال الدعاية والاذاعة والرقابة والنشر ـ في الدفاع عن الوزارة القائمة بوسائل الاعلام المختلفة اذاعةً وصحافة واصدار بعض النشرات والكراسات الصغيرة .

وبالاضافة الى استقالة ـ الوزيرين الحزبيين ـ المذكورين والتي كانت « رأس الفتيل » في تفجر الازمة السياسية فقد زاد في تفجيرها بروز قضية فلسطين على المسرح العربي العام وتطورها وضرورة ابداء الآراء الصريحة فيها من لدن القادة والساسة العرب والحكومات العربية بأسرها ! ولم يجد (نوري السعيد) يومها بُدّاً من اتخاذ قراره الخطير باشراك (مجلس الامة) في موضوع ـ فلسطين ـ بوصفه ـ القضية المركزية ـ بالنسبة للامة العربية جمعاء .. ولذا فقد وجّه ـ أي نوري السعيد ـ مذكرة تاريخية خطيرة الى رئيسي النواب والاعيان يقول فيها ـ وكما جاء في تاريخ الوزارات العراقية للاستاذ الحسني ـ ما يلي : (.. جرت التقاليد لدى الدول الدستورية على أساس عقد مجلس الامة جلسة مشتركة للنظر في قضايا وطنية عامة ، وقد نصت المادة (١٢٤) من القانون الاساسي على جواز الاخذ

بمثل هذه التقاليد وتطبيقها كقاعدة دستورية بقرار من مجلس الامة وذلك في جلسة مشتركة وبالنظر لعدم وجود نص يمنع الاخذ بهذه القاعدة في (القانون الاساسي) العراقي ولوجود قضايا وطنية مهمة من هذا القبيل يجب النظر فيها من قبل مجلس الامة في جلسة مشتركة لاقرار هذا المبدأ تطبيقاً لاغراض المادة المذكورة ..) يومها انصبّ نشاط - الدعاية العامة - على الاهتمام البالغ بتلك - المذكرة التاريخية - واجتماع مجلس الامة في جلسته المشتركة مع مجلس الاعيان ورأي العراق - حكومة لا شعباً ولا أحزاباً - في قضية فلسطين .

مع نوري السعيد لاول مرة بديوان مجلس الوزراء مع خليل ابراهيم

في الساعة الثامنة من احدى الاماسي وفي شهر شباط لسنة ١٩٤٧ وبطلب من - الباشا - نوري السعيد ذهبت مع خليل ابراهيم الى ديوان مجلس الوزراء فكان المرافق (أحمد سامي) في استقبالنا .. دخلنا على - الباشا - في غرفته حيث قدّمني لفخامته خليل ابراهيم وجلست معه على اريكة واحدة . قال - الباشا - وهو يحمل بيده اليمنى كتاباً ضخماً : ابني ، هذا الكتاب مطبوع بمطبعة الحكومة وغير منشور على الناس وما يزال سرياً ، وفيه فصل كبير عن قضية - فلسطين - فارجو أن تاخذ مكانك في الغرفة المجاورة لغرفتي وتقرأ الفصل من البداية الى النهاية وتقتبس منه بعض النقاط والمواقف المهمة والبارزة حول فلسطين .. ومنذ الغد تبدأون في تحرير مقالات صغيرة أو كلمات مختصرة من أجل أن تنشر في الصحف وتذاع من خلال الاذاعة . صدعت بالامر وانتقلت الى الغرفة المجاورة وقمت بالمهمة على خير ما يرام وكما ارادها - الباشا - في حوالي الساعة والربع ، وكان الخادم يقدم لي الشاي والقهوة والماء بين حين وآخر .. وقد قرأت على الغلاف الابيض من ذلك الكتاب هذه العبارات (... مذكرات ليست للنشر ... طبعت في مطبعة الحكومة) . وكما وصفها - الباشا - تماماً تماماً .. ولا أدري لمن هي تلك المذكرات ؟ وما كان مصيرها بعد ثورة الرابع عشر من تموز لسنة ١٩٥٨ واعلان الجمهورية ؟

وفي اثناء الحرب العراقية - الايرانية زارني في داري الصديق والمؤرخ الكبير الاستاذ عبدالرزاق الحسني ومعه الدكتور عبدالمجيد كامل التكريتي ، المختص في

التاريخ ومؤلف كتاب (فيصل الأول) في الاعوام الاخيرة .

في تلك ـ الجلسة التاريخية ـ النادرة مع الاستاذ عبدالرزاق الحسني في داري كانت الاحاديث شتى ومتشعبة .. وقد قصصت عليه قصة (المذكرات السرية) مع ـ نوري باشا ـ وخليل ابراهيم فتملكه العجب من تلك الرواية ومن وجود مثل ـ كتاب ـ كهذا لا يعرفه هو ..! وقد رجوت ـ الحسني ـ تحقيق الرواية والبحث عن الكتاب المذكور مجهول المصير !! وفعلاً فقد اتصل تلفونياً من داري (بالمناصفي) أحمد من رجال الباشا في داره فلم يجده ولم أتلق أي نبأ جديد عن ذلك .. أما (خليل ابراهيم) فلم يكن يعلم أكثر من علمي عن ذلك الكتاب ومصيره .

وزارة (صالح جبر) الوزارة الوحيدة اليتيمة !!
لعقد معاهدة (بورتسموث) المثيرة والخطيرة !!

استقالت (الوزارة السعيدية) التاسعة بعد أن قامت بمهمة اجراء الانتخابات العامة وجيء بصالح جبر لعقد معاهدة (بورتسموث) المثيرة الخطيرة حيث ألّف وزارته الوحيدة واليتيمة ـ لأول مرة ـ بين (٢٩) مارت لسنة ١٩٤٧ م و (٢٧) كانون الثاني لسنة ١٩٤٧ ، ولكن سرعان ما سحقت تلك ـ المعاهدة ـ المزعومة تحت أقدام الشعب العراقي البطل والذي ثار ثورته اللاهبة ضدها وقدم العديد من الضحايا والشهداء والقرابين على مذابح الحرية والسيادة والاستقلال ..

وصالح جبر هذا ، من رجال الادارة والسياسة البارزين وقد وجد فيه ـ الانكليز ـ وبعض الساسة العراقيين من خصومه واصدقائه ، نداً منافساً لنوري السعيد وانه ـ أي جبرً ـ هو ـ البديل ـ الاقوى للسعيد الذي لم يستطع امرار معاهدة جديدة تحل محل معاهدة سنة ١٩٣٠ .

في عهد صالح جبر !!
كمال ابراهيم مديراً عاماً للدعاية

اغرب ما في تاريخ الدعاية والاعلام ان جيء باستاذ الأدب العربي واللغة كمال

ابراهيم مديراً عاماً للدعاية في عهد ـ صالح جبر ـ وهكذا فقد استغربت جداً وسررت جداً لهذا التعيين !! استغربت لان (الدعاية) الناجحة أو (الاعلام) الناجح في العصر الحاضر لا بد له أن يعتمد على (نصف الصدق) أو (نصف الكذب) !! وعلى منطق المراوغة والمداهنة . وكمال ابراهيم أبعد ما يكون عن مثل هذه (المؤهلات) الدعائية والمنطق الافلج !! وسررت جداً من ناحية اخرى بهذا التعيين إذ قلت في سري ربما سينحو (صالح جبر) نحواً جيداً على طريق الاعلام والدعاية والمطبوعات والنشر بعد أن فشل كل رجال الدعاية السابقين ـ ومنهم كاتب هذه المذكرات ـ في مجال تسجيل الحقائق واللاحقائق وعرضها على الرأي العام في الداخل والخارج . وصالح جبر لم يكن يعرفني مطلقاً من قبل ولم أقابله ولو مرة واحدة بوصفه وزيراً للداخلية ومن ثم رئيساً للوزراء .

مشاكل الدعاية في اثناء الحرب العامة الثانية وبعدها

كثيرة هي المشاكل التي كنا نصطدم بها في اثناء الحرب العامة الثانية وبعدها .. ومن تلك المشاكل الكبيرة وجود مكاتب الاستعلامات الاجنبية في بغداد وفي طول البلاد وعرضها ولا سيما مكاتب الاستعلامات البريطانية المنتشرة في كل مكان .. وذات مساء وأنا أزور جريدة الزمان بصفتي رقيباً على الصحافة والمطبوعات وصديقاً للسادة توفيق السمعاني صاحب الجريدة وابراهيم علي سكرتير التحرير فيها وصبيح الغافقي المندوب المحلي الأول .. في ذلك المساء اطلعني اصدقائي الثلاثة هؤلاء على مقالٍ مهم حول مكاتب الاستعلامات والارشاد والتجسس البريطاني ، بقلم الشيخ (محمد رضا الشبيبي) ... وقد نشر فعلًا في عدد جريدة الزمان الصادر في (٢٢ حزيران لسنة ١٩٤٦) ـ راجع تاريخ الوزارات العراقية .. وفي ذلك المقال يقول الشبيبي نصّاً : (لقد أذعنت الحكومة العراقية لمشيئة بريطانيا بعد سنة ١٩٤١ فكان لها ما أرادت ووافق المسؤولون العراقيون على انشاء ـ المكاتب السرية ـ في طول البلاد وعرضها بحجة صيانة المجهود الحربي المشترك وتامين طرق المواصلات البريطانية .. وكان عدد هذه المكاتب السرية أكثر من اللازم ... الخ)، كما ان جريدة (صوت الاهالي) هي الاخرى لصاحبها ـ كامل الجادرجي ـ نشرت

بعد هذا معلومات خطيرة في الموضوع نفسه وذلك في ٩ / ٥ / ١٩٤٧ جاء فيها (... بعد أن ضج الشعب من مكاتب الارشاد في بث سموم انتزاع ثقة الشعب لوطنه وتوجهها نحو ـ بريطانيا ـ وترويج التجسس ضد المواطنين الاحرار ارتأي أن تبدل عناوين مكاتب الارشاد بمكاتب العلاقات العامة !! مع مواصلة نفس الوظائف ـ لمكاتب الارشاد ـ وممارسة نفس الحريات المطلقة التي يتمتع بها القائمون على شؤونها) . وعندما جاء صالح جبر الى الحكم راجت اشاعات وأقاويل بين الاوساط الصحفية بأن الوزارة الجديدة ستلغي ـ مكاتب الارشاد ـ أو ـ مكاتب العلاقات العامة البريطانية ـ عربوناً على ـ وطنية الوزارة ـ وتمهيداً لعقد معاهدة ـ بورتسموث ـ .. ولكن الذي حصل هو العكس إذ زادت تلك المكاتب وظلت تنفث السموم والنفايات الضارة بين أوساط الشعب كافة ...) وقد فضح توفيق السويدي في مذكراته هذا الأمر المخجل ـ انظر تاريخ الوزارات العراقية ـ إذ قال بالحرف الواحد : (... ان صالح جبر اراد أن يثبت لبريطانيا انه مجد وحازم ويقدر حاجة البلد حق قدرها وأن يستفيد من هؤلاء الاجانب حتى اربى عددهم على (٤٥٠) خبيراً !!) فتأمل ـ يا جيل الثورة ـ و ـ جيل صدام حسين ـ بالذات في هذه الحقائق التي تدمغ ـ الحكم المزلوج ـ في العراق . وخذ العبرة والدرس من هذا الماضي القريب ، الغريب جداً !!

الجو الذي كنت اعيشه
في وزارة (صالح جبر) هذه !!

اخلص من عرض أو استعراض تلك الالواح التاريخية الى القول باني ـ كرقيب صحافة ومطبوعات واذاعة ـ كنت أعيش في ذلك الجو القاسي الرهيب والبائس .. تماماً .. كما كان يعيشه كل دعائي واعلامي يحترم نفسه ويضع يده على ضميره ..
ومن هنا فلم أجد لي متنفساً من ذلك الجو الرهيب الكئيب إلا المشاركة ـ مع بعض الاخوان ـ في تحرير بعض الكلمات والتعليقات في بعض الصحف والمجلات الوطنية وهذه حقيقة يعرفها عني كل اصدقائي اسجلها لا للدفاع عن نفسي وانما خدمة للتاريخ .

فما الذي جرى بعد ذلك ؟

بعد أن عايشت وزارة (صالح جبر) شهراً واحداً ـ إلا يوماً واحداً ـ فوجئت ذات صباح ، وأنا في مديرية الدعاية العامة بأمر وزاري مستعجل بنقل خدماتي من ـ وزارة الداخلية ـ الى ـ وزارة المعارف ـ وذلك بتاريخ ٢٧ / ٤ / ١٩٤٧ ورقم (١٩٦٣ /) علماً ـ وكما ذكرت سابقاً ـ بأن (صالح جبر) لم يعرفني أو يشاهدني مطلقاً ولم أره شخصياً في اثناء حكمه ، ولم أزره إلا مرة واحدة في لبنان بعد أن ثار الشعب ضد وزارته وضد معاهدة (بورتسموث) وهرب لينجو بجلده الى الفندق الكبير في لبنان .

مع توفيق وهبي في وزارة المعارف

تسلمت ـ الامر الوزاري ـ بنقل خدماتي من وزارة الداخلية الى وزارة المعارف وبلغت بالانفكاك في اليوم نفسه قبل الظهر .

وفي اليوم التالي قابلت ـ توفيق وهبي ـ وزير المعارف مع السكرتير العام للوزارة الدكتور ـ محمد بديع شريف ـ الذي يعيش في القاهرة اليوم منذ العهد الملكي فقدمت (الامر الوزاري) للوزير ، وقرأه وقال بالحرف الواحد (مبروك ابني شاكر .. صالح بك جبر خابرني أمس حول موضوع نقلك وقد اصدرنا الأمر الوزاري بسرعة وأنا حاضر لتعيينك في أية مديرية ترغب فيها !!) قلت للوزير : (شكراً سيدي ولكن صالح جبر نقل خدماتي لوزارتكم خلافاً لرغبتي واريد أن أعرف السبب !! مع اني أقدم موظف في ـ الدعاية العامة ـ من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٤٧ م . كما ان صالح جبر لا يعرفني مطلقاً وكل ما هنالك ـ حسب تقديري ـ ان بعض الواشين والمشاغبين من موظفي الدعاية اخبروه باني أكتب وأنشر في بعض الصحف والمجلات المعارضة ، فما هو السبب يا سيدي ؟) .

وهنا تلقيت ـ الرد البليغ ـ من (توفيق وهبي) وزير المعارف وعضو المجمع العلمي العراقي ، حيث قال ـ بالحرف الواحد ـ (ابني شاكر ، صالح جبر رئيس الوزراء شكل الوزارة الحاضرة ـ بديلًا ـ عن نوري السعيد لعقد معاهدة ـ بورتسموث ـ

بدلا عن معاهدة سنة ١٩٣٠ مع الانكليز . فاذا كان صالح بك جبر لا يستطيع نقل ـ مدير ـ من وزارة الى وزارة اخرى فكيف يستطيع الغاء معاهد قديمة ، وعقد معاهدة جديدة ؟

ابني شاكر ، باشر اليوم وداوم في الوزارة . وأنا حاضر بتحقيق كل ما تريد في داخل وزارتي هذه !!) كان ذلك الجواب البليغ قاطعاً ومقنعاً ودرساً مفيداً لن أنساه مدى الحياة .

لم أداوم في الوزارة مباشرة !!

بعد هذا لم اباشر في الدوام ، لأني طلبت التمتع بكل اجازاتي الاعتيادية المتراكمة وسافرت الى لبنان للراحة والاستجمام إذ بقيت هنالك أكثر من ثلاثة أشهر وتعرفت على العديد من رجال الفكر والصحافة والحكم والسياسة في مقدمتهم بشارة الخوري رئيس الجمهورية ورياض الصلح رئيس الوزارة وعبدالحميد كرامي زعيم المعارضة وحميد فرنجية وزير الداخلية ، وأميل لحود ـ صديقي العزيز وزير المالية .. وقد كتبت عن بعضهم في جرائد ومجلات بغداد ـ بعد سقوط صالح جبر ـ وزيارتي إياه مع الشاعر المعروف اكرم أحمد ، كما تعرفت على عائلة ـ قليلات ـ المعروفة وبخاصة مع (مصباح قليلات) و (عبدالرحيم قليلات) ومن ثم دعوت (مصباح قليلات) لزيارتي في بغداد ، حيث زارني ثلاث مرات وساعدته في مقابلة العديد من رجال الحكم والسياسة والبلاط والاعيان والنواب ، وفي تاليف كتابه المعروف بعنوان (رجال عرفتهم من العراق ولبنان) ... بعد هذا تكررت سفراتي للاصطياف في لبنان بوصفه ـ المصيف المفضل ـ لكل العراقيين والعرب ، ولبعض الاجانب .

وفي تلك السنة ١٩٤٧ بالذات ، شاركت في المؤتمر ـ الثقافي العربي الأول ـ الذي انعقد في (بيت مَري) أجمل وأهدأ مصيف في لبنان ، والذي كان رئيسه عبدالرحمن البزاز ، ومن اعضائه محمد بهجة الاثري والدكتور ابراهيم شوكة وعدد من السيدات والسادة المتميزين .

كان هذا التحول الخطير والمهم في حياتي ، بفضل الله تعالى وبفضل (صالح جبر) الذي اقصاني من الدعاية العامة بوزارة الداخلية وبفضل اعوانه و (عيونه) في الوزارة ممن قدموا له عني صورة لا يطمئن اليها وهو مُقدم على عقدمعاهدة

(بورتسموث) المشؤومة !! أجل ـ والله ـ انه تحول خطير في حياتي الوظيفية والاجتماعية والثقافية فشتان ما بين شخص أو موظف يعيش في ـ دهاليز ـ الدعاية وقمقم الوظيفة وشخص آخر يعيش في الهواء الطلق في لبنان !! ويتعرف على الطموح والشموخ من الجبال الشم وعلى الضخامة والفخامة من عظمة البحر ، وعلى الادب والتواضع من السهول والاودية الخضراء ذات الظلال والماء ، وعلى جمال الحياة من جمال حسناوات الجبل والسهل والبحر !!

اكرر ما أقول بان هذا الوضع الحياتي الذي عشته في لبنان ما كان ليكون لولا افضال (صالح جبر) رحمه الله ومعاهدة (بورتسموث) لعنها الله والتي كتبت ضدها أكثر من مرة بتواقيع مستعارة !! (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم

مباشرتي بديوان وزارة المعارف
بعد عودتي من لبنان

بعد عودتي من ربوع لبنان جبلًا وسهلًا وبحراً باشرت بديوان الوزارة مسؤولًا عن الرسائل والمخابرات الرسمية التي تصدر من الوزارة ، كما مارست الادارة والتعليم ثانية في عدة مدارس .. وقد استغرقت هذه ـ المرحلة ـ من ٢٧ / ٤ / ١٩٤٨ الى ١٠ / ٧ / ١٩٥١ حيث كان لدي الوقت الكافي في المساء للمشاركة في تحرير بعض المجلات والجرائد الوطنية .. وبسبب هذا فلم أتجاوب أو أتعاون مع أي وزير معارف كان في تلك المرحلة التي استمرت حوالي اربع سنوات !!

موقف مع (خليل كنة) وزير المعارف لاول مرة

المعروف عن ـ خليل كنة ـ انه من الشخصيات السياسية والحزبية والقانونية البارزة وانه كان قطباً من اقطاب حزب الاستقلال المعروف بوطنيته وقوميته وانه انشق على الحزب واصدر جريدة (المهد) وانه في آخر المطاف انشقّ حتى على نوري السعيد !! وانه كان ـ وزير المعارف سنة ١٩٥٠ عندما كنت أعمل في حقل التربية والتعليم .

يومها استدعاني الى ديوان الوزارة وقال لي ما معناه : الصداقة لها حقها ، وقد تعرفنا يوم كنت تعمل في ـ الدعاية العامة ـ مراقباً للمطبوعات والصحافة والاذاعة مقابل ذلك فان للدولة حقها على الموظف بان يقوم بواجباته الرسمية على الوجه المطلوب ، وان قانون انضباط موظفي الدولة يمنع الموظفين بوجه عام من التدخل في الشؤون السياسية ونشر المقالات السياسية ، لا الأدبية ، في الصحف المحلية وهذا ما تفعله أنت في الوقت الحاضر ، فأرجو اعتبار هذا التنبيه بمثابة ـ انذار ـ نهائي موجه اليك ! فأرجو الالتزام بالواجب ـ الوظيفي ـ وعدم التحرير والكتابة في الجرائد المحلية وأن تراعي الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد !! ولولا اني اقدّرك حق التقدير ، لما اكتفيت باسلوب التحذير والتنبيه !! واذا ما كنت تفضل ـ العمل السياسي ـ والصحافي على ـ العمل الوظيفي ـ ففي امكانك تقديم استقالتك من الوظيفة ودخول باب (السياسة) المفتوح !

الواقع لقد شكرت في حينه ـ وزيري ـ خليل كنة وأكبرت كلماته وانذاره وصراحته معي وهذا ما يجب أن يفعله كل وزير مسؤول على مستوى ـ خليل كنة ـ ولكن ـ والحق اقول ـ وقد مر على هذا الموقف حوالي (٤٤) سنة لا بد من الاعتراف بأني لم التزم بعهدي الذي قطعته لوزير المعارف حينذاك واني لم أنقطع عن التحرير في بعض الصحف والمجلات المعارضة وذلك بتواقيع مستعارة . وكانت اتصالاتي وكتاباتي في الصحف تصل يومياً الى المسؤولين في ـ مديرية الدعاية العامة ـ والى وزير المعارف خليل كنة بالذات باعتباري احد موظفيه ومعلميه . وفي ايلول سنة ١٩٥٠ فوجئت بنقلي الى محافظة الحلة على ملاك التعليم شريطة أن لا اعيّن في مركز الحلة وانما في احدى المدارس القروية كيلا امارس الكتابة في الصحف ! وهذا ما حدث فقد عينت في مدرسة (صفي الدين) القروية !

غادرت بغداد فوراً الى ـ الحلة ـ وزرت (فخري العبيدي) مدير معارف الحلة والمربي المعروف والزميل القديم . قلت ـ للعبيدي ـ بعد التحية والسلام والترحيب بي : هل وصلكم أمر نقلي الى ـ الحلة ـ ؟ فتأمل لحظة وقال : لا والله .. وأنت خير من يصلح ليحل محلي !! قلت : عفواً ليس الأمر كذلك وانما عينت ـ معلماً ـ قروياً في (صفي الدين) !! فأرجو شمولي بالرعاية واللطف الاخوي .. وهنا اصيب ثانية بما يشبه الدهشة والذهول بعد أن قرأ ـ الأمر الوزاري ـ بنقلي !! وقال : عجيب والله !! قلت : لا عجب في بلد العجائب وفي بلاد (ألف ليلة وليلة) !! ومن باب الانصاف والحق لا بد أن اسجل هنا الموقف الاخوي المشرف الذي اتخذه (العبيدي) ـ مدير المعارف ـ تجاهي ، ففي تلك المرحلة السياسية الشاذة التي كانت البلاد فيها تهتز

على كف عفريت !! وهي المرحلة التي تسوغ له عدم مجاراتي ومجاملتي باعتباري من المغضوب عليهم سياسياً بالرغم من قلة شأني بالنسبة للكتاب والمعارضين الكبار ، ولكنه ـ أي العبيدي ـ كرمني وأحسن ضيافتي ولم يدعني التحق بمدرسة (صفي الدين) وانما اصدر أمراً مباشرتي في ـ القرية ـ من ديوان المديرية وتحمل في هذا كل المسؤولية .. وقال : تفضل في كل صباح لشرب ـ القهوة ـ معي بديوان المديرية ولا تداوم وقد اصدرنا أمر المباشرة .

•

في فندق الفرات في الحلة

استأجرت غرفة في فندق الفرات المطل على الفرات ـ كما أتذكر ـ حيث مكثت في الحلة قرابة ثلاثة أشهر وكان الفندق بموقعه الرائع الجميل والموسم الربيعي الرائع عاملًا مساعداً على تحرير المقالات والتعليقات أكثر من بغداد .. وهكذا بدأت امارس الكتابة من جديد وأبعث بالمقالة أو المقالتين بوساطة احد سواق ـ التاكسي ـ من أهل الحلة ليوصلها الى الجريدة التي أراها مستعدة لنشر تلك المقالة . وأما اسرتي فقد مكثت حيث هي في بغداد ..

بعدها حصلت على اجازة مرضية لمدة عشرة ايام أعطانيها الدكتور ـ أحمد الجلبي ـ مدير صحة المعارف و (الجنتلمان) الحقيقي غير عابىء بكوني من المغضوب عليهم سياسياً وصحفياً . بعد هذا زرت (عبدالله القصاب) أمين العاصمة ـ أي أمين بغداد ـ وهو صديق قديم ومن عائلة القصاب المعروفة .. وقد عملت معه عندما كان وزيراً للداخلية سنة ١٩٤٦ وعندما كان (ارشد العمري) رئيساً للوزراء وعندما كنت مراقباً للصحافة والمطبوعات والاذاعة .. لقد حكيت للقصاب قصة نقلي الى الحلة بسبب كتاباتي في الصحف وان (أبا مخزوم) خليل كنة وزير المعارف (زعلان) عليَّ لدرجة لا توصف !! فأرجو أن تتفضل معي الى ـ الوزير ـ لانه يعتذر عن مقابلتي عندما حاولت ذلك . كما أرجو ـ أبا غازي ـ أن تكفلني أمام ـ خليل كنة ـ بأني لن أكتب في الجرائد بعد الآن !!

وهنا نهض (ابو غازي) ـ وهو يضحك ـ رحمه الله وأخذني من يدي فتحركنا مشياً على الاقدام من (امانة العاصمة) الى (وزارة المعارف) لأن المسافة بينهما لا تزيد عن خمس دقائق !!

دخلنا على الوزير فاستقبلنا بكل احترام ودهشة وقال : كيف اجتمعتما ؟

أجاب (ابو غازي) وحده : انت ـ زعلان ـ على ـ شاكر ـ وعاقبته بالنقل الى الحلة لأنه لم يف بالوعد الذي قطعه على نفسه أمامك ولم يكف عن الكتابة في الجرائد ومن حقك أن تفعل معه هذا وأكثر من هذا . ولكني جئت ـ مشياً على القدم ـ لأكفله لآخر مرة ولو ان ـ كفالته ـ صعبة ، وان شاء الله يبيض وجهي !! وفي ١٦ / ١١ / ١٩٥٠ صدر أمر نقلي الى بغداد بديوان الوزارة .

نقلت خدماتي الى مديرية الدعاية العامة بأمر مصطفى العمري وزير الدولة

تألّفت الوزارة السعيدية الحادية عشرة ومن ثم اجريت بعض التعديلات الوزارية حيث عين (مصطفى العمري) وزير دولة فيها .. وتربطني بالعمري علاقات وثيقة منذ كان ـ متصرفاً ـ في العمارة في الثلاثينات ، كما نوهت بذلك في الفصل السابق ، ومنذ أن كان وزير داخلية في حكومة (حمدي الباجه‌جي) في أوائل الاربعينات فوزيراً للداخلية في وزارة (السيد محمد الصدر) وهي وزارة الوثبة بعد أن أطاح الشعب بوزارة صالح جبر .. اتصل ـ مصطفى العمري ـ بمدير الدعاية العام ، حيث طلبني لمقابلته ولكن المدير العام أخبره بأني سبق أن نقلت خدماتي منذ سنة ١٩٤٧ الى وزارة المعارف !! اتصل ـ مصطفى العمري ـ بوزير المعارف واتفقا على نقل خدماتي الى وزارة الداخلية وهكذا صدر الأمر الوزاري في ١٠ / ٣ / ١٩٥١ وعدت الى منصبي السابق في (مديرية الدعاية العامة) ـ وعادت حليمة الى عادتها القديمة ـ أي الكتابة في الصحف والمجلات الحرة !!

مشاركة العراق في تشييع الملك عبدالله في الاردن أول مراسل صحفي واذاعي بين عمان وبغداد

لقد قتل الملك ـ عبدالله بن الحسين ـ ملك المملكة الاردنية الهاشمية بعد أن

اطلق عليه الرصاص في أثناء دخوله (المسجد الاقصى) لاداء فريضة الجمعة ، فكان لهذا المقتل الرهيب صداه المدوّي في العالمين العربي والاسلامي وفي العراق بالذات ، حيث أعلنت الحكومة الحداد العام وأمرت بتنكيس الاعلام ، وأرسلت الى عمان وفداً خاصاً للمشاركة في مراسيم التشييع .. وكان الوفد مؤلفاً من (٤٠) شخصاً من كبار الشخصيات البارزة حينذاك وزراءً وأعياناً ونواباً برئاسة (مولود مخلص) بالاضافة الى وفد عسكري وبعثة صحفية اعلامية .

وكنت بدوري موفد الاذاعة والدعاية الى جانب وفد صحفي خاص ، وقد وافيت الاذاعة بثلاث رسائل - تلفونية - من عمان حول مراسيم التشييع المهيب الذي شاركت فيه عدة وفود من كل انحاء العام ، وبهذا فقد كنت - ولافخر - أول مراسل اذاعي وصحفي من خارج العراق .

سهرة في فندق (فيلادلفيا) في الاردن

حل الوفد العراقي المشارك في التشييع في فندقين .. فكنا نحن البعثة الاعلامية مع بعض الوزراء والنواب في فندق (فيلادلفيا) وكان الاعيان وكبار السن الآخرون في فندق آخر لا أتذكر اسمه .

وفي ليلة التشييع زارنا في الفندق سفير العراق في عمان (أحمد باشا الراوي) فتحدث الينا عن مراسيم التشييع في الغد ، وعن الازمة الاقتصادية والمالية التي يعيشها الاردن ، وقال : (أنتم الآن في ضيافة السفارة العراقية) واستدعى مدير الفندق وأخبره بذلك ، وان ينفّذ رغباتنا في تقديم الطعام والشراب .. وكان معنا الرجل الطريف (جواد الخطيب) وزير الدولة يومذاك لشؤون الدعاية و (توفيق المختار) النائب المحترم والشخصية الظريفة النادرة حيث سهرنا سوية الى ساعة متاخرة من الليل .

وفي الصباح شاركنا مع بقية الوفود العربية والاسلامية والاجنبية في مراسيم التشييع وارسلت بدوري - ظهراً - أول رسالة تلفونية للاذاعة العراقية لاذاعتها ونشرها في الصحف المحلية ، علماً بان الاذاعة يومذاك لم يكن لها مراسلون في خارج العراق بالرغم من مرور (١٥) عاماً على تاسيسها .. وقد وصفني - يومها - الاخ (عبدالرحمن فوزي) أبرز موظفي الاذاعة وخريج الفنون الجميلة وكلية

الحقوق ، وخبير الاذاعة اليوم ، بكوني أول مراسل صحفي واذاعي من خارج العراق وهذه صفة أعتز بها من لدن خبير عتيد وزميل قديم يدرك ادراكاً عميقاً شؤون الاذاعة الفنية والثقافية والادارية وما ظهر منها وما بطن ... إلا انه يخشى تحمل المسؤولية المباشرة ويفضل العمل كجندي مجهول ولا يتأخر عن تعليم وتوجيه الآخرين الى كل شيء يعرفه من شؤون الاذاعة .

وأذكر بهذه المناسبة أن أحد رؤساء الوزارات في الستينات قد رشحه لمنصب مدير الدعاية والاذاعة العام ، وكلفني بأن أقنعه بتقبل هذا المنصب المهم ، بالنظر لتجاربه ومواهبه ، إلا انه ، أي عبدالرحمن فوزي ، عندما فاتحته بذلك ساوره الاضطراب والتخوف من قبوله مثل هذا المنصب ، فاعتذر ورشح غيره ... وقد وصفته ـ في حينه ـ بكونه (أشجع جبان) أو (أجبن شجاع) ..

خذوا العبرة من الشاه

في سنة ١٩٥١ كانت الوزارة الايرانية برئاسة الدكتور مصدق الذي أعلن تأميم النفط في ايران بعد أن اتخذ مجلس الامة الايراني قراره التاريخي الخطير بذلك والذي كان له دويّه الهائل في كل الاوساط العالمية ولدى شركات النفط الاستعمارية .. كما انعكس ذلك القرار التاريخي على الحكم والشعب والرأي العام في العراق وعلى الصحافة الوطنية الحرة وارتفعت الاصوات والدعوات الى ضرورة العمل على تأميم النفط في العراق ... وقد بلغ الأمر حد الخطورة والجد بحيث تقدم بعض النواب بمذكرة تاريخية خطيرة الى الوزارة السعيدية الحادية عشرة يطالبون فيها بمناقشة هذا الأمر الخطير تحت قبة البرلمان على غرار العملية التي قام بها الدكتور مصدق في ايران .

ولم تجد الحكومة بدأ من التلويح ببعض الحلول الوسط ، وكان الاتصال مع الشركات لتحقيق بعض (التأميم الجزئي) والعمل على تهيئة الكوادر الوطنية الفنية قبل الاضطلاع بمسؤوليات التأميم وعلى ضرورة احتلال بعض المؤسسات العائدة لشركة نفط خانقين وشركة نفط الرافدين الى غير ذلك من المساعي والتمهيدات التي لا تخرج عن كونها مجرد (مخدرات) لتفويت الوقت .

وازاء ذلك الجو المشحون بالدعايات والاشاعات وتوجيه المطاعن الى الحكومة القائمة طلب الينا ـ نحن رجال الدعاية ـ بتوجيه من رئيس الوزراء (نوري السعيد) أن نصدر بياناً أو توضيحاً للموقف بتوقيع مدير الدعاية العام فأصدرنا بياناً رسمياً ضعيفاً متهافتاً جاء فيه الآتي :

(... ان الحكومة واثقة من ان العراقيين سيبذلون أقصى ما في وسعهم لاظهار مواهبهم ومهاراتهم في اتقان هذه الصناعات الحيوية وادارتها بأنفسهم وذلك في أقرب وقت مستطاع ... الخ) وبقدر ما يتعلق الامر بي ـ وأنا في الدعاية العامة ـ فقد نشرت مقالاً ـ بتوقيع مستعار بعنوان « ... خذوا العبرة من الشاه ... » واستوجب ذلك غضب السلطة عليَّ واقصائي من رقابة المطبوعات والصحافة بعد اجراء التحقيق .

عدد (الصـــاعقة) التاريخي
الذي صودر بعد نشره

جاءني الى مديرية الدعاية العامة الأخ والصديق حميد المحل ، الفنان والرسام ـ الكاريكاتيري ـ المعروف والمشرف الفني بوزارة التربية في الوقت الحاضر ... قال لي ـ المحل ـ : في الاسبوع القابل يحل عيد الاضحى المبارك ، و (جيوبنا فارغة) وجريدتي ـ الصاعقة ـ مجمدة فاقترح عليك أن تصدر عدداً خاصاً ، نطبع منه عشرة آلاف نسخة في الأقل ، شريطة أن يكون العدد ـ جهنمياً ـ على حد تعبيره . فقلت : لا مانع لدي ولكن المشكلة ، هي اني أقصيت من (الرقابة) منذ ثلاثة أيام بسبب المقال الذي نشرته بعنوان (خذوا العبرة من الشاه) ولم يبق إلا ـ الرقيب العسكري ـ الذي يشرف على رقابة الامور العسكرية والا الرقيب المدني الآخر وهو الأخ (مشكور الاسدي) والاسدي قد لا يوافق على نشر مقالات وتعليقات عنيفة في مجلة (الصاعقة) .

وجاءتني فكرة ـ طارئة ـ في تلك اللحظة لحل مشكلة ـ الرقابة ـ على مقالاتي وهي أن أكتب جميع المقالات والتعليقات والنكات وأن يقوم (حميد المحل) برسم الصور الهزلية والنقدية (الكاريكاتير) .. وأن أوافق على نشر كل المواد بتاريخ سابق ، أي قبل اقصائي عن رقابة الصحافة والمطبوعات . وهكذا كان ، فقد حررت جميع المواد خلال يومين فقط ـ والحمد لله ـ وقد أصدرنا في الاسبوع التالي ذلك

العدد الجهنمي الذي وزع في أول يوم العيد . وعندما طار صيته وذكره لدى الاوساط الرسمية والشعبية ، والجهة الامنية أمرت ـ السلطة ـ بمصادرة العدد وجميع ما تبقى منه في الاسواق مع كبس المطبعة التي قامت بطبعه وجميع المسودات .

كيف جرى التحقيق ؟

جرى التحقيق بديوان وزارة الدفاع .. استدعي ـ الرقيب العسكري ـ أمام نوري السعيد وزير الدفاع ، وقد سئل عن معلوماته حول عدد (الصاعقة) وكيف تجرأ على الموافقة بنشره ؟ فاجاب بانه لا علم له مطلقاً بكيفية صدور العدد لان ذلك خارج ـ اختصاصه ـ لان صلاحيته محصورة في رقابة القضايا العسكرية ... ومن ثم استدعي ـ الرقيب المدني ـ مشكور الاسدي فسئل عن معلوماته وكيف سمح بصدور مثل هذا العدد ؟ فاجاب بأنه لا علم له بذلك ولم تعرض عليه مسودات المجلة للرقابة أبداً ، وطالب بجلب المسودات من المطبعة لمعرفة الرقيب الذي راقبها ، وأخيراً جلبت المسودات واذا بها موقعة بتوقيعي وبالموافقة على نشرها .

استدعيت الى ديوان وزارة الدفاع ، فجرى معي ـ التحقيق ـ فكان جوابي طبيعياً واعتيادياً وهو ان المسودات قد عرضت عليَّ منذ اسبوعين وقد وافقت على نشرها بوصفها لا تمس القضايا الأمنية ولا الذات الملكية ، وقد تأخر صدور المجلة اسبوعاً .. ولكن الذي حدث هو اني أقصيت من الرقابة ـ في الاسبوع الماضي ، مع اني وافقت على النشر عندما كنت أمارس مسؤوليات الرقابة .

وقد اقتنعت ـ لجنة التحقيق ـ بافادتي وأقوالي الواضحة فاطلق سراحي وباشرت بعد انتهاء العيد في مديرية الدعاية العامة بدون مسؤولية معينة وبقيت ـ مجمداً ـ مدة قصيرة (أعدد أياماً وأقبض راتباً) ... وأكتب في الجرائد التي أفضلها .

في وزارة (مصطفى العمري) سنة ١٩٥٢
كيف كان حالُ الدعاية العامة

كانت وزارة (مصطفى العمري) سنة ١٩٥٢ م تعيش ازمة خانقة ، بل

عواصف سياسية في طول البلاد وعرضها . فقد تقدمت جميع الاحزاب السياسية بما فيها (الجبهة الشعبية) لمؤسسها (طه الهاشمي) العسكري المثقف المتميز وشقيق (ياسين الهاشمي) فقد تقدم ـ طه الهاشمي ـ مؤسس الجبهة هذا ، بمذكرة سياسية تاريخية خطيرة الى الوصي (عبدالاله) .. وكان حديث الرأي العام والاوساط الاعلامية عن مؤتمر خطير كان نقطة تحول في منعطف السياسة العامة . وهو المؤتمر الذي انعقد في ـ البلاط الملكي ـ برئاسة (عبدالاله) (انظر تاريخ الوزارات العراقية) . لقد تحدث ـ طه الهاشمي ـ في ذلك المؤتمر وجهاً لوجه أمام (الوصي) وقال له : من منا كان حراً في تأليف وزارته ؟ ان مدة وصايتكم سوف تنتهي بعد بضعة أشهر وهذه فرصة كافية لأن يقوم سموكم بما يجب أن يقوم به من الاعمال التي من شأنها أن تهيء أسباب الاستقرار للملك ... بحيث يكون الحكم مجرداً وبعيداً عن الاستغلال . وما هو إلا أن ينتفض (عبدالاله) غيظاً ويتفجر قوة وثورة غضب ويقول ـ لطه الهاشمي ـ أنتم المسؤولون عن هذا الوضع وكلكم تكذبون ، فمتى تدخلت في شؤون الدولة ؟ ولماذا لم تعترضوا على سفراتي خارج العراق ؟ ومتى استغللت نفوذي ؟ أنت تكذب ... أنت كذاب ؟ وهنا همّ ـ الهاشمي ـ بمغادرة القاعة وبترك الاجتماع ... ولكن ـ الوصي ـ قال له : اجلس . فردّ الهاشمي عليه بقوله : (أنا شريف) . وغادر المجلس . وقد أعقبه بالخروج كذلك (كامل الجادرجي) .

هذا الموقف التاريخي الخطر الذي ثبتت نصّه دون التفصيلات والتعليقات الاخرى قد انعكس ـ كالعادة ـ على مؤسسات الدولة وأجهزتها كافة وبالذات على جهاز (مديرية الدعاية العامة) وبسبب هذا فقد انقسمنا ـ نحن رجال الدعاية ـ الى فريقين وبصورة سافرة فريق مع ـ البلاط الملكي العامر ـ وآخر ضد ـ البلاط الملكي ـ غير العامر كما كنا نطلق عليه . وكنت بدوري ـ ولا فخر ـ مع الفريق الثاني ، حيث ان موقفي هذا نابع من احساسي واعتقادي بسوء النظام الملكي في كل العالم إذا ما تدخل في شؤون الحكم والسياسة ـ كما هول الحال في بلادنا ـ ومن ايماني بأن (عبدالاله) بالذات بمؤهلاته وسمعته الشخصية ما كان ليصبح (وصياً) على عرش العراق حتى في الخيال !! لو لم يكن ـ النظام العراقي ملكياً . وفضلاً على هذا السبب الجوهري فانى أتعاطف مع (مصطفى العمري) الذي هو الآخر يتعاطف مع (طه الهاشمي) سواء كان على دست الحكم أم في خارجه .. هكذا كانت تلك المرحلة السياسية المضطربة في عهد (عبدالاله) .. وبالرغم من البيانات الرسمية

التي كانت تصدر من (مدير الدعاية العام) ـ أي مديرنا ـ لتهدئة الاحوال العامة ،

فقد كان (مؤتمر البلاط) ذائع الصيت وسيّء الذكر محفزاً على قيام المظاهرات الوطنية التي عمت ارجاء البلاد وعلى دفع الطلبة والشباب الى اعلان الاضراب العام ... وبسبب تلك الفوضى السياسية فقد تقدمت وزارة (مصطفى العمري) باستقالتها الى (الوصي) فقبلت فوراً من لدنه وكانت موضع ارتياحه وحاشيته !! ولكن (توفيق السويدي) يتساءل في (مذكراته) عن هذا الموقف ـ العمري ـ فيقول ـ للعمري ـ لِمَ هذا الاستعجال في تقديم الاستقالة وكنت قبل اليوم تتشبث بالحكم ؟! أهي مصلحة عامة ؟ أم جبن عام ؟ أم ماذا ؟

وجوابي على هذا التساؤل ، هو ان مصالح البلاد العليا هي قبل كل شيء وفوق كل اعتبار في نظر (مصطفى العمري) الذي اراد (السويدي) غمزه في مذكراته مع سبق الاصرار ، كما ان هنالك شواهد ومواقف سابقة على ما أقول .

عدا ذلك ، فان (العمري) من أشجع الساسة العراقيين ومن الذين ينعون على بعضهم جبنهم وتراجعهم ، وقد زرت ـ العمري ـ بعد استقالته المشرفة في داره وحدثني كثيراً وبصراحته المعهودة التي لا محل لنشرها اليوم .

عطلة عمل في الدعاية العامة
في وزارة نورالدين محمود العسكرية

بعد استقالة وزارة (مصطفى العمري) ومجيء وزارة عسكرية مؤقتة برئاسة (نورالدين محمود) اعلنت الاحكام العرفية في البلاد ، وتالفت هيئة (المجلس العرفي) وغُلِّقت الاحزاب السياسية ، وعُطِّلت العديد من الصحف والمجلات الوطنية وخاصة الحزبية منها .

وقد كانت هذه الاجراءات والاحداث الطارئة بالنسبة لنا ـ نحن موظفي الدعاية العامة ـ بمثابة راحة واستجمام وعطلة عمل تقريباً .

وقد توفر لي ولغيري الوقت الكافي للمشاركة في تحرير بعض الصحف والمجلات ، ولا سيما مجلة (الصاعقة) لصاحبها (حميد المحل) و (الوادي) لصاحبها (خالد الدرة) .

موقف صحفي لي لصالح سعيد قزاز
في وزارة جميل المدفعي السابعة

استقالت وزارة (نورالدين محمود) العسكرية وتشكلت بعدها الوزارة المدفعية السادسة إذ لم تبق في الحكم أكثر من (٣٢) يوماً حيث شكل جميل المدفعي وزارته (السابعة) في ٧ مايس سنة ١٩٥٣ ، فكان (عبدالوهاب مرجان) وزير المواصلات والاشغال فيها ، وكانت مؤسسة (الموانى العامة) مرتبطة فيها ، وهي من أضخم المؤسسات التي كانت تدار منذ تاسيسها في العشرينات بوساطة (مدير عام) انكليزي وبعض الخبراء الاجانب ... ولأول مرة يعين لهذه المؤسسة الخطيرة (مدير عام) عراقي في اوائل الخمسينات وهو (سعيد قزاز) بديلًا عن المدير العام الانكليزي هو (الكرنل وورد) والذي حدث في تلك المرحلة هو ان وزير المواصلات والاشغال (عبدالوهاب مرجان) كان له صديق اثير عنده وهو (........) قد فشل في الانتخابات العامة فعرض عليه صديقه الوزير أن يعين بوظيفة (مدير حسابات) في مديرية الموانىء العامة ، وقد صدر أمر تعيينه بالفعل من الوزارة وبتوقيع (الوزير) ودون أخذ موافقة (سعيد قزاز) المدير العام للموانىء العامة . وقد غادر (مدير الحسابات) الجديد بالقطار الى البصرة وهو يحسب (كل شيء) يتعلق بوظيفته الجديدة ولكنه لم يحسب شيئاً مهماً ما كان يتوقعه حتى في الخيال ! وهو ... وصل (......) مديرية الموانىء العامة ودخل على المدير العام (سعيد قزاز) فاستقبله بلطف وترحاب وتناول منه (الأمر الوزاري) بتعيينه ... وبعد أن قرأه مرتين قال له (آسف وعليك أن تعود من حيث أتيت) الى بغداد ، كما أرجو أن تنقل تحياتي (لمعالي الوزير) وتطرح عليه ـ باسمي ـ هذا السؤال :

ـ ترى ! لو كان ـ الكرنل وورد ـ البريطاني المدير العام السابق والاخير للموانىء ما يزال يدير هذه ـ المؤسسة ـ فهل يجرؤ عبدالوهاب مرجان على تعيينك في هذه ـ الوظيفة ـ المهمة دون أخذ موافقته !؟ ولم يكتف بذلك بل ارسل رسالة الى وزير المواصلات ـ انظر تاريخ الوزارات العراقية ـ يقول فيها :

(لقد بيّنت لك المحذور من تعيين (......) ضابط حسابات أقدم ، في مديرية الموانىء العامة بسبب عدم خبرة هذا الشخص في اعمال أهم فرع من فروع الموانىء العامة وتأثيره السيىء على نظامها .

كما ان تعيين (هذا الشخص) لغرض حزبي معناه عدم الثقة بشخصي ، أو

عدم المبالاة بآرائي لتمشية هذه ـ المديرية ـ على اسس سليمة وصحيحة ولهذا فاني غير مستعد لتحمل المسؤولية وها اني اقدم استقالتي من وظيفتي الحالية) .

هكذا ، فقد ازداد التوتر بين الوزير والمدير العام وعاشت ـ وزارة المواصلات ـ شبه أزمة طارئة وحادة لم تنته إلا باستقالة الوزير وقبولها وعودة ـ المدير العام ـ الى وظيفته .

هذا هو موقفي الصحفي !!

التقطت تلك ـ المعلومات ـ المهمة بطريقتي الصحفية الخاصة فنشرت في مجلة (الصاعقة) كلمة مفصلة بعنوان (تمثيلية ذات فصلين) .

وقد نشرت منها ـ الفصل الأول ـ على أن أنشر الفصل الثاني في الاسبوع القابل ، وفي المساء ـ وأنا في ادارة المجلة ـ اتصل بي (تلفونياً) صاحب فندق (سميراميس) بغداد ، وقال لي (سعيد بك قزاز) يريد مكالمتكم .. فاجأني (القزاز) بالتحية الحارة ، وهو صديق قديم ، منذ أن كان (مدير ناحية) في تكريت في (الثلاثينات) ومن ثم ـ متصرف الموصل ـ وقال : (يا أبا جلال لقد قرأت الفصل الأول من ـ تمثيلية الموانىء العامة فأعجبني جداً جداً ، فأرجو بعد الفراغ من عملك الصحفي أن تتفضل الى (سميراميس) لنتناول طعام العشاء سوية مع بعض الاصدقاء ، ولكي اطلعك على تفاصيل (الفصل الثاني) من التمثيلية قبل نشره الاسبوع القادم . وقد لبيت الدعوة واطلعت على التفاصيل كلها من ـ سعيد قزاز ـ بطل التمثيلية .

في وزارتي الدكتور محمد فاضل الجمالي ..
انطباعات وذكريات ومواقف صحفية
اصداري جريدة (النضال) لصاحبها غالب ابراهيم

المعروف من خلال تاريخ الوزارات العراقية ان الدكتور محمد فاضل الجمالي ـ استاذي في التربية وعلم النفس بدار المعلمين ـ قد كلف بتاليف وزارتين اثنتين .. الاولى تالفت بين (١٧ / ٩ / ١٩٥٣ ـ و ٢٧ / ٢ / ١٩٥٤) والثانية تالفت بين (٨ / ٤ / ١٩٥٤ ـ و ١٩ / ٥ / ١٩٥٤) وهي أقصر وزارة إذ لم يتجاوز عمرها الاربعين يوماً .

وقد كلف (سعيد قزاز) بمهام ـ وزارة الداخلية ـ وكانت باكورة أعماله ـ ضمن برنامج الوزارة الجمالية ـ الغاء الاحكام العرفية التي كانت اعلنت منذ عهد ـ وزارة نورالدين محمود ـ العسكرية ، وقد الغيت الرقابة على الصحافة المحلية ، كما الحقت الدعاية والاذاعة بمجلس الوزراء وأحدثت مديرية عامة للسياحة جديدة .

وكان (روفائيل بطي) وزير دولة للاشراف على وسائل الدعاية والاذاعة والمطبوعات .

وفي تلك ـ الوزارة الجمالية ـ تضاعف نشاطي الصحفي على المستوى الرسمي والشخصي سواء بسواء ، فلقد استحصلت لابن اخي (غالب ابراهيم) المحامي في تكريت امتيازاً ـ بواسطة وزير الداخلية ـ باصدار جريدة سياسية اسبوعية كنت احررها من الالف الى الياء يساعدني في ذلك أحياناً الدكتور صفاء خلوصي والاستاذ سليم طه التكريتي والاستاذ (حميد المحل) عن طريق رسم (الكاريكاتير) .

ولكي اعطي قراء ـ مذكراتي ـ صورة وجيزة عن عشرات المقالات السياسية والنقدية التي كتبتها ونشرتها في جريدة (النضال) وحدها اثبت هنا بعض عناوين المقالات على الوجه الآتي :

عناوين المقالات :

١ ـ ذهنية (فاضل الجمالي) هي ذهنية (نوري السعيد) والطبقة الحاكمة .
٢ ـ لا يحق للوزارة الحاضرة أن تقوم بعملية تطهير جهاز الدولة قبل أن تطهر نفسها .
٣ ـ التدخين ممنوع في مكتب رئيس الوزراء لانه مكتب قائم على النفط وقد يحترق .
٤ ـ مسابقة شعرية سياسية في دار (رئيس الوزراء) .
٥ ـ النساء يشكلن أول وزارة في العراق بسبب فشل الرجال .
٦ ـ السفير البريطاني يزور (سراً) الإمام محمد حسين كاشف الغطاء (حوار عنيف يجريه الإمام مع السفير حول فلسطين) .
٧ ـ رفقاً بالخروف الشيوعي يا مدير البيطرة العام .

كما نشر الاخ سليم طه التكريتي مقالًا بعنوان (سقط مئزر الحمام فتكشفت العورات) الى غير ذلك من العناوين الساخنة العنيفة دون هوادة وسانشر نصوص بعضها في آخر الفصل .

ايهما نفعَ امّته الجمل أم الجمالي ؟

ملخص هذا المقال البسيط ، هو ان (الجمل) يسمى (سفينة الصحراء) في كل الكتب المدرسية وانه قرّب المسافات بين الاقطار العربية فالجمل العربي بهذه الصفة ، وبهذا الاعتبار هو (وحدوي) على عكس (فاضل الجمالي) رئيس الوزراء والطبقة الحاكمة ، فقد عملوا على (تبعيد) المسافات ـ لا تقريبها ـ بين الاقطار العربية فهم غير وحدويين .

وقد نشر المقال والى جانبه ـ كاريكاتير ـ نادر للرسام (حميد المحل) يبدو ـ الجمالي ـ فيه ، رأسه رأس جمل يلبس (نظارات) الجمالي وقد كتب تحته ـ أيهما نفعَ امّته الجمل أم الجمالي ؟!.

ظهر المقال في جريدة (النضال) الاسبوعية السياسية صباحاً وفي الليل كان رئيس الوزراء ـ الجمالي ـ قد أقام حفلة عشاء كبرى على شرف أحد وفود الدول العربية الذي كان في زيارة للعراق .. وقد حضرت الحفلة (بحكم وظيفتي) الاعلامية مع رجال الصحافة ومندوبي وكالات الانباء العربية والاجنبية وفي اثناء الحفل جاء رئيس الوزراء ومعه رئيس الوفد وبعض اعضائه لتعريفهم برجال الصحافة ومندوبي الوكالات ، وعندما اقترب مني قال الجمالي لرئيس الوفد (... هذا فلان مراقب المطبوعات والصحافة وتلميذي في دار المعلمين) . وهنا قال الدكتور صفاء خلوصي الذي كان مدعواً للدكتور ـ الجمالي ـ : ... ان فلاناً هو تلميذك ـ العاق ـ لانه كاتب المقال الذي نشر صباح اليوم في جريدة (النضال) بعنوان (أيهما نفع امته الجمل أو الجمالي !؟) . وهنا سألني الجمالي (أصحيح انك كاتب هذا المقال ؟!) أجبت : نعم ، والآن اسمح لي ـ يا صاحب الفخامة ـ أن أطرح عليك السؤال من جديد أمام الاخوان العرب الضيوف الكرام . فقال ـ الجمالي ـ اعترف بأن ـ الجمل العربي ـ نفع امته العربية عبر المكان والزمان أكثر مني .

فيا للجواب المسكت البليغ ! ويا للديمقراطية في صورتها الحقيقية الزاهية ، لا الكاذبة الباهتة .

نقل خدماتي من الداخلية الى وزارة المعارف في وزارة (نوري السعيد) الثانية عشرة

تالفت وزارة (نوري السعيد) الثانية عشرة في اوائل آب / ١٩٥٤ ، وكان (سعيد قزاز) وزيراً للداخلية فيها و (خليل كنة) وزيراً للمعارف وكلاهما (صديقايَ) ومن أقوى الوزراء حينذاك مع فارق واحد .. هو ان (سعيد قزاز) راضٍ عني كل الرضا و (خليل كنة) غاضب عليّ كل الغضب وذلك لما يسمعه عني ، ويقرأه عن بعض كتاباتي ونشرياتي في بعض الصحف والمجلات بتواقيع مستعارة، كما يعتقد (خليل كنة) بأني اتعاطف مع ـ حزب الاستقلال ـ الذي انشق عنه فاصبح من جماعة (نوري السعيد) واصدر جريدة (العهد) وقد دارت ـ يومها ـ رحى حرب صحفية بينه وبين جريدة (لواء الاستقلال) لسان حال حزب الاستقلال حزبه القديم ، بل هو أحد مؤسسيه الى جانب الشيخ محمد مهدي كبة وفائق السامرائي وصديق شنشل ، وقاسم حمودي وحسن علي التكريتي ، وعبدالمحسن الدوري الذي انشق (هو الآخر) على حزب الاستقلال وغيرهم ولكنه (أي خليل كنة) انشق على (نوري السعيد) في آخر المطاف وقبل ثورة الرابع عشر من تموز / ١٩٥٨ م .

نقل خدماتي الى وزارة المعارف

والذي حدث في ذلك الجو السياسي والصحفي المضطرب هو ان (سعيد قزاز) وزير الداخلية قد سافر الى لندن لاجراء بعض الفحوص الطبية ومعه زوجته المصون ، حيث تولى (خليل كنة) وزير المعارف منصب وزير الداخلية بالوكالة .

في صباح اليوم التالي ، فوجئت بأمر وزاري بنقل خدماتي الى وزارة المعارف ، وذلك بتاريخ (١٦ / ٨ / ١٩٥٤) وحيث لا توجد درجة مدير شاغرة في ملاك الوزارة فقد بقيت عدة أشهر لا أقبض راتباً من الدولة الامر الذي اضطرني وبتوجيه من الاخ الصديق (حسن الدجيلي) مدير الادارة العام الى اقامة الدعوى ضد وزير المعارف لدى مجلس الانضباط العام ، بعدها اضطرت الوزارة الى تعييني (مترجماً أولًا) ومن ثم مديراً للترجمة بديوان الوزارة ورئيس ملاحظي الترجمة ، وبالرغم من

كوني في (الثلاثينات) كنت معلماً للغة الانكليزية ، وتخرجت في دورة خاصة باللغة الانكيزية حينذاك ، فاني لا أحسن ـ فن الترجمة ـ من الانكليزية الى العربية وبالعكس حتى الآن .

وقد كتبت هذه (الحقيقة) في مذكرة رسمية رفعت الى (وزير المعارف) حيث عيّنت بعدها بعنوان سكرتير وزارة قائماً بمهام الاعلام والاستعلام .

ولم امارس أية مسؤوليات في ضوء تلك العناوين وبقيت طاقاتي ان كان لي طاقات مجمدة الى آخر يوم وساعة من العهد الملكي الدابر الذي أصبح في ذمة التاريخ .

واتذكر بهذه المناسبة ان احد وزراء المعارف ـ وهو نجيب الراوي ـ الشخصية القانونية المرموقة وسفير العراق في تركيا الى قبيل ثورة تموز كان قد اطلق (تصريحاً) حول استثمار (طاقات) الموظفين الى أقصى حد ، فعلقت على تصريحه هذا بأن (طاقاتي) ما تزال (مجمدة) منذ ١٩٥٤ عندما نقلت الى ديوان وزارة المعارف من وزارة الداخلية وأملي كبير في أن يكون لهذا ـ التصريح ـ اثره الفاعل في استثمار و (تذويب) كل الطاقات المجمدة بديوان الوزارة وكل مؤسسات التربية والتعليم . وبعد أن اطلع ـ الوزير ـ على مذكرتي تلك كتب عليها الآتي (اذا كان هذا صحيحاً فلا بد من تذويب هذه الطاقة المجمدة) .. ومع ذلك فأن ـ هامش ـ الوزير هذا لم يؤثر في استثمار طاقاتي إن كان لي قدر من طاقة .

وأرجو أن لا يفهم قراء ـ مذكراتي ـ هذه بأني كنت بديوان الوزارة من (النوع المشاكس) ابداً بل كنت أعيش في جو صداقة واحترام متبادل وتجاوب ادبي وروحي مع كل رؤسائي وأصدقائي ولكن السبب الحقيقي هو ان (الملعونة) كانت تمسك بعنقي ورأسي وبتلابيب حياتي ! وهل ـ الملعونة ـ هذه غير الصحافة الحرة حبيبتي وعشيقتي الاولى والاخيرة ؟ وحتى اللحظة ، وحتى النفس الاخير ... وسيأتي حديث ـ الملعونة ـ في صفحات اخرى بعد هذه الاشارات .

انطباعاتي عن بعض مديري الدعاية العامة ممن عملت معهم خلال عشر سنوات

(١) أحمد زكي الخياط

من رجال الادارة ـ لا السياسة ـ وقد تولى منصب ـ المتصرف ـ مرتين ومنصب

ـ مدير البريد والبرق العام ـ مرة . عنيف وعصبي المزاج ، ورقيق اذا طاب مزاجه واطمأن الى مركزه الوظيفي .

جيء به مديراً عاماً للدعاية سنة ١٩٤٣ في عهد ـ عبدالاله ـ الوصي وبرغبة منه ، ولهذا فقد اصطبغ باللون (البلاطي) الهاشمي في الوقت الذي اصبح فيه هذا اللون باهتاً بعد ثورة (٢ مايس سنة ١٩٤١) بسبب اندفاع ـ الوصي ـ مع الانكليز ـ وعودته الى بغداد ـ فاتحاً ـ هاشمياً ـ انكليزياً ـ لا محرراً ، حيث كان ـ يتلذذ ـ وهو ينظر الى احرار ثورة (٢ مايس) يرتقون اعواد المشانق ويهتفون بحياة العراق والعروبة والحرية .

وقد انعكس ذلك ـ اللون الباهت ـ على تصرفات ـ احمد زكي الخياط ـ في الدعاية العامة ، حتى ان شقيقه المترجم والمؤرخ والمربّي المعروف (جعفر الخياط) كان يلومه ويحذره من هذا الميل والانعطاف أمامي وهكذا كان ، إذ لم يشفع له كتاب (فيصل بن الحسين) الذي قمنا بتاليفه في الدعاية العامة .. والتفصيلات في مكان آخر .

(٢) عبدالجبار الأمين

كان (السكرتير العام) الناجح لديوان مجلس الوزراء وقد عين (مديراً عاماً) للدعاية والاذاعة وهو لا يملك في هذا المجال ، إلا الخلق الفاضل المضاعف ، ولهذا فقد كان فشله في حقل الدعاية العامة مضاعفاً وبالذات عندما كان (ارشد العمري) رئيساً للوزراء ، فقد كان يتحاشى حتى مقابلته ما استطاع الى ذلك سبيلا ويقول (كفى الله المؤمنين القتال) . وكنت أقول له في احدى ـ السهرات ـ مع حسين الرحال (على نفسها جنت براقش) .

(٣) حسين علي الرحال

مثقف ـ يساري ـ درس في المانيا ، ويحسن اربع لغات وهو متأثر بالفكر اليساري الغربي ويتعاطف مع ـ الشيوعيين ـ تارة ويحمل عليهم الى درجة الحقد تارة اخرى ، ومع ذلك فانه قد يتنازل عن رأيه حفاظاً على منصبه .

(٤) ناجي القشطيني

لغوي ومرب وشاعر رقيق بشهادة ديوانه المرموق وبشهادة كل طلابه المنصفين ـ ومنهم أنا ـ في دار المعلمين .

ولولا معرفته بجميل المدفعي ومصطفى العمري لما جيء به الى (مديرية الدعاية العامة) بالوكالة ، والى مديرية المطبوعات العربية بالاصالة ، فانه لا يفهم

ولا يريد أن يفهم مسؤولياته في ـ الدعاية ـ لأنه غير مؤهل لمثل هذا ، ولانه رجل تربية ولغة وشعر حقاً وصدقاً .

واذكر بهذه المناسبة ان (ناجي القشطيني) كان مديراً عاماً للدعاية بالوكالة وكنا ننتظر تثبيته ـ اصيلًا ـ ولكن الذي حدث هو انني كنت مراقباً للصحف وقد فوجئت باحدى الصحف المحلية وهي تنشر ـ قصيدة ـ القشطيني في شتم الانكليز والاستعمار ، وقد وافقت على نشرها احتراماً لاستاذي القشطيني ، وعندما نشرت احتجّت السفارة البريطانية وتساءلت : كيف يسوغ ـ مدير الدعاية العام ـ لنفسه الطعن بالانكليز ؟ كان هذا السبب كافياً لاقصاء القشطيني عن المديرية العامة .

- خليل ابراهيم / مدير الدعاية العام
- كمال ابراهيم / مدير الدعاية العام
- تحسين ابراهيم / مدير الدعاية العام
- غالب ابراهيم / صاحب جريدة النضال

هؤلاء الثلاثة الاوائل من اصدقائي الكبار بشخصياتهم ومناصبهم الكبيرة ، وغالب ابراهيم المحامي ـ ابن اخي ـ وصاحب جريدة (النضال) السياسية .

لقد جيء بخليل ابراهيم الى موقع (الدعاية العامة) ثلاث مرات في عهد (نوري السعيد) وباختياره .

وكمال ابراهيم استاذ اللغة العربية في كلية التربية ، وقد جيء به مديراً عاماً للدعاية في عهد صالح جبر وتحسين ابراهيم استاذ ـ الكيمياء والعلوم ـ في دار المعلمين ، وقد جيء به مديراً عاماً للدعاية في عهد الدكتور محمد فاضل الجمالي .

يومها وفي سنة ١٩٥٤ ـ وأنا مراقب المطبوعات ـ مع (روفائيل بطي) وزير الدولة لشؤون الدعاية و (فاضل الجمالي) رئيس الوزراء ، كتبت ونشرت مقالة صغيرة في جريدة (النضال) حيث كنت أحرر كل موادها المهمة تقريباً .. تلك الكلمة ملخصها كالآتي :

مديرية الدعاية العامة وقف على آل ابراهيم

يبدو ان مديرية الدعاية في بعض العهود هي وقف على (آل ابراهيم) وحدهم نخليل ابراهيم مدير دعاية عام أكثر من مرة في عهد نوري السعيد ، وكمال ابراهيم

مدير دعاية عام في وزارة صالح جبر وتحسين ابراهيم مدير دعاية عام في وزارة الدكتور محمد فاضل الجمالي .. ومن يدري فلعل صاحب جريدة النضال هذه قد يعيّن (مدير دعاية عاماً) ـ لا سامح الله ـ اذا ما تنازل عن رأيه وعقيدته وجزء من كرامته وسار في تيار الطبقة الحاكمة !! اسجل هذا من باب المداعبة والنقد الهزلي والساخر مع احترامي (لآل ابراهيم) الثلاثة خليل وكمال وتحسين الذين حباهم الله بسطة في الثقافة والتجربة والأدب الجم وما تقبلوا هذا ـ المنصب الخطير الحساس ـ إلا لكونهم من الموظفين الكبار لدى الدولة وقد نقلوا الى منصب الدعاية امتثالًا لامر الدولة .

موقف (غريب) .. وتوتر (عجيب) !!
بين (روفائيل بطي) .. و (تحسين ابراهيم) !!

في وزارة (فاضل الجمالي) بلغ التوتر أشدّه بين (روفائيل بطي) وزير الدولة لشؤون الدعاية والمحسوب على (الجمالي) وبين (تحسين ابراهيم) مدير الدعاية العام والمحسوب ـ هو الآخر ـ على الجمالي ولأن علاقات معرفة وصداقة تربطني مع هذين الصديقين الكبيرين المثقفين ، فضلًا عن كونهما رئيسيَ ـ فقد حاولت أن اصفي الجو الغائم بينهما فلم أنجح ! وقد أثر ذلك الجو على طبيعة عملي الصحفي والرقابي ، وكنت أعيش المعاناة بسبب ذلك !!

وذات يوم تغيّب ـ تحسين ابراهيم ـ عن الدوام يومين أو ثلاثة .. فاستدعاني (روفائيل بطي) وقال لي .. أرجو أن تتصل ـ تلفونياً ـ بالاستاذ تحسين ابراهيم ، وتتفقّد صحته ـ إن كان مريضاً ـ وتساله باسمي .. لماذا هذا الاضراب عن الدوام ؟

وقد اتصلت بتحسين ابراهيم ، وسألت عن صحته ، ونقلت اليه كلمات (روفائيل بطي) بالنص فاجابني تحسين ابراهيم بهذه الكلمات .. (أرجو أن تقول للوزير .. باني عندما أضرب لا أضرب عن الدوام ، انما أضرب بالقنادر !!) .

من نكات حسن الطالباني (مدير الدعاية العام)

المعروف عن (آل الطالباني) كلهم وبدون استثناء بما فيهم الاخت المربية

الكريمة (فاطمة الطالباني) مديرة (الفنون البيتية) ، انهم أهل نكتة بارعة يتناقلونها ويروونها ، بل ويشترونها بكل ثمن !!

وحسن الطالباني في الطليعة من هؤلاء .. انه صديق عزيز وأثير على قلبي .. فلقد كان (متصرفاً) في الكوت والحلة ومديراً للمصرف العقاري .. ومن ثم جيء به مديراً عاماً للدعاية والاذاعة والتوجيه .

وفي حقل الدعاية والتوجيه توثقت علاقتي به أكثر من السابق وكان يعتمدني في بعض الامور والشؤون والبيانات أكثر من الآخرين . كما كان يعترف أمامي بأنه يجهل كل شيء عن قضايا الدعاية والاعلام والتوجيه وان تعيينه في هذا ـ المنصب ـ هو من قبيل تعيين « الشخص غير المناسب في المحل غير المناسب » !!

وفوجئت ذات يوم ولم افارقه إلا بضع ساعات بتعيينه وزيراً ! وفي تلك الليلة اقيمت حفلة عشاء حضرها كل الوزراء وشخصيات الدولة ورجال الصحافة .

فجعلت ابحث عن ـ صاحبي ـ و ـ مديري ـ السابق الطالباني فوجدته في ركن من اركان الحديقة ومعه بعض الاصدقاء ، فقدمت له التهاني الحارة وعاتبته عتاباً أخوياً وشديداً ، حيث لم يبشرني باستيزاره في عرض النهار واثناء الدوام !! ورجوته أن يتفضل عليَّ بنكتة جديدة بمناسبة استيزاره فقال ـ الطالباني ـ وهو من هو ثقافة وتجربة وتواضعاً : لا تعاتبني على عدم زف البشرى اليك وللاصدقاء كافة باستيزاري لاني شخصياً ما كنت أعلم شيئاً عن كيفية هذا الاستيزار وكيف رشحت حتى لكأن الوزير الجديد (آخر من يعلم) !!.

فأرجو أن تفهم القصة كالآتي :

في السابق عينت ـ متصرفاً ـ في بعض الالوية ـ أي المحافظات ـ فلم أدبرها ولم يحالفني النجاح والتوفيق . فاضطرت الحكومة الى تعييني بوظيفة (مدير عام) للمصرف العقاري ، فلم يحالفني التوفيق كذلك .. ومن ثم عينت (مديراً عاماً) للدعاية والتوجيه ، وأنت ـ كمراقب للصحافة والمطبوعات معي ، أعرف الناس بأن التوفيق لم يحالفني كذلك لولا تعاونك والاخوان الآخرين معي !! ومن هنا فقد ضاقت الحكومة ذرعاً بمشكلة اسمها (حسن الطالباني) وبايجاد الحل السريع لها لأنه لم ينجح في كل المناصب والمواقع الادارية التي تبوأها !! ويبدو ان الحكومة قد اهتدت الى الحل السريع والحاسم أخيراً وذلك بتعييني وزيراً للمواصلات !!

الواقع انها نكتة سياسية بارعة أسجلها ـ للطالباني ـ ولو على حساب شخصيته المرموقة من قبل الجميع والمظلومة من جانبه فقط !!

العدوان الثلاثي على مصر
استقالة موظفي اذاعة الشرق الادنى
اعدادي لركن (فلسطين) وركن (الجزائر)

بعد العدوان الثلاثي على مصر ، وهو العدوان الذي شاركت فيه بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، قدم الموظفون العرب الذين كانوا يعملون في اذاعة الشرق الادنى ، استقالاتهم من تلك الاذاعة والتحقوا بالاذاعة العراقية ... وهم محمد توفيق الغصين ، وسميرة عزام ، وصبحي ابو لغد ، وعبدالمجيد أبو لبن . وقد استفادت الاذاعة من مواهبهم وتجاربهم ، واستطاعوا هم أن يطوروها ويطفروا بها طفرات نوعية الى أمام .. وقد دعيت - يومها - حيث كنت - مديراً للاعلام والاستعلام - بوزارة المعارف من قبل - صديقي - توفيق الغصين ، ان اشارك في مناهج الاذاعة وذلك باعدادي (ركن فلسطين) الاسبوعي و (ركن الجزائر) الاسبوعي ، وقد اتفقنا على ذلك ، وباشرت باعداد تينك الركنين - القوميين - الامر الذي حملني على جمع ثروة كبيرة من المصادر المتعلقة بفلسطين والجزائر لكي اعتمدها في تحرير الركنين المذكورين .

وبالرغم من خضوع ذينك - الركنين - للرقابة من قبل المسؤولين عن الاذاعة والدعاية فاني أشهد للتاريخ وللتاريخ فقط ، بأن الاشخاص الاربعة العرب الذين التحقوا باذاعتنا إياهم ، والذين كنت أطلق عليهم (المربع الذهبي) كانوا أسهل وأشجع من المسؤولين العراقيين عن رقابة المناهج التي تذاع !!

فقد كانوا - أي المسؤولون العراقيون - يحذفون الكثير من تلك (الاركان) التي كنت أكتبها وأعدّها للاذاعة الأمر الذي اضطرني على الانسحاب والعزوف عن الاعداد مدة اسبوع أو اسبوعين احتجاجاً على الحنف !!

وما هي إلا مدة قصيرة من تعيين الزعيم الركن (محسن محمد علي) الملقب بـ (أبي سيف) مديراً عاماً للدعاية ، واذا به يستدعيني بوساطة المذيع الاول - كاظم الحيدري - حيث عاتبني عتاباً مرّاً عن انقطاعي عن الاذاعة وعزوفي عن اعداد ركنيّ - فلسطين والجزائر - ، وعن السبب في هذا !؟ فشرحت له كم كنت أعاني من عملية الاعداد التي تستغرق من وقتي وجهدي اسبوعين مستمرين لا أفارق فيها - مكتبي - وكم هي - المصادر - الموثوقة التي اعتمدها في عملية التحضير والتحرير والاعداد ومن ثم ، وبالرغم من تلك الجهود ، فقد كان « أحدهم » أو « بعضهم » وبكل

سهولة يحنف من ـ الركنين ـ ما لا يستسيغه هو أو ما يتخوف من اذاعته هو !! وأكثر ما يخيف هذا « البعض » هو « الطابع القومي » الذي يكتب في اطاره ـ هذان الركنان » !! ولهذا فقد انسحبت من الاذاعة وقدمت ـ للمسؤول ـ مذكرة بذلك قبل تعيينكم . فاجابني « محسن محمد علي » (ابو سيف) الذي عرفه جيل الثورة شجاعاً وواثقاً من نفسه وشخصيته أمام محكمة ـ المهداوي ـ بعد الثورة .. أجابني بقوله .. اذا كان السبب في انسحابك من الاذاعة هو هذا فيكفيك هذا سبباً للانسحاب .. ومنذ الآن فإنك حر في اعداد الركنين بالطريقة والاسلوب الذي تراه مناسباً ، ولن أسمح لغيري بأن يراقب ما تكتبه فأرجوك أن تعود وتستمر على اعداد ركنيّ الجزائر وفلسطين . وهكذا عدت واستمررت على اعداد ركن الجزائر الى حين استقلال الجزائر سنة ١٩٦٢ . أما ركن ـ فلسطين ـ فقد عزفت عن اعداده بعد ثورة الرابع عشر من تموز سنة ٩٥٨ وبعد انقسام الثوار على أنفسهم ، وبعد طغيان المد الاحمر على الثورة ! وما تزال (الاركان) التي اعددتها ـ وحسب علمي ـ تحتل جزءاً من ـ خزين ـ الاذاعة وتراثها الوطني والقومي والسياسي ، إن لم تمزقها أيدي العمالة والرجعية والاستعمارية التي كانت موجودة في داخل الاذاعة والدعاية والمطبوعات .. تماماً . كما مزق ـ العدوان الثلاثي ـ عن طريق عملائه ـ العديد من وثائق ـ الناصرية ـ والدعوة الى الوحدة العربية !!.

محمد توفيق الغصين خبيراً في مجلس الاعمار مشاركتي مع (بدر شاكر السياب) في اعداد بعض الكلمات والمقالات عن الاعمار !!

من خلال وجود (المربع الذهبي) في الاذاعة ـ أي موظفي اذاعة الشرق الادنى المستقيلين ـ توثقت علاقاتي الاخوية بهم الى أقصى حد ، وبالذات مع رئيسهم وكبيرهم الذي علمهم السحر الحلال (محمد توفيق الغصين) والذي ينطوي صدره على روح قومية وتحررية لاهبة بوصفه من اسرة (آل الغصين) المجاهدة العريقة ، ولي معه ذكريات وذكريات .. ولا أزال احتفظ بحقيبة اليد التي أهدانيها منذ أكثر من (٤٥) سنة للذكرى !!

وقد رشح السيد توفيق الغصين للعمل في مجلس الاعمار ، بعد أن أنهيت

ـ عقود الآخرين ـ من اصحابه .

وذات مساء ـ وفي احدى الحفلات الرسمية ـ كلفني ـ الغصين ـ بالدوام ليلاً في مجلس الاعمار لمدة ساعتين فقط للمشاركة في اعداد بعض الكلمات والتقارير عن انشطة ـ مجلس الاعمار ـ ومشاريعه المرسومة والمخططة في ضوء امكانات العراق المالية والفنية في تلك ـ المرحلة الملكية ـ وقد داومت فعلاً ، حيث وجدت ـ صديقي القديم ـ هنالك وهو الشاعر الخالد (بدر شاكر السياب) !! فكانت فرصة ذهبية بالنسبة لي لتجديد العلاقة مع تلك ـ الشخصية الشعرية ـ والفكرية المحببة عن كثب حيث عملنا معاً في مجلس الاعمار لمدة قصيرة لا تتجاوز بضعة أشهر زادت من اكباري واعجابي بالسياب « الشاعر الكبير الخالد » .

« السياب » وأنا في عهد عبدالكريم قاسم
السياب على فراش الموت في الفندق !!

بعد ثورة الرابع عشر من تموز ، وفي ١٩٦١ ـ ١٩٦٢ وهي المدة التي كان فيها اسماعيل العارف وزيراً للمعارف استدعاني ـ العارف ـ الى مكتبه بديوان الوزارة ، وقال (... ان صاحبك القديم ـ بدر شاكر السياب ـ مريض وقد عاد الى بغداد مؤخراً وهو الآن نزيل فندق (   ) في شارع الرشيد . وقد عولج في احد مستشفيات لبنان . فارجو أن تزوره عصر اليوم لتسأل عن صحته وتبلغه بأن جميع نفقات المستشفى في لبنان ، قد دفعت من قبل السفارة العراقية في بيروت) . وهكذا فقد زرته وبلغته بالامر وباستعداد حكومة الثورة لمساعدته تكريماً لشاعريته وشخصيته . وقد كررت زياراتي له عدة مرات ولكنه كان يتحدث معي ، وكأنه يعيش أيامه الاخيرة رحمه الله .

مقالاتي ضد (الاتحاد الهاشمي) !!
على عهد الوزارة (البابانية)

بعد سقوط الوزارة السعيدية (الثانية عشرة) شكلت وزارة جديدة برئاسة

(احمد مختار بابان) في (١٩ مارت سنة ١٩٥٨) وهي آخر وزارة ملكية حيث اطاحت بها ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ ولما يتجاوز عمرها الخمسة أشهر !! فلقد توارثت هذه الوزارة جميع العقد والمشاكل السياسية المزمنة ، مضافاً اليها مشكلة (الاتحاد الهاشمي) الملغوم والذي اعلن لمجابهة (الناصرية) ومشروع المناداة بالوحدة العربية المنشودة .. وقد تفاقمت مشكلة (الاتحاد الهاشمي) وتطورت بشكل سريع لا سيما بعد أن ركز عليها - بابان - في كتاب التكليف والاستيزار ، الأمر الذي استثار حمية بعض الكتاب العرب الاحرار ، فحملوا عليه حملات صحفية ووصفوه بانه مشروع استعماري جديد ومن ورائه الانكليز ، لضرب (عبدالناصر) ودعاة الوحدة العربية ...

وقد تاثرت بتلك الحملات وكتبت ونشرت بتواقيع مستعارة بعض المقالات التي احتج عليها - وصفي التل - سفير الاردن في العراق .

وهكذا ، فان وزارة (بابان) قد اصبحت مطوقة من الداخل والخارج ولم تفدها أو تنقذها تلك - البيانات - التي كانت تصدرها مديرية الدعاية العامة ... وزاد الطين بلة ان حكومة - بابان - قد اتهمت - عبدالناصر بالتدخل في شؤون لبنان . وان الدكتور (فاضل الجمالي) ممثل العراق في مجلس الأمن الدولي قد هاجم بخطابه - المرتجل - عبدالناصر والجمهورية العربية المتحدة ، حيث ازدادت وعنفت حملات اذاعة (صوت العرب) ضد سياسة العراق ودون رحمة الأمر الذي عجّل - وهذه آخر عبقرية للعهد الملكي - بتاليف وزارة (الاتحاد الهاشمي) المشتركة بين العراق والاردن !! ومع ان هذه - الوزارة المشتركة - كانت بمثابة وزارة - انقاذ - وتدارك ، ولكن العكس كان هو الصحيح ، لانها - أي الوزارة المشتركة - تكلف العراق اعباءً ضخمة بسبب ضعف ميزانية الاردن . فلا غرو اذا ما كانت وزارة (الاتحاد الهاشمي) هدفاً لاقلام الوحدويين الأحرار - ومنهم كاتب هذه الأسطر - ولا فخر ، وسبباً قوياً عجل فضلًا عن الاسباب الاخرى في تفجير ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ .



▲
حسن الطالباني متصرف الحلة في العهد الملكي



▲
الدكتور الفلسطيني علي كمال



▲
المرحوم عبدالرزاق الكميت الناصري



▲
مدحة الجادر المدير العام للاذاعة والتلفزيون

الفصل الثالث

وضعي الوظيفي والصحفي بعد ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨

كانت ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ مرحلة تحول تاريخية قاهرة للاستعمار ، وفاصلة بين العهد الملكي الداثر ذي السياسة ـ الازدواجية ـ مع الانكليز من جهة والعهد الجمهوري الزاهر والحر المتحرر من جهة اخرى .

وكنت أعرف أكثر رجال الثورة وضباطها الاحرار ، وكان الدكتور ـ جابر عمر ـ وزير المعارف بالذات زميلًا قديماً منذ عهد ـ التلمذة ـ في دار المعلمين في آخر العشرينات وكذلك الدكتور عبدالجبار جومرد أول وزير خارجية للثورة أعرفه منذ عهد التلمذة في دارِ المعلمين .. أما محمد صديق شنشل ، فاعرفه ـ كصديق كبير ـ من خلال حزب الاستقلال . وكذلك الدكتور محمد صالح محمود وزير الصحة وهديب الحاج حمود وزير الزراعة ومن ثم وزير المعارف بالوكالة ..

أما عبدالكريم قاسم ، فلم أعرفه ولم أره قبل الثورة إلّا مرة أو مرتين في دار طاهر يحيى بعد أن احيل على التقاعد قبيل الثورة أما عبدالسلام عارف ، فلم أعرفه إلا معرفة ـ المحلة الواحدة ـ بجانب الكرخ ، وبوساطة صهره « حسين فريد » الريّس مدير الشرطة يومذاك .

تفجرت الثورة وأنا ـ مميّز ترجمة ـ في ديوان وزارة هي وزارة المعارف اسماً وعنواناً لا مُسـمّىً وترجماناً ، فلم أكن امارس عملية الترجمة بل كنت « مجمداً » تقريباً !! وبالرغم من وضعي ـ الوظيفي ـ هذا فلم أطلب عنواناً أو عملًا جديداً من الدكتور ـ جابرِ عمر ـ صديقي الروح بالروح وزميلي ـ كما اشرت الى ذلك ـ في دار المعلمين وفي عضوية جمعية ـ النداء الاجتماعي ـ بالاعظمية لمؤسسها (محمد أحمد العمر) القاضي العادل ، ومن ثم عضو مجلس النواب لمدة وجيزة .

وبعد أن دب دبيب الخلاف بين رجال الثورة أنفسهم في السر والعلن ، وبخاصة بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف ، الصديقين (اللدودين) ومن أقطاب الضباط الاحرار ، انعكس ذلك الخلاف أو الصراع بصورة مباشرة على أجهزة الدولة والثورة كافة وعلى وزارة المعارف بالذات بوصفها وزارة العلم والاعداد والتوجيه ، فقد تمكن ـ الشيوعيون ـ من التغلغل المباشر في اجهزة وكوادر مؤسسة التربية والتعليم ، وفي استحصال دعم (محكمة المهداوي) لهم بكل وسيلة مشروعة وغير مشروعة !! وهكذا فقد استغل الشيوعيون ذلك الصراع الحاد بين الفريقين -- فريق عبدالكريم قاسم من جهة وفريق عبدالسلام عارف من جهة اخرى !! وعلى المستوى الداخلي والخارجي على السواء . وبادرت جريدة (اتحاد الشعب) الشيوعية تشن الحملات والغارات ـ الصحفية ـ والاعلامية ، على الجمهورية العربية المتحدة وعلى عبدالناصر ، وعلى جميع القوميين والكتاب الاحرار ، في كل مكان !.

بعد هذا كان لزاماً عليَّ أن احدد ـ موقعي ـ بكل وضوح وصراحة وجدية وحدية بين المعسكرين المتصارعين الشيوعي والقومي وأن أرتفع ـ ما استطعت ـ فوق الصداقات والمعرفة التي تربطني مع كلا الفريقين !!

وهكذا ، فقد كنت مع الفريق القومي ، وجنَّدت نفسي في معركة القلم والصحافة الحرة حينذاك وشاركت في معارك ساخنة وفاصلة دون ما هوادة حتى ان جريدة (اتحاد الشعب) قد عرضت بي ، وبشقيقي (حسن علي التكريتي) في كلمة كان عنوانها ـ كما أتذكر ـ « نار التكريتي ودخان أخيه » ـ إن لم تخني الذاكرة !! وفي آخر الفصل سأنشر بعض ـ الكلمات ـ لتوثيق هذا ، علماً بان (ابو سعيد) أعنف كاتب شيوعي في « اتحاد الشعب » ـ وهو صديقي ـ قد أفردت له ـ غرفة خاصة ـ بديوان وزارة المعارف ومقابل غرفتي وذلك من أجل تحرير بعض ـ المقالات ـ لجريدة ـ اتحاد الشعب !! وهذه الحالة أو الظاهرة ـ العجيبة ـ لم تمنعنا ـ أبو سعيد وأنا ـ من تبادل التحايا والسلام والاحترام المتبادل .. تماماً .. كما لم تمنعنا من نشر ـ الردود ـ الصحفية الواحد ضد الآخر من الناحية المبدئية والعقائدية !! هو يكتب مقالاته في (اتحاد الشعب) وأنا أكتب ـ مقالاتي ـ وأنشرها في جرائد (الفجر الجديد) و (العهد الجديد) واليقظة ـ أحياناً ـ وفي مجلتي ـ الصاعقة ـ و ـ الوادي ـ .

واغرب واعجب من كل هذا وذاك هو ان المشرفين الكبار والمسؤولين بديوان

وزارة المعارف كانوا اما من الشيوعيين أو ممن يتعاطفون معهم ، وكان أغلبهم من اصدقائي أمثال الدكتور صلاح خالص وعبود زلزلة والدكتور فيصل السامر والدكتور صفاء حافظ واخوه (عدنان الحافظ) الذي كان يعمل - ملاحظاً - في شعبتي !! وهكذا فقد احتفظت بصداقتي مع أكثرهم كما احتفظت بموقفي الناقد المعارض ضدهم . وقد دافعت عن بعضهم حتى بعد أن دالت دولتهم وخضدت شوكتهم والشواهد كثيرة .

مع العميد الركن محيي الدين عبدالحميد وزير المعارف والضابط الحر المتميز وصديق - رفعت الحاج سري - الروح بالروح

استوزر العميد الركن محيي الدين عبدالحميد ، وزير المعارف والمد الاحمر الشيوعي بديوان الوزارة ما يزال في ذروته وجبروته .. ومحيي الدين عبدالحميد الرجل والانسان المحتشم في طليعة الضباط الاحرار ، وصديق حميم وكريم للمناضل « رفعت الحاج سري » لولب - الثورية - و - الدينامية - لحركة الضباط الأحرار قبل الثورة ..

وقد جيء - بالعميد محيي الدين عبدالحميد - لمعالجة الازمة العاصفة الحمراء في داخل الوزارة وتقليم اظافر الشيوعيين المتطرفين واعادة التوازن الى كفتي - الميزان - بعد أن اختلت الموازنة وحاول - الوزير - أن يحقق هذا - التوازن - بخلقه وحكمته وبهدوئه ورزانته ، إلا انه لم يحقق نجاحاً في هذا السبيل رغم محاولاته لأن الخطة المرسومة لوزارة المعارف كانت اقوى من الحكمة والرزانة والاخلاق !!

موقف مع محيي الدين عبدالحميد وزير المعارف

كنت وما ازال أكن عميق الاحترام للعميد الركن محيي الدين عبدالحميد - وزيري - بسبب صفاته ومؤهلاته التي ذكرت بعضها . وقد حدث ان اشتبك طلاب - كلية العلوم - في الاعظمية بعضهم مع بعضهم الآخر ، أي اشتبك - الشيوعيون -

مع القوميين . وكان من ضمنهم ابن اخي (سعد بن عبدالعزيز العلي) وهو الآن الدكتور سعد عبدالعزيز في جامعة صلاح الدين جاءني ـ سعد ـ الى ديوان الوزارة ومعه اصدقاؤه الثلاثة الذين تبادلوا الضربات و ـ البوكسات ـ مع الشيوعيين وتبدو على وجوههم وصدورهم وسواعدهم آثار المعركة ضماداً ودماً وأثواباً ممزقة !! لقد أخذتهم فوراً الى وزير المعارف فقابلهم وطيّب خاطرهم ووعدهم بأن يحقق في الأمر ويعالج أمثال هذه الاحداث من حيث الاساس وفي جميع الكليات والمعاهد والمدارس ، وانه سينقل اخبار هذا ـ الحادث ـ وغيره الى ـ الزعيم ـ عبدالكريم قاسم ...

انصرف ـ الطلبة ـ الاربعة وبقيت مع الوزير بديوانه ، وحسب رغبته ، وهنا سألت الوزير عن العلاج الناجع لمثل هذه الاحداث التي تدل على التبلبل والفوضى العلمية وعدم الاستقرار ، فقال الوزير بالحرف الواحد (اخي شاكر ! هؤلاء الشيوعيون لا يعرفون و لايدركون النتائج والمضاعفات الخطيرة ، التي تترتب على تطرفهم وعدوانهم وتربصهم شراً وأذى بالعناصر القومية !! اتدري لماذا ؟؟ ذلك لأن الشيوعيين لم يقرأوا ولم يفهموا تاريخ العراق في عهوده المختلفة .. كما لم يدركوا ان شعب العراق شديد المراس ، صعب القياد ، وان له مثله وقيمه الروحية والتقليدية منذ آلاف السنين) . وأضاف يقول (أخي شاكر ! اني على يقين بأن ـ الشيوعيين ـ بتصرفاتهم هذه ، سينهون أنفسهم بانفسهم لان الثورة لا تطيق تصرفاتهم الشاذة بعد الآن !!) .

وقد أنهى حديثه معي بالقول بانه راغب جداً في الاشتراك معي في تأليف كتاب عن ـ تاريخ العراق ـ وأن نجتمع في كل اسبوع مرة أو مرتين لهذا الغرض ، ولكي نضع بعض النقاط ورؤوس الاقلام والمواد الرئيسة للكتاب . وفعلاً فقد بدأنا بكتابة المقدمة وحددنا الموضوعات اللازمة ومصادر الكتاب .. وما هي إلا أن تنفذ احكام ـ محكمة المهداوي ـ باعدام بعض الضباط الأحرار ، رفعت الحاج سري وجماعته من الشهداء .. نفذت تلك الاحكام ـ على حين غرة ـ وبصورة غير متوقعة خلافاً للوعود التي قطعها ـ قاسم ـ لبعض الوسطاء والمقربين ومنهم (محيي الدين عبدالحميد) كما جرى بعد هذا تعديل وزاري فاصبح (محيي الدين عبدالحميد) وزيراً للصناعة واستوزر (اسماعيل العارف) وزيراً للمعارف .

آراء ـ الجندي المجهول ـ الجندي المعلوم ـ والجاسوسة الحسناء في بعض الشخوص والشخصيات الحاكمة في العراق

من رؤساء الوزارات الذين عملت معهم :

نوري السعيد ـ ابوهم وعميدهم . أقوى وأعتى الساسة والحاكمين كلهم الذين تخرجوا في المدرسة السعيدية التي حكمت العراق ـ في اثناء الحكم المزدوج حتى ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ .

صالح جبر ـ لا يصلح ـ العطار ـ السياسي ما افسدته ـ معاهدة بورتسموث ـ بالرغم من انها لم تبرم وقد داسها الشعب الثائر تحت اقدامه .

حمدي الباجه‌جي ـ صلوا لله وسلموا تسليما ولا تسبحوا بحمد الانكليز ..

جميل المدفعي ـ عفا الله عما سلف ..

ارشد العمري ـ وصلبهم على جذوع النخيل ـ أي الشيوعيين ـ .

مصطفى العمري ـ الصقر المعروف ـ ودو الانف المعقوف والحدباوي ـ العراقي العربي الاصيل والذي استقال من رئاسة الوزارة عندما اريد منه ضرب الشعب الثائر فلم يفعل فافسد على خصومه السياسيين خطتهم وفي طليعتهم ـ عبدالاله الوصي ـ .

من الوزراء الذين عملت معهم

عمر نظمي ـ ابو الهول ـ احياناً وليس دائماً والحائر بين فكرين ، فكر البلاط والانكليز من ناحية ، وفكر ابنائه التقدميين من جهة اخرى .

تحسين العسكري ـ جيء به الى وزارة الداخلية ، واخرج منها ، ولم يوفق في المرتين ، والفضل لشقيقه ـ جعفر العسكري ـ وهو في الدار الاخرى .. يرغب في التوفيق بين الاضداد ، وبين الفكر الرجعي والفكر التقدمي ، وهذا مستحيل وهذا سبب فشلو كوزير .. رغم خلقه الطيب ودماثته .

حسام الدين جمعة ـ كان (اميناً للعاصمة) ناجحاً ، وكان (مدير شرطة عام) ناجحاً واصبح وزير داخلية . لا أستطيع أن أصفه رغم اني على اتصال رسمي معه منذ كل صباح وحتى الساعة الثامنة مساءً ، انه حائر بين الحكم والمعارضة .

خليل كنه ـ كثيرون هم الذين لا يفهمون هذا الوزير القوي شخصية وفلسفة ووطنية وقومية لان (الاعتداد بالنفس) غير الغرور ولأنه اختلف مع (حزب الاستقلال) أي حزبه ـ تلبية للمنطق السياسي والمبدئي الذي يؤمن به وقد سار بركاب (نوري السعيد) مؤقتاً وانشق عنه في ضوء المنطق السياسي والمبدئي الذي يؤمن به كذلك .. اختلفت معه اختلافاً شديداً في اثناء وجودي في وزارة المعارف ، على عملي في الصحافة وكتاباتي في الجرائد بتواقيع مستعارة واتخذ اجراءات ضدي وكان الحق معه كوزير مسؤول أقول هذا ارضاءً للتاريخ الصادق الذي يعيش في فكري ووجداني .

سعد صالح ـ انه السياسي الوطني الاديب والخطيب ويشكل (ثنائياً كاملًا) مع (توفيق السويدي) في حزب الاحرار و (ثالوثاً) رائعاً مع الخطابة والمعارضة .

حسين جميل ـ لم أعمل معه على الصعيد الرسمي لانه ما كان وزيراً للمعارف ولا ـ وزيراً للداخلية وهما الوزارتان اللتان كنت أعمل فيهما طوال حياتي الوظيفية .. ولكنني عايشت وواكبت سيرة هذا الرجل وزيراً وحزبياً وشعبياً طوال حياته السياسية والوطنية والديمقراطية التي ما يزال مؤمناً بها كل الايمان والسبب في ذكره ـ هنا ـ هو انه قد استوزر لوزارة العدل في وزارة (علي جودة الايوبي) بشرط أن تلغى الاحكام العرفية والاستثنائية ، وهكذا كان . وقد استفدت من هذا ـ الالغاء ـ لأني كنت محالًا للجنة انضباطية بسبب كتاباتي في الجرائد ، وقد ألغيت الاحالة فوراً عدا ذلك فان (حسين جميل) رجل الفكر والديمقراطية والقانون والتاريخ اعده ـ شهادة سياسية صادقة تاريخية للعراق في مختلف عهوده .

الدكتور فاضل الجمالي ـ استاذي في دار المعلمين وقد عملت معه عندما كان وزيراً للخارجية لاول مرة بوزارة (ارشد العمري) سنة ١٩٤٦ ، ومن ثم عملت معه عندما اصبح رئيساً للوزارة سنة ١٩٥٤ ، وكان (روفائيل بطي) وزير دولة لشؤون الصحافة . كان يؤمن بفلسفة المربي الامريكي (جون ديوي) وبفلسفة الذرائع (البراجماتزم) حتى على صعيد الحكم ، ولكن المسافة كانت بعيدة جداً بينه وبين النجاح .

سعيد قزاز ـ أقوى وزير عملت معه ، ولسان حاله يقول (اما حياة شريفة

مشتركة بين العرب والاكراد واما موت شريف مشترك معهم) .

انطباعاتي عن مديري الدعاية الذين
عملت معهم على صعيد واحد

نور الدين داود ـ ثقة وثقافة وعدم تراجع .

كمال عبدالمجيد ـ استقامة ثم استقامة حتى اذا اختلفت مع مسؤولياته الاعلامية والدعائية .

أحمد زكي الخياط ـ بلاطي ، ملكي ، ولكن من دون عرش وصولجان .

عبدالجبار الأمين ـ وان جنحوا للسلم فاجنح لها .

خليل ابراهيم ـ مختصر مفيد مُقل في الكلام لا العمل .

ناجي القشطيني ـ مدير دعاية وشاعر رقيق وطني أراد أن يجمع بين الدعاية والشاعرية فلم يحالفه التوفيق في حقل الدعاية لأنه رجل علم وشعر وأدب .

حسين الرحال ـ مفكر تقدمي منذ كان يدرس في المانيا وقبل أن تنتشر فكرة التقدمية في العراق ولكنه وهو مدير دعاية ومطبوعات كان يعمل في (قمقم) الرجعية حتى النفس الأخير .

مع اسماعيل العارف
سنتا عمل دون انقطاع نهاراً ومساءً
وحتى ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك

الواقع تاريخياً وسياسياً وعملياً ان (العميد الركن) اسماعيل العارف ـ آمر حامية بغداد ـ عندما استوزر لوزارة المعارف استطاع أن ينقذ سفينة المعارف وهي على وشك أن تغرق بسبب الطغيان الشيوعي وأن يوقف المد الاحمر عند ساحله وحده ، وأن يطهّر ديوان الوزارة من المتطرفين والمتزمتين والمسيئين الى سياسة التربية والتعليم في عهد الثورة . والى قرّاء ـ مذكراتي ـ هذه الصور التاريخية الناطقة والشاهدة على ما أقول .

كيف تعرّفت على اسماعيل العارف
بحيث أصبح وزيراً وصديقاً لي

في اليوم الثالث من دوام ـ اسماعيل العارف ـ بديوان الوزارة استدعاني وجرى بيني وبينه الحوار الآتي :

الوزير ـ بلغني انك لا تداوم في الوزارة ، فهل هذا صحيح ؟

الموظف ـ هذا صحيح يا سيادة الوزير !

الوزير ـ لماذا ؟ وكيف ؟ وتعترف ايضاً .

الموظف ـ لأن المسؤولين الكبار في الوزارة لم ينيطوا بي أي واجب وأية مسؤولية منذ أكثر من سنتين ومنذ أن طغى المد الاحمر على الوزارة .

الوزير ـ عجيب !! موظف اعلام ومميز ترجمة قبل ذلك ولا يناط به واجب ما طوال تلك المدة .

الموظف ـ اؤكد لسيدي الوزير هذه الحقيقة ولهذا فان دوامي في الوزارة اختياري وكيفي واقبض راتبي كاملاً في آخر الشهر ودون ما عمل .

الوزير ـ والله عجيب ، وعلى كل حال أرجو أن (تشد حزامك) منذ اليوم وأن تداوم بانتظام ، وأن تكون أنت أول من يقابلني في الصباح الباكر وآخر من يودعني في نهاية الدوام .

الموظف ـ أمرك !!

أول اجتماع عام برئاسة
اسماعيل العارف بديوان وزارة المعارف

طلب مني الوزير أن اهيىء كل ما هو ضروري لعقد اجتماع عام يكون بمثابة ـ مؤتمر تربوي عام ـ يحضره كبار المسؤولين ومديرو معارف الألوية وبعض الاساتذة والمربين المعروفين .. وقد اجريت كل ما يجب وهيات المستلزمات وعقد ـ المؤتمر العام ـ في الموعد المحدد .

استهل المؤتمر العام السيد الوزير بخطاب مسهب ركز فيه على سياسة

ـ المعارف الجديدة ووضع ـ الخطوط الرئيسة ـ لها وما يترتب على ذلك من تبديل وتطوير في المناهج الدراسية ، ومن ثم اعادة النظر في كل الكتب المدرسية المقررة ابتداءً من التعليم الابتدائي وحتى التعليم الجامعي .

وأكد ـ الوزير ـ عدة مرات على نقطة جوهرية واساسية هي ان المقاييس التربوية والادارية في هذه الوزارة يجب أن تقوم على اساس الكفاءة والثقافة والاخلاص والالتزام بمبادىء الثورة ، وقد شجب ـ التطرف ـ والتحزب بصورة واضحة وقاطعة .

وقال ما معناه .. ان مدير الاعلام والاستعلام ـ وهو يعنيني بالذات ـ عضو فخري في كل الاجتماعات والمؤتمرات التي تعقد بعد الآن ، فضلًا عن كونه ـ عضو ارتباط ـ وهمزة وصل في كل اللقاءات ـ وان الجماعة السابقة ـ التي جمدته كانت على غير حق !! واني اعتمد عليه كل الاعتماد .

تلك ـ الكلمات ـ التي اطلقها السيد الوزير أمام حشد حافل من رجال التربية والادارة الكبار شجعتني على الاندفاع الشديد في مجالات الخدمة العامة ودعم السياسة التربوية الجديدة بخطوطها العريضة الواضحة . فضلًا عن التجاوب الادبي والرسمي مع (اسماعيل العارف) تجاوب المدير مع وزيره وتجاوب الاخ مع اخيه الكبير الى آخر لحظة من استيزاره وحكم ـ عبدالكريم قاسم ـ وحتى مساء (١٣ رمضان المبارك) والساعات الاخيرة قبيل ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك .

صور خاطفة من اعمالي مع اسماعيل العارف عندما كان وزيراً للمعارف

(الجولات الميدانية)

كنت ارافقه في جميع الجولات الميدانية في العاصمة وفي كل ـ الالوية التي زارها ـ كما تشهد بذلك الصور التذكارية التي توثق تلك الزيارات والجولات والتي لا تقل عن (٥٠٠) صورة احتفظ بها في (ألبوم خاص) سأنشر بعضها في ثنايا هذا الفصل . وقد تضاعفت جهودي وأعمالي معه بعد أن نيطت به وزارة التوجيه والارشاد والدعاية والاذاعة في آن واحد .

تعيين ـ الدكتور محمد المشاط ـ مديراً للبعثات بديوان الوزارة

استدعاني اسماعيل العارف تلفونياً الى مكتبه في الوزارة . دخلت عليه وانا بصديقي ـ باقر الدجيلي ـ يستقبلني ومعه شاب وسيم الطلعة فقال الدجيلي : اقدم لك هذا الشاب ـ خال الولد ـ وهو الدكتور محمد المشاط ، وقد عاد مؤخراً من امريكا بعد أن حصل على الدكتوراه .

وقد حكيت ـ لوزير المعارف ـ عن علاقتي وصداقتي مع عائلة الدجيلي وبالذات مع ـ حسن الدجيلي ـ المربي المعروف ومدير الادارة العام في عهد ـ خليل كنه ـ وكذلك ـ عبدالكريم الدجيلي ـ من قدامى الاساتذة والمربين .

وهنا توجه ـ اسماعيل العارف ـ اليَّ .. فقال : لقد قررت تعيين ـ محمد المشاط ـ مديراً للبعثات وقد اصدرت الأمر الوزاري اعتباراً من هذا اليوم فأرجو أن تكرس نشرة الاخبار اليومية حول ـ مدير البعثات الجديد ـ الذي عيناه في أهم ـ مديرية ـ من مديريات الوزارة ، تشجيعاً للشباب . وهكذا كان علماً بأن مديرية البعثات هي من أخطر المديريات ولا يعين مدير لها إلا من المدراء القدامى أصحاب المواهب والتجارب .

ولم يمض شهران أو ثلاثة على تعيين المشاط مديراً للبعثات حتى يصطدم بالعديد من طلاب البعثات في الخارج وحتى ترفع بعض الشكاوى ضده !!

فاستدعاني ـ اسماعيل العارف ـ مع ـ محمد المشاط ـ وقال : ارجو أن تدافع عن المشاط في الصحف المحلية بعد أن تطلع على اضابير هؤلاء الطلاب المشاغبين والشيوعيين فكنت اقتبس المعلومات من اضابيرهم ـ بوساطة المشاط ـ وأرد عليهم تنفيذاً لامر الوزير ، ودفاعاً عن المشاط !! اكتفي بعرض هذه الصور التي تدل على حب الوزير وتقديره للمشاط .

وأرجو أن يحتفظ بها ـ قرائي ـ اليَّ أن يتعرفوا مع صورة اخرى معاكسة !! هي الصورة التي رسمها المشاط بيده وقلمه ضد العارف ، بعد ثورة (٨ شباط سنة ١٩٦٣) أي ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك عندما اصبح المشاط وكيلا لوزارة المعارف ، وأصبح العارف رهين الموقف والسجن .

اصدار مجلة المعرفة من قبل وزارة المعارف في عهد اسماعيل العارف

ذات يوم دخلت على اسماعيل العارف بديوان الوزارة وأنا أحمل أوراقاً رسمية للتوقيع عليها فقال لي (استرح واشرب قهوة معي لأني اريد تكليفك بشيء جديد وأهم .. اريد منك أن تؤلف لجنة خاصة من ثلاثة موظفين اكفاء لاصدار مجلة جديدة باسم مجلة (المعرفة) بدلاً من مجلة المعلم الجديد . ولتكن أنت رئيس اللجنة ورئيس تحرير المجلة ذلك لان مجلة (المعلم الجديد) منذ صدورها لم تخرج عن الطابع - الكلاسيكي - والرسمي ، أما المجلة الجديدة المعرفة فاقترح أن تكون حرة تحررها اقلام ناقدة حرة ، وأن تعنى بالنقد والنقد الذاتي وأن تخضع اجهزة الوزارة ، وحقول التربية والتعليم لعملية النقد والحوار مائة بالمائة بحيث تسلط الاضواء الكشافة على - الايجابيات والسلبيات - في آن واحد .. الواقع لقد استهوتني هذه الفكرة وهذا الاقتراح وصادفا هوىً في نفسي فقلت للوزير .. اني مستعد كل الاستعداد . ولكن لي رجاء واحد ، هو ان ترشيح عضوي (لجنة التحرير) الآخرين أرجو أن يكون من قبلي .. فقال (العارف) أنت وحدك حر في هذا الاختيار .. ومن ثم اخترت الاديب الاريب والشاعر (علي الشويكي) عضواً والعلامة يوسف يعقوب مسكوني ، مدير الترجمة في الوزارة عضواً آخر .

صدرت مجلة المعرفة بعددها الاول وهي تعلن في - الافتتاحية - عن أهدافها المرسومة والتزامها بحرية الفكر والنقد الذاتي .. واذكر ان المجلة في أحد اعدادها قامت بمحاكمة (اسماعيل العارف) ووضعه في قفص الاتهام . كما وجهت سهام النقد الى الدكتور الصديق عباس طه النجم وكيل الوزارة .. وهم من هو علماً وثقافة وتجربة وتواضعاً الى غير ما هنالك من الكلمات والنقدات الحرة ، والادبيات التربوية والقصصية والفكاهات التي تطرد السأم عن نفوس القراء بحيث يفتحون قلوبهم وافكارهم أمام المجلة . والحق ان هذه المجلة مأثرة من مآثر - العارف - ومن آثاره في الوزارة .

في تلك المرحلة القاسمية كانت تصدر جريدة يومية سياسية باسم جريدة (العهد الجديد) لصاحبها زكي أحمد وقد نشرت فيها مقالًا بعنوان حكومة وزارة المعارف ، وكان اسماعيل العارف في لندن حينذاك لاجراء بعض الفحوص الطبية . لقد تطرقت في ذلك المقال الى أهمية الوزارة وخطورتها في حقول التوجيه والاعداد والى ميزانيتها الضخمة في ضوء الامكانات المالية المتوفرة والى مدارسها ومعاهدها وكلياتها التي لا تغيب عنها الشمس في الوسط والشمال والجنوب بحيث تشكل تلك الوزارة حكومة مستقلة قائمة بذاتها !! ولكن ذلك المقال أصبح ذائع الصيت وحديث الملتقين من حول ـ الزعيم عبدالكريم قاسم ـ برغم اعتياديته وطبيعته !! فلقد استغل استغلالًا غريباً وعجيباً ولا اخلاقياً ضد اسماعيل العارف من قبل خصوم العارف واتهامه وهو في لندن بأنه هو الذي أوحى لي بكتابة ونشر ذلك المقال وان فيه اشارات واضحة الى حكومة جديدة ـ أو (وضع جديد) يسيطر فيه اسماعيل العارف .. وعندما عاد العارف من لندن واطلع على قصة هذا المقال وعوتب من قبل بعض افراد الحاشية ، قال : دعهم في ضلالهم يعمهون .

(سننشر في آخر الفصل جزءاً من المقال الذي كان من أحد الأسباب التي زادت في التوتر والحساسية بين اسماعيل العارف وعبدالكريم قاسم ، حتى ان ـ العارف ـ اعتكف في داره ثلاثة أيام بلياليها ولم يداوم في الوزارة إلا بعد أن زاره عبدالكريم قاسم في داره في اثناء الليل وساهره حتى الصباح ورافقه الى حيث الوزارة) .

مع اسماعيل العارف في زيارة تاريخية الى اعدادية (النضال) في الكرادة الشرقية

كان ـ جلال شاكر ـ ولدي الاكبر يومها طالباً في اعدادية النضال في الكراده الشرقية وكان من الطلاب النشطين المشاركين في كل التظاهرات الوطنية والقومية وكان الفضل في تنظيمه وانضمامه الى حزب البعث العربي الاشتراكي للمرحوم جعفر

قاسم حمودي حيث كنا جارين في الاعظمية (شارع ٣٠ هيبة خاتون) .. وذات صباح رافقت اسماعيل العارف في زيارة الى اعدادية النضال في الوقت الذي كان فيه الطلاب مضربين عن الدوام وقد تجمهروا داخل الاعدادية وخارجها وهم يهتفون بسقوط النظام القاسمي الحاكم ويطالبون بالافراج عن اخوانهم الطلبة الموقوفين وبنقل بعض المدرسين .

لقد طلب الوزير ونحن في غرفة الادارة اختيار اربعة من الطلاب المتظاهرين للتفاوض معهم وشرح الحالة بهدوء ومن ثم التوصل الى حل حاسم وناجع .

دخل الطلاب الاربعة المختارون ومعهم ولدي جلال على وزير المعارف فاستقبلهم ببشاشة ولطف وتحدث لهم عن نفسه عندما كان طالباً مثلهم في الثانوية في العهد الملكي وهو يشارك اخوانه في المظاهرات الوطنية وفي الاعداد لها واشار الى علامات في رأسه ما تزال ظاهرة بسبب مداهمة الشرطة لهم وضربهم بالعصي والدونكيات واخمص البنادق وقد طرح الوزير عليهم عدة اسئلة ولماذا هذا الاضراب ؟ وماذا يريدون لمعالجة المشكلة من حيث الاساس وطلب منهم أن تكون الاجوبة صريحة جداً لانه سينقل الى الزعيم عبدالكريم قاسم الصورة أو الحالة كما يصورونها ، وفعلًا كان الطلبة صريحين جداً معه حيث تحدثوا معه الواحد بعد الآخر عن تصرفات بعض المدرسين وضعف الادارة ، كما تحدثوا له عن الجاسوسية في داخل الاعدادية بشكل واسع بحيث اصبح حتى صباغو الأحذية جواسيساً وعيوناً راصدة لتحركات الطلبة حتى في داخل الصفوف .

قال الوزير لقد فهمت كل شيء وبارك الله فيكم وأرجو أن تنهوا الاضراب وسأخبر الآن وفي حضوركم (مدير الأمن العام) لاطلاق سراح كل الموقوفين بأمر (الزعيم) وقد نفذ الوزير كلامه هذا واطلق سراح الطلبة وهم تسعة طلاب كما اتذكر وطلب اليهم ثانية العمل على فك الاضراب ، فاجابه الطلبة بالايجاب وقالوا له .. اذن اعطونا اوراق عدم تعرض في الليل كي نتصل بالطلبة حيثما كانوا ونبلغهم بانتهاء الاضراب بعد أن جرى التفاهم التام مع وزير المعارف وقد زودوا فعلًا بأوراق عدم التعرض من قبل الامن العامة ، غير ان جلال وجماعته قد فعلوا العكس اذ اتصلوا بمواقع واماكن الطلبة وبلغوهم بالاستمرار على الاضراب .

توقيف (ابو جلال) وجلال

بعد هذا وذاك استمر الاضراب واختفى جلال وجماعته من بيوتهم ومن المسرح العام واستمروا على النضال السري السلبي بتوجيه من قيادتهم الحزبية البعثية .. وذات مساء وأنا عائد الى داري وقبيل الدخول لاحظت سيارة فوكس واكن صغيرة لدى الباب ترجّل مها شابان لطيفان فأخذاني وحقيبتي الى الأمن العامة بكل أدب واعتذار .

جيء بي الى غرفة المظاهرات الكبيرة ، كما كنت أسميتها ، واذا بحشد هائل من الموقوفين يتظاهرون في داخل الغرفة ويهتفون بسقوط النظام وكأنهم في الشارع العام لا في قلعة (الأمن العامة) .

وهنا رجوت من كان يقتادني أن يكون مقري في غرفة مهما كانت صغيرة وبصورة انفرادية ، فحقق لي مشكوراً رغبتي هذه وأمر لي بقدح من الماء وكوب من الشاي ومن حسن حظي أن تكون حقيبتي معي حبيسة لكن القلم ما كان حبيساً إذ بدأت في كتابة تقرير مرفوع الى وزير المعارف ، فظللت اكتب وأكتب وأسهر الساعات الحبالي والطوال وكأنها الدهر حتى الصباح الباكر .. هذا التقرير الذي كتبته في تلك الليلة رفعته الى وزيري اسماعيل العارف بعد مغادرتي الموقف في اليوم التالي فكان ما كان بينه وبين مدير الأمن العام من توتر ومشادة تلفونية تدور حول محور واحد أو سؤال واحد هو كيف يرتضي مدير الأمن العام لنفسه أن يأمر بتوقيف مدير الاعلام والاستعلام بوزارة المعارف قبل الرجوع الى وزير المعارف وأخذ موافقته ؟ ولماذا يتحمل ابو جلال مسؤولية جلال البعثي المنظم !؟

ذلك التقرير طبع بشكل كراس صغير بعنوان ثورة الطلبة بعد ثورة (٨ شباط سنة ١٩٦٣) وقدم هدية الى دعاة (الوحدة والحرية والاشتراكية) .

رفع الرقابة عن الصحف المحلية في مؤتمر عقده (عبدالكريم قاسم) بديوان وزارة الدفاع

استدعاني اسماعيل العارف وقال : غداً وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً سيعقد الزعيم عبدالكريم قاسم مؤتمراً صحافياً مهماً فارجو أن تبلغ بالحضور ودون

استثناء اصحاب الصحف والمحررين البارزين من جميع (الألوان والميول والعقائد) مع وكالات الانباء العربية والاجنبية .. نفذت الامر بدقة وبلغت الجميع به وبضرورة الحضور ظهر الغد بديوان وزارة الدفاع . وفي المساء زرت صديقي (الحاج طه الفياض) صاحب جريدة (الفجر الجديد) المسائية والتي كنت اساهم في تحريرها يومياً بتوقيع جمهوري ، واقترحت عليه أن يجمع جميع المقالات التي حذفها رقيب الصحف العقيد ـ البيطار ـ لطفي طاهر ، شقيق (وصفي طاهر) رحمهما الله ، وأن يغتنم فرصة انعقاد المؤتمر لتقديم شكوى ضد الرقيب لدى الزعيم ، وهكذا كان ، ففي ظهر الغد انعقد المؤتمر فكان مؤتمراً حافلًا وشاملًا وساخناً وقد تطرق فيه الزعيم الى عدة قضايا مهمة .. وقد جاء في ثنايا خطابه العبارات الآتية (اخواني الصحفيين اشكركم ثانيةوأرجوأن ترتفع الصحافة الى مستوى الثورة) وهنا طلب الكلام الحاج طه الفياض فسمح له الزعيم بالكلام ، قال الحاج الفياض : يا سيادة الزعيم كيف تطلب من الصحافة أن ترتفع الى مستوى ثورة الرابع عشر من تموز ما دام الرقيب على الصحافة والمطبوعات هذا (العقيد ـ البيطار لطفي طاهر) الذي يتعاطف مع الشيوعيين ، ويحذف من المقالات والتعليقات كل الاشياء التي تتعلق بالقومية العربية والثورة العربية والروح الاسلامية ؟ وكان الرقيب لطفي بحكم مسؤوليته كرقيب موجوداً في المؤتمر الى جانب فاضل المهداوي رئيس المحكمة الخاصة ووصفي طاهر . وهنا سأل الزعيم الحاج الفياض عما اذا كان لديه دليل على ما يقول ؟ فتقدم الحاج مع (فايل) كامل يحتوي على تلك المقالات التي حذفها الرقيب . وما أن تصفَّحها الزعيم حتى صاح بقمة صوته (لطفي .. تقدم) ، تقدم لطفي على الطريقة العسكرية وقال (.. سيدي) . قال الزعيم : من وجَّهك هذا التوجيه ؟ ولماذا حذفت هذه المقالات ؟ ثم أردف يقول بعد أن بلغ الهياج منه مبلغه : اخواني منذ هذه اللحظة تلغى الرقابة على الصحافة ولا رقيب عليكم إلا ضمائركم .. وصفق له الحاضرون .

وهكذا دخلت صحافة الثورة مرحلة حرة جديدة وتراجعت نسبياً الصحف الشيوعية والتي تتعاطف معها وادرك الشيوعيون ان (وراء الاكمة ما وراءها).. وبالفعل فقد كان ذلك المؤتمر منطلقاً الى تحول جديد في الحياة الفكرية والسياسية ولكن بعد فوات الفرصة .

والى قراء ـ مذكراتي ـ بعض النماذج الوجيزة التي كتبتها في تلك المرحلة ..

لقائي الوحيد مع (فاضل عباس المهداوي) رئيس محكمة الشعب وهو في اوج (مجده) وقصة المذيعين الذين احيلوا لمحكمة الشعب

تعود علاقتي برئيس محكمة الشعب فاضل عباس المهداوي الى ١٩٤٣ عندما كان برتبة (ملازم أول) في المسيب وعندما كنت بدوري مراقباً للصحافة والاذاعة والمطبوعات وفي اثناء الحرب العالمية الثانية .

يومها كانت جريدة الزمان لصاحبها صديقي توفيق السمعاني من الجرائد المعتدلة والموزونة والحريصة على استمرارها على الصدور .. تماماً .. كما كانت جريدة العالم العربي لصاحبها سليم حسون والاخبار لصاحبها جبران ملكون ، ولا أقول (العراق) لصاحبها رزوق غنام وهو من الكتاب المعروفين بمقالاتهم ضد المعارضة الوطنية حينذاك يساعده في حملات الهجوم والرد على المعارضة اليهودي المعروف منشي زعرور الذي كان يلقب نفسه بـ (السُميذع العربي) كان لي في جريدة الزمان ثلاثة أصدقاء : توفيق السمعاني صاحبها و (ابراهيم علي) محررها الأول و (صبيح الغافقي) الذي لم تنجب الصحافة العراقية مندوباً محلياً مثله

وعلى مستواه حتى الآن . كان فاضل عباس المهداوي صديق ابراهيم علي وكان يأتي من المسيب في ليلة كل جمعة لزيارة صديقه ابراهيم علي في ادارة جريدة الزمان ، وذات ليلة دعتني اسرة الجريدة لتناول العشاء في الجريدة حيث كان المهداوي حاضراً فتعرفنا على بعضنا في تلك السهرة ومن ثم تكررت اللقاءات والسهرات .

انطباعاتي عنه في الاربعينيات والخمسينيات انه خفيف الروح والظل والمعشر ويحب الشعر قراءة واستمتاعاً ، كما يحب النكتة ومتوسط الثقافة ولقّب بالمهداوي نسبة الى محلة (المهدية) وهي نفس المحلة التي يسكنها (ابراهيم علي) صديقه الروح بالروح رحم الله الاثنين .

هكذا كنا نسهر معاً في ليالي الجُمع في ادارة جريدة الزمان مرتين أو مرة واحدة في كل شهر في الأقل وأتذكر جيداً ان المهداوي كان احياناً يتبرع في جلب المشروب من النادي العسكري القريب جداً من جريدة الزمان في الحيدرخانة . وأحياناً كنا نتحول الى النادي العسكري لاستكمال سهرة الجمعة .

بعد تفجر ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ م

بعد تفجر ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ بزغ نجم المهداوي وبسرعة ليأفل الى الابد بعد تعيينه رئيساً للمحكمة العسكرية الخاصة حيث حكم عليه بالاعدام بعد ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك سنة ١٩٦٣ .

ومن المواقف التي يهمني تسجيلها في مذكراتي هذه هو ان اربعة مذيعين من بينهم الست المهذبة فوزية ناجي محدثة الأطفال كانوا قد احيلوا الى محكمة المهداوي لاتهامهم بأنهم كانوا يذيعون نشرات مكتب الاستعلامات الامريكي . واولئكم الاربعة هم ناظم بطرس ومحمد علي كريم وفيصل حسون ومحدثة الاطفال فوزية ناجي .

يومها وفي الخمسينيات كان خليل ابراهيم مديراً عاماً للدعاية بالوكالة وكنت اشرف على الصحافة والاذاعة والمطبوعات وكان المذيعون المذكورون يذيعون نشرات مكتب الاستعلامات الامريكي بعد أن تراقب رقابة دقيقة من قبل المدير العام ومن قبلي معاً بحيث تقتصر على المواد الثقافية فقط ، وتطهّر من الدس والتضليل الاستعماري وكنا ندفع (ربع دينار) لكل مذيع عن كل اذاعة واحدة !!

وعندما سمعت بنبأ احالة هؤلاء المذيعين الى المحكمة الخاصة في الوقت الذي كان فيه خليل ابراهيم مدير الدعاية العام السابق هو الآخر موقوفاً اصابني أرق شديد في تلك الليلة وصممت على أن أكون شاهداً في هذه القضية مهما كان الخطر والقدر !!

وفي صباح اليوم التالي اتصلت تلفونياً بالمهداوي الصديق القديم ورجوته تعيين وقت لمقابلته اليوم أو غداً لاداء شهادة مهمة في قضية معينة !!

وقد حياني والحق أقول تحية طيبة وحارة من خلال الهاتف وقال .. (اذا كان الأمر كذلك ويقتضي السرعة فارجو أن تاتي غداً صباحاً وفي الساعة السابعة الى ديوان وزارة الدفاع ، لنتناول طعام الفطور ونتدارس الموضوع) .

وهكذا كان الأمر فقد التقيته في المكان والزمان المحددين وتناولنا الفطور سوية ، واستعدنا بعض الذكريات في جريدة (الزمان) والنادي العسكري ومن ثم حكيت له قصة ـ المذيعين ـ المذكورين المحالين الى ـ المحكمة ـ وقال (ان شاء

الله يكون الخير) ، ومن ثم قدمت له اضبارة فيها بعض المقالات والتعليقات التي حذفها الرقيب على الصحافة العقيد لطفي طاهر وقد منعني من نشرها في مجلة (الوادي) لصاحبها (خالد الدرة) ، وما أن تصفح العناوين حتى كتب عليها بالقلم الأحمر هذه العبارة (تنشر بأمر رئيس محكمة الشعب) وبعد هذا كلّم هاتفياً رقيب الصحافة لطفي طاهر العقيد البيطار وقال له بالحرف الواحد (صباح الخير يا لطفي ! معي الآن شاكر علي التكريتي واطلعني على بعض المقالات التي لم توافق أنت على نشرها في (الوادي) ولكنني وقّعت عليها بالموافقة وارجو يا لطفي أن تعلم بعد الآن ان مجلة (الوادي) هي مجلتي منذ العهد الملكي ، وان جماعة (الزبانية) التي تقوم بتحريرها هم جماعتي وارجو أن لا تحنف أي شيء بعد الآن) .

شكرت المهداوي على هذا اللقاء التاريخي وهذا الموقف الصحفي من المقالات ومجلة (الوادي) . وما هو إلا اسبوع أو عشرة ايام حتى تصدر محكمة المهداوي قرارها بتبرئة ساحة الاذاعيين الذين هتفوا بعدالة المحكمة !!

الفصل الثاني من تمثيلية المذيعين

ذلكم هو الفصل الأول من تمثيلية المذيعين وتبرئة ساحاتهم بحق من قبل تلك المحكمة المجنونة !!

أما الفصل الثاني فقد جرت مشادة بعد ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك وفي عهد الارتداد والردّة ، فلقد كتب ضدي (احدهم) أي أحد اولئك المذيعين الذين دافعت عنهم أمام المهداوي وذلك في جريدة (المنار) لصاحبها صديقي عبدالعزيز بركات .. و (أحدهم) الذي كتب ضدي كان (مدير تحرير المنار) بأمر من وزير التوجيه والارشاد عبدالكريم فرحان يومذاك ..

لقد حاول (احدهم) الكاتب ضدي أن يظهر بمظهر البطل فقال عني بأني في العهد الملكي كنت رقيباً على الصحافة وسيفاً مصلتاً وقاطعاً لرؤوس المحررين والكتاب . ولكني لم أرد على افترائه وتشويهه للحقائق ولتاريخ الصحافة مع اني كنت يومها مديراً لتحرير جريدة العرب ، واتمتع بالحرية المطلقة فيما أكتب وأنشر فيها .

ولكني لم أرد على (أحدهم) الذي كتب ضدي مرتين أو ثلاثاً ولكنه تمادى في

غيّه طويلاً وجعل يستعدي بعض محرري جريدة المنار ضدي ، وبتوجيه وايعاز من وزير التوجيه والارشاد !!

وبعد أن نفد صبري رددت عليه بمقال واحد ، واحد فقط نشرته على الصفحة الاولى من جريدة (العرب) بعنوان (الطفل المدلل والصحفي المهلهل) بدأت المقال بهذه العبارة (أمام محكمة المهداوي وقف الرجال واشباه الرجال .. أما الرجال فقد كان طريقهم الى اعواد المشانق وأما اشباه الرجال فقد هتفوا بعدالة محكمة المهداوي) واحتراماً لما تبقى من حق الزمالة القديمة مع (احدهم) هذا ولكيلا انكأ جرحاً بليغاً قديماً فاني اعتذر لقراء مذكراتي عن عدم نشر هذا المقال التاريخي في صلب المذكرات والذكريات ولكل امرىء ما نوى !!

محطة استراحة .. فنجان قهوة
باقات ازهار وورود على موائد الاذاعة ومذكراتي

عندما كنت مراقباً ومشرفاً على الاذاعة ـ في غفلة من زمن الفن والموسيقى والغناء ـ كنت اكرر هذه العبارات أمام رفاقي وزملائي (ان مثل من يعمل في الاذاعة العراقية كمثل من يعمل في النار فيحترق أو لا يحترق) وقد عملت في الاذاعة والرقابة والدعاية والمطبوعات والصحافة في مرحلتين استغرقتا أكثر من عشر سنوات ولم أخش من الاحتراق بنارها ولأني كنت اردد الآية الكريمة ﴿ يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ... ﴾ اسجل هنا آرائي الحرة المستمدة من خلال تجربتي في أكثر الزملاء الذين عايشتهم وأحببتهم .. ومنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ولم ابدل آرائي في جميعهم لاني كنت ـ أخا الجميع ـ وليس مراقباً أو مشرفاً عليهم .

عبدالله العزاوي :

شخصية حبيبة ورهيبة لا تحاكيها أية شخصية فنية وتمثيلية ومخرجة اخرى .. لا يفرق أو لا يريد أن يفرق بين مسرح التمثيل وواقع مسرح الحياة ، يخشى الموت حتى على المسرح .. انه الضاحك الباكي ، والثمل الصاحي .. انه يعيش بقلبين واحد طبيعي يخشى الموت ، وآخر صناعي يزيد شجاعته .. ويتكلم بلسانين .. لسان المسرح الطويل ولسان الواقع القصير .

محمود المعروف :

الشاعر الاذاعي الهازل والجاد .. والاديب المغبون لا الغابن .. ثلثاه لباقة وظرافة وخفة روح ، والثلث الآخر لا أعرفه - والله - لانه هو لا يعرفه الى آخر لحظة من حياته وعندما رثيته بعد الرحيل في - القادسية - الغراء تطرقت الى مثل هذا .

ناظم بطرس :

انه رئيس المذيعين الأول اعواماً طوالًا وقد تخرج في مدرسته العديد من المذيعين .. انه مذيع ناجح لغة واسلوباً .. انه القس الذي لا يؤمن بصكوك الغفران .. وهكذا فقد كان نظيف اليد ، طاهر القلب .

محمد علي كريم :

انه رئيس المذيعين الأول - بعد ناظم بطرس - وله كذلك (مدرسته) الخاصة .. انه مسلم مؤمن والمؤمن مبتلى - وقد نجاه الله مرتين مرة في العهد الملكي واخرى في عهد عبدالكريم قاسم . وقد أشرت الى بعض التفاصيل في مكان آخر .

سعاد الهرمزي :

قالوا (هذه غرفته) التي خصصت له في الاذاعة واقول لا انها (صومعته) التي يتعبد فيها ، ومحرابه المقدس . انه الفنان المتأمل بل (الفنانان المتأملان الجدليان) انه الصامت البليغ بل (الصامتان البليغان الجدليان) ولئن اعجبك هذا - الثنائي - الاذاعي الهرمزي فان ثالوثه - لأعجب واندر ، بل هو العملة النادرة الساحرة لأنه (الثالوث) المقدس في الفن والحب والجد والسحر الحلال ...

لا استطيع أن اصور - الهرمزي - بصورته الحقيقية الفنية - وهو - المخلص الأول - للفن وأهل الفن ومخلد اصواتهم ومهاراتهم وقد دفع الكثير الكثير في هذا السبيل من صحته وسلامته ومن بصره وسمعه وحتى اللحظة ولوجه الله والفن ولم يقبض كغيره من الذين شوهوا رسالة الفن والفنان وهي في مرتقاها وعلاها .. ويا للاصالة والعبادة في صومعة - الفن والحب والجمال .

فيصل حسون :

عصامي مثقف ومهذب سريع القراءة والكتابة شهادته العالية - كشهادتي وهي (اشهد أن لا إله إلا الله وأشهد ان محمداً رسول الله) انه (كوكتيل) مؤلف من رزوق غنام وجريدة العراق - ومن قاسم حمودي وجريدة الحرية - ومن عبدالعزيز بركات وجريدة المنار - وممن عملوا مع خليل ابراهيم مدير دعاية نوري السعيد - وأحمد زكي الخياط مدير دعاية حمدي الباجه‌جي ومصطفى العمري و (عبدالكريم

فرحان وزير الثقافة والارشاد و ـ فلسفته ـ الناصرية) على طريقة العراق لا طريقة القاهرة . ولا يختلف ـ كوكتيله ـ عن كوكتيلي ، إلا في شيء واحد هو اني شربت القدح حتى الثمالة وأنا موظف دولة أو (ارملة حكومة) وشرب فيصل الاقداح المختلفة وهو القلم الحر لا القلم الموظف .

فالح القصاب :

اصبح حقوقياً ودستورياً من خلال (الاذاعة) الفوضى .. لأنه كان عندي موظفاً ـ اذاعياً ـ عندما كان طالباً في كلية الحقوق وتخرج بعدها قاضياً ومحامياً .. انه من آل القصاب ـ السلالة الأصيلة المرموقة قلباً وقالباً ، وفكراً وجذراً . لكنه اخذ الدرس والعبرة من عمداء القصاب الكبار ، عبدالعزيز القصاب رئيس مجلس النواب وعبدالله القصاب وزير الداخلية وأمين بغداد ، وعبدالمجيد القصاب وزير الصحة تارة ووزير التربية تارة اخرى . اخذ العبرة والدرس من هؤلاء ففضل القضاء العادل على كل المناصب المرموقة .

تقرير عن وزارة المعارف في اثناء انحسار المد الاحمر

كما ذكرت سابقاً كنت مجمداً تماماً في حقبة (المد الأحمر) بديوان وزارة المعارف ، وكان مديري العام هو الدكتور (صلاح خالص) المدير العام للشؤون الثقافية وقبيل الاحتفال بالذكرى الثالثة على ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ استدعاني الدكتور صلاح خالص وقال هذا تقرير ناقص وضعيف وغير كاف اعده جماعتي ـ أي الشيوعيون ـ عن انجازات الوزارة وسياستها العامة . فأرجو اعداد تقرير جديد بديل عنه من قبلك وخلال ثلاثة أيام لان الموضوع مستعجل ولا بد من نشره في مجلة (المعلم الجديد) فلم اتأخر عن اعداد التقرير في المدة اللازمة حيث نشر في المجلة المذكورة في حينه وتقاضيت عنه مكافأة قدرها (٢٥) ديناراً ولم يدر (صلاح خالص) ان هذا التقرير الذي فيه اشارة صريحة الى التيار القومي في سياسة المعارف سيكون شفيعاً له في يوم من الايام وبمثابة الشهادة له وليس ضده ! وذلك بعد ثورة (٨ شباط سنة ١٩٦٣) الرابع عشر من رمضان المبارك .

التحقيق مع صلاح خالص وشهادتي التاريخية لصالحه

عندما جيء باسماعيل العارف وزيراً للمعارف للقضاء على التطرف الشيوعي الأحمر في الوزارة ، ونقل بعض الموظفين الكبار من الديوان كلفني بأن اتصل مع صلاح خالص المدير العام للشؤون الثقافية واتلمس رغبته في الموقع الجديد الذي يرغب في النقل اليه إذ تقرر نقله من ديوان الوزارة وقد اتصلت به فوجدت ان رغبته في ان يرشح للتدريس في جامعة موسكو لتدريس اللغة العربية هنالك وقد تمت الاجراءات الاصولية مع سفارة الاتحاد السوفياتي في بغداد واختير صلاح خالص دون غيره ووفقاً لرغبته لهذا المنصب ومن ثم حزم حقائبه والتحق بالموقع الجديد في الاتحاد السوفياتي وبعد أن تفجرت ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك بقي صلاح في موسكو ولم يعد الى بغداد خشية من العواقب التي كان يتصورها .

وفي سنة ١٩٦٧ كنت رئيس تحرير جريدة (الشعب) المعارضة كما سيأتي الحديث المفصّل عنها وسافرت مع زملائي رؤساء التحرير الى موسكو تلبية للدعوة التي وجهت لنا من قبل حكومة (الاتحاد السوفياتي) الذي أصبح اليوم في ذمة التاريخ وضحية (العم سام) الامريكي !!

وقد خطر لي وأنا في موسكو أن اتساءل عن (مديري العام) السابق صلاح خالص أين هو؟ وماذا حل به ؟ وسألت عنه (الصديق الكبير) محسن حسين الحبيب سفير العراق في الاتحاد السوفياتي وقد عرفت عنوانه الكامل بعد جهد جهيد وذات يوم ذهبت ومعي صالح اليوسفي رئيس تحرير جريدة (التآخي) لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني يومذاك الى حيث الشقة التي كان يسكنها صلاح خالص في احدى ضواحي (موسكو) فلم أجده بل قابلت زوجته السيدة (المصرية) الفاضلة وعرفتها على نفسي وصاحبي فقالت ان صلاح خارج موسكو وسيعود بعد ايام . وقد تركت له رسالة شخصية بتوقيعي ، وطمانته من كل ناحية اذا ما اراد العودة الى العراق لاني فاتحت رئيس الوزراء (طاهر يحيى) بشانه قبل سفري الى موسكو ورجوت (صلاحاً) في تلك الرسالة أن يتصل بي في الفندق الذي يحل فيه الوفد الصحفي العراقي ولكنه لم يتصل بي بالرغم من بقائنا هنالك حوالي الشهر الواحد وبعد عدة أشهر وكما يبدو اشتد حنين صلاح خالص الى (الوطن

الأم) فشد رحاله وحزم حقائبه وامتطى صهوات الجو الى حيث بغداد الحب والخير والسلام فماذا حدث له عند وصوله بغداد ؟

يجيب عن هذا السؤال صديق العمر والقاضي العادل الاستاذ عبدالقادر الجنابي أمين السر العام في المجلس الوطني في هذا اليوم وحاكم تحقيق الأمن العامة في الستينيات .

عبدالقادر الجنابي يتحدث عن صلاح خالص في مديرية الأمن العامة

... وعلى طريقته الانسانية المهذبة سأل الجنابي صلاح عن الصحة والعافية وعن رحلته الى موسكو والعودة منها .. وقبل هذا سأله عما يشتهيه من طعام وشراب بحيث أشعره بأنه محب وأمين وليس محققاً أمنياً فحسب .

وهكذا وبعد أن هدأ روع صلاح واستقر به المقام فتح المحقق اضبارة المتهم صلاح وقال له .. هذه اضبارتك يا دكتور ! وتحتوي على جميع المعلومات والشهادات التي تتعلق بقضيتك وسأقرأ لك نماذج من بعضها أو كلها ومن ثم تجرى المناقشة والاسئلة والاجوبة .. فقال صلاح : يا استاذ الجنابي ! أتقبل كل الشهادات مهما كانت ما عدا شهادة (شاكر علي التكريتي) قال الجنابي : طيب اسمع يا صلاح ساقرأ عليك واحدة من تلك الشهادات .

ويسترسل الجنابي في قراءة تلك الشهادة الواحدة وكل مفرداتها كانت في صالح صلاح خالص دون أن يعرف من هو صاحب تلك الشهادة ؟

وأخيراً وما كاد المتهم يدرك انها شهادة التكريتي من خلال المواقف التي تتعلق بوزارة المعارف وبعلاقته مع التكريتي وكونه كان مديره العام في عهد عبدالكريم قاسم والمد الاحمر حتى راح جبينه يتفصد عرقاً وخجلًا !! وهنا سأل المحقق صلاحاً : أتعرف شهادة من هذه ؟ أجاب صلاح : نعم عرفت . وقرأ عليه شهادة ثانية ادلى بها صديق حميم لصلاح وكلها طعن وشتم وادانة لصلاح وسأله أتعرف شهادة من هذه ؟ أجاب : نعم عرفت .. وهنا وفي آخر التحقيق قال المحقق للمتهم : أرجو أن تعلم بأن شهادة التكريتي التي رفضتها قبل أن تسمعها كانت السبب الأول في عدم ادانتك وتبرئتك .. وهكذا هي الحياة تجارب ومواقف فليستفد منها صلاح وغيره .

صلاح خالص يعود الى الحياة العملية

أما بعد .. فقد عاد صلاح خالص من جديد الى الحياة الفكرية والثقافية الحرة واستأنف مجلته القديمة (الثقافة الجديدة) وقد زرته فعلًا وهنأته على السلامة والسعادة ولم افاتحه بمجريات التحقيق التي حكاها لي الاستاذ (عبدالقادر الجنابي) لكي اتفادى خجله .. ورأيته ثانية في مكتبة (دار العروبة) لصاحبها الصديق الفاضل سبيرو سابا ـ لبناني الاصل ـ في شارع السعدون مقابل الجندي المجهول ، وقد هنأته ثانية على جهود الثقافية والادبية ولم اذكره مطلقاً بأي شيء يتعلق بالتحقيق معه في (الأمن العامة) أو بالماضي القريب والبعيد .. وقد بقيت علاقتي معه علاقة احترام متبادل الى أن توفاه الله رحمه الله وغفر ذنوبنا وهدانا الى الطريق المستقيم .

لا تصريح بعد اليوم
اللقاء الأخير في اليوم الأخير من عهد قاسم مع اسماعيل العارف وزير المعارف

كان اسماعيل العارف يصوم رمضان فيبقى في الوزارة من الصباح الباكر الى قبيل الفطور بنصف ساعة وأظل معه مدة بقائه وكان يومها العديد من الطلاب من الاقارب والاصدقاء موقوفين في دوائر الأمن العامة . وكان من بينهم ولدي الأكبر جلال وابن أخي حسام عبدالعزيز علي .

كان ذلك اليوم هو اليوم الأخير من عهد عبدالكريم قاسم وهو اليوم الثالث عشر من رمضان المبارك .

في عصر ذلك اليوم دخلت على اسماعيل العارف في غرفته بديوان الوزارة بوساطة السكرتير والصديق ميخائيل عواد .

قلت للوزير لقد اتصل بي هاتفياً مدير وكالة الانباء العراقية لتزويده بآخر الانباء عن اضراب الطلبة مع تصريح من عندك بالذات حول الموقف الطلابي الراهن فقال ـ العارف ـ : اذا اتصل بك ثانية فقل له عن لساني (لا تصريح بعد اليوم ..)

فقلت للوزير : ما وجدتك متشائماً قبل اليوم ، فهل من جديد ؟ فقال بالمثل العامي ـ شقينا الدف وكعدنا ـ وختم قوله بهذه الكلمات (أدعو الى الله في رمضان المبارك أن ينزل قنبلة على رأس هذه الجمهورية) ويأبى الله القدير إلا أن يستجيب دعوته ويحقق نبوأته ورؤيته ، فكانت ثورة الرابع عشر من رمضان المبارك .

الدكتور احمد عبدالستار الجواري وزيراً للمعارف .. والدكتور محمد المشاط وكيلًا للوزارة

عين الدكتور احمد عبدالستار الجواري وزيراً للمعارف وهو من الشخصيات التربوية واللغوية المعروفة ومن المناضلين ضد العهد القاسمي حيث انتخبته اسرة التربية والتعليم بالأكثرية نقيباً للمعلمين بالرغم من خصومه الاشداء الذين نافسوه على النقابة وليس في هذا أية غرابة أو عجب وانما الغرابة والعجب في أن يعين (الدكتور محمد المشاط) مدير البعثات وكيلًا لوزارة المعارف وهو المدير الذي عيّنه اسماعيل العارف ، وحماه ودافع عنه الي آخر لحظة كما تطرقت الى ذلك قبل الآن في فصل سابق .

مع الدكتور محمد المشاط وجهاً لوجه

هنأت الدكتور المشاط على موقعه المرموق الجديد وكيل وزارة مع سائر المهنئين ، وفي اليوم التالي طلب مني أن أكتب تقارير سلبية ضد وزراء المعارف الذين تعاقبوا على الوزارة في العهد القاسمي ، وهم (هديب الحاج حمود) و (الدكتور فيصل السامر) و (محيي الدين عبدالحميد) و (اسماعيل العارف) . فقلت للمشاط : أنت تعرف جيداً بأني كنت مجمداً في تلك المرحلة الصعبة الشاذة واني لم امارس خلالها أية مسؤولية إلا في عهد اسماعيل العارف الذي اعتمد عليَّ كثيراً واعتمدني في مهام كثيرة وقد تجاويت معه الى أقصى حد والى آخر ساعة .. ولا أعرف عن اسماعيل العارف إلا المواقف الجيدة وبالاخص

مواقفه من اضراب الطلبة والقضاء على المد الاحمر في داخل الوزارة وتعيينك مديراً للبعثات بالرغم من شغب الشيوعيين ضدك في الداخل والخارج فاذا كان المطلوب مني تسجيل هذه المواقف الايجابية لاسماعيل العارف فاني في غاية الاستعداد لتسجيلها دفاعاً عن الحق .. فقال المشاط : ولكن يجب أن تقدّر الامر حق التقدير ومتطلبات هذه المرحلة الثورية الجديدة وان تسجل السلبيات دون غيرها .

وهكذا بدأ الخلاف سراً وعلناً مع (صديقي) المشاط الذي لم يرع حرمة للعارف بل أنكر جميله ولطفه عليه ..

ولم أكتف بذلك ، بل تساءلت عن رئيس اللجنة التي ستحقق ضد العارف فاتصلت بالاخ (العميد علي ناصر الكسار) وسألته عن رئيس اللجنة فقال انه (اللواء حسين علي الزرقي) .

وقد اتصل به وأخذ لي موعداً معه في يوم تال لمقابلته وقد زرته فاستقبلني بحرارة ، وعندما عرضت عليه الغرض الذي جئت من أجله قال : ان رائدنا هو خدمة الثورة وتحقيق العدل والحق . وتستطيع أن تدلي بكل ما لديك من معلومات ومواقف تتعلق باسماعيل العارف بكل حرية .. وقد زودني حسب رجائي بكتاب رسمي الى وزارة المعارف جاء فيه (يرجى الاعتماد على شاكر علي التكريتي مدير الاعلام بوزارتكم وذلك بتزويده بكل المعلومات والوثائق التي تتعلق بالمتهم اسماعيل العارف وزير المعارف السابق ... الخ) .

عدت الى وزارة المعارف وقابلت وزيرها الدكتور احمد عبدالستار الجواري ، دون الرجوع الى الدكتور محمد المشاط وكيل الوزارة فأخذت غالب المعلومات الضرورية وعدت بها الى لجنة التحقيق وأدليت بشهادتي بعدة صفحات وكذلك أدلى ولدي جلال الطالب الثانوي الذي كان موقوفاً في عهد قاسم بشهادته لصالح اسماعيل العارف وعندما صدر القرار باطلاق سراح العارف هرع الى رئيس لجنة التحقيق لتقديم الشكر اليه ، فقال له : عليك أن تشكر (التكريتي) وولده جلال قبل أن تشكر اللجنة !

معنى ذلك ان خميرة الفضيلة والعدالة والاخلاقية والانصاف ما تزال بألف خير وخير في هذا العراق المناضل الذي واجه الظالمين والمستبدين بعقيدته وبطولته وخرج من كل المعارك وهو متوج بتاج الفخر والمجد والخلود ان شاء الله .

بعد هذا زارني اسماعيل العارف في داري بعد أن اعادت له الثورة اعتباره الأدبي والسياسي وعينته سفيراً في براغ وقدم شكره لي ولجلال ولكل الطيبين الذين وقفوا الى جانبه في محنته السياسية ، فقلت له : هذا واجب ولا شكر على الواجب ..

وفي اثناء الحديث مع العارف وهو في داري سألني ؛ أتدري يا شاكر من كان في مقدمة الذين زاروني في البيت وهنأوني بعد اطلاق سراحي ؟ قلت : لا أدري . فقال : انه الدكتور محمد المشاط .. أليس في هذه القصة القصيرة أبلغ درس وعبرة لأبناء الجيل الحاضر ، ولقوم يعتبرون !!

الفاصل التاريخي الكبير بين مرحلتين من حياتي
(١) مرحلة (الوظيفة) العبودية
(٢) مرحلة (الصحافة) الحرية

الدكتور محمد ناصر وزيراً للمعارف
استقالتي من الوظيفة أو احالتي على التقاعد

في وزارة طاهر يحيى الأولى سنة ١٩٦٤ كان وزير المعارف الدكتور محمد ناصر وهو زميل قديم منذ عهد التلمذة في دار المعلمين في أواخر العشرينات وقد قدمت اليه طلباً باحالتي على التقاعد بعد أن قضيت في خدمة الدولة (٣٤) سنة أو قبول استقالتي . علماً بأني في تلك المرحلة كنت ـ مدير تحرير ـ غير معلن ، في جريدة (العرب) لصاحبها الصديق ورفيق العمر الحاج نعمان العاني . وأنشر هنا نص الاحالة التي كان عنوانها (الصفحة الاخيرة في اضبارتي) ولقراء مذكراتي وحدهم تقييم تلك الاحالة بوصفها شاهداً لي أو ضدي أمام الجيل الحاضر وأمام التاريخ .

الدكتور محمد ناصر وزير التربية المحترم
الموضوع / احالتي على التقاعد

تحية مباركة
انني إذ أكتب الصفحة الاخيرة في اضبارتي الشخصية أرى من المناسب أن

أستعيد ذكرى الصفحة الاولى التي كتبت منذ (٣٣) سنة و (٦) أشهر بالضبط وهي الصفحة التي لم أكتبها يومذاك بذاتي وفكري وقلمي . وانما كتبتها الظروف الشاذة التي كان فيها نظام الانتداب البريطاني والحكم الثنائي المزدوج يطغيان ويستطيلان ويستبدان بكل شيء ويفسدان كل شيء .

لقد جاء في تلك الصفحة الاولى من اضبارتي الشخصية بأني (عراقي - مسلم - سني - شافعي) كما جاء في اضابير ثلاث لزملاء آخرين دخلوا معي دار المعلمين الابتدائية ان فلان (عراقي - مسلم - شيعي) وان فلان (عراقي - كردي - مسلم) وان فلان (عراقي - مسيحي - بروتستانتي) وهكذاا .. وكما كتب الاستعمار البريطاني يومها صحفنا الاولى - كتلاميذ - على اساس العنصريات والمذهبيات كذلك كتب على هذا القرار سطور حياتنا العامة في حقول السياسة والثقافة والاقتصاد ووضع لنفسه وبنفسه سياسة (التخطيط) و (التنهيج) والتنفيذ في ضوء هذه الخطوط والاهداف التي تستهدف بصورة مباشرة هذا الشعب المكافح المناضل في كرامته وسيادته وقوميته .

سيدي الوزير ..

انني إذ أكتب الصفحة الاخيرة من اضبارتي الشخصية ومن تاريخ حياتي الوظيفية أرجو أن تعلم بأني جاهدت وعملت طوال هذه الاعوام التي تزيد عن ثلث قرن مضى في حقول التعليم والادارة والمطبوعات والدعاية والاذاعة والصحافة والتي كنت أكرس طاقاتي وجهودي وأفكاري في كل تلك الحقول عدا حقل التعليم - لمشيئة رؤسائي من المدراء والوزراء وذلك بمشيئة الوزارات المتعاقبة على دست الحكم ولا خيار لي في هذا الموقف بوصفي موظفاً يمارس مسؤولياته في حدود مرسومة رغم علمي بأن هذا (الرسام) لا تحلم ريشته بأن تصور أية صورة وطنية كانت . ومن هنا نشبت في ذهني ونفسي ووجداني في الحرب العامة الاخيرة ثورة الصراع العنيف وتناهبني - وأنا الواحد - تياران عارمان ، تيار الوظيفة التي كان يقوم عليها جلّ رؤسائي « الامناء » على مصالح غيرهم ، بل على مصالح اعدائهم واسيادهم .. وتيار الحرية الذي كان ابداً يهزأ ويتحدى ويثور في وجه اولئك الرؤساء ولم أجد يومذاك متنفساً عن هذه الثورة النفسية غير ميدان الصحافة بوصفها الرئة التي يتنفس من خلالها المواطنون وابناء الشعب كافة والاداة السحرية التي تفعل الافاعيل وتصنع المعجزات في الزمان والمكان .

سيدي الوزير ..

لا أريد أن انتحل البطولات لنفسي لئلا يضحك عليَّ الاخوان والناس ولئلا يمط التاريخ شفتيه من هذا الانتحال . فكيف أكون (البطل) وقد سجنت في (قفص) الوظيفة كل هذه الاعوام الطوال وكيف أكون (البطل) ولم يكن تمردي على عبودية الوظيفة إلا بسبب (رد الفعل) الذي كنت اقاسي منه أبهظ مقاساة .. وحسبي أن أقول بأني تعلمت الحرية في أصدق مفاهيمها وأهدافها وفي أعماق جذورها وبذورها من اولئك (العبيد) الكبار الموسومين (بالموظفين الكبار) أو (الوزراء الكبار) أو الرؤساء الكبار .

سيدي الوزير ..

اسمح لي أن أقول بأني في اثناء خدماتي الطويلة كنت أُشبّه دوائر الدولة ودواوينها (بحدائق الحيوانات) التي فيها كل العجائب والغرائب وليسمح لي اخواني الموظفون ممن زاملتهم وممن لم ازاملهم على السواء عندما أتقصد في هذا التشبيه ذلك لأن الرمز بالحيوان للأشخاص أو العقائد أو المذاهب أو القوى الطبيعية معروف وقديم قدم الانسان والحيوان . فقد صور مثلًا إله التحنيط (نوبيس) في شكل ذئب على جسم انسان وصور إله البعث (اوزوريس) في شكل أسد يتحفز للنهوض من مكانه . كما صور الاغريق الكثير من المفاهيم والقيم والقوى الطبيعية في صور تماثيل لبعض سباع الطيور .. وهكذا أعود فاقول كنت أرى في (حدائق الحيوانات) هذه ، أي في دواوين الدولة - السباع والصقور والطيور - كما كنت أرى فيها الذئاب والهوام والحمام والثعالب والارانب والافاعي وحتى الاحياء البدائية والحشرات والزواحف .. وليس المؤسف أن تكون دوائر الدولة (حدائق حيوانات) بل المؤسف أن تعدم هذه الحدائق (المروض) و (الحاوي) والحارس الامين .

سيدي الوزير ..

لقد دخلت الوظيفة لاول مرة في ١ / ١٠ / ١٩٩٣٠ وأنا من اسرة غنية على مستوى القرية التي ترعرعت فيها ، إذ اعتمدت اسرتي الزراعة مهنة لها منذ مئات السنين . فضربت الارض بالمسحاة وشقت الجداول والفروع وسحبت المياه بالكرد والناعور والمضخة الحديثة واستطاعت بهذا الكفاح الشاق أن تحيل مساحات من الاراضي الى مروج خضر وبسط سندسية تهتز من الروعة والطلاقة والنضارة والى

محاصيل موسمية كانت غذاءً للناس . أقول دخلت الوظيفة وأنا من اسرة غنية وخرجت منها اليوم وبعد (٤٠٢) شهراً وأنا أفتخر بأن ثروتي ديون متراكمة وكومبيالات مستحقة الدفع بشهادة مدير البنك العربي وان داري (عقارية) قد اسددها أو يسددها ابنائي بعد (١٤) سنة .

وعندما أقول هذا فاني لا أشكو لاحد ولا لسلطان ولا أشكو لارض ولا لسماء دون الله ، لان الثروة الحقيقة ليست في هذا الحطام الفاني الزائل وانما في مضاء الشخصية ونقاء الهوية ولا فخر .. ولأن حالي هذا ليس حالي وحدي وانما هو حال الملايين التي باتت تنتظر ثورة الاشتراكية العربية لا لانقاذي وانقاذ الملايين حسب ، بل كذلك لانقاذ الاجيال العربية عبر الحاضر والمستقبل في مسيرتنا التاريخية الطويلة .

سيدي الوزير ..

لقد عشت اعوام الوظيفة الطوال الثقال وعشت الكثير من الأحداث والانقلابات والثورات وعشت التجارب الواعية وغير الواعية وبلوت المرارات والحماقات من الوظيفة دون الحلاوات واللذاذات ، ولقد تطور العالم خلال هذه الحقبة من التاريخ واستقطب الصراع بين الشرق والغرب وظهرت القوة الثالثة في الوجود وأصبحنا نعيش عصر الفضاء والذرة والاقمار الصناعية . لقد تبدل كل شيء منذ دخولي الوظيفة الى اليوم فهل من حقي أن ابدل الرداء . هل من حقي أن أنزع ثوب (العبودية) : الوظيفة ، وارتدي ثوب الحرية : الصحافة ، التي أرجو أن تقبلني في محرابها المقدس وأن لا أكون متطفلاً على موائدها وأرجو أن يكون قانون مطبوعاتها الجديد المنتظر لها وليس عليها لحريتها وليس على حساب حريتها .

سيدي الوزير ..

في ضوء ما تقدم اختتم الصفحة الاخيرة من اضبارتي الشخصية بتحطيم آخر قيد من قيود الوظيفة وأرجو مخلصاً أن تساعدني وتشاركني في عملية (التحطيم) هذه بقبول احالتي على التقاعد اعتباراً من (١) نيسان / ١٩٦٤ واطلاق سراحي من قفص الوظيفة أو الحديقة وأرجو أن تكون كذبة نيسان هذا العام بالنسبة لي هذه المرة منطلقاً الى الصدق والصراحة والحرية ان شاء الله .

وأراني بهذه المناسبة ملزما بأن اسجل عواطفي الاخوية الرقيقة تجاه جميع

الاخوان الذين تجاوبت معهم تجاوباً متبادلًا ومخلصاً واسال الله القدير أن ياخد بيد وزارة التربية وهي وزارة الجيل والوزارة الأم الى السؤدد والتقدم وأن يحفظ الجميع ويهيىء لهم من أمرهم رشدا .

ان الله سميع مجيب .

المخلص
شاكر علي التكريتي
سكرتير بوزارة التربية
ومدير الاستعلامات
١٩٦٤/٣/٣٠

الصفحة الاخيرة في اضبارتي
ماذا حدث بعد تقديم الاحالة على التقاعد

لقد رفض الوزير قبول الاحالة بالشكل أو الاسلوب الذي حررت فيه ، ورجاني ان أكتبها من جديد بالطريقة الاعتيادية الروتينية تمهيداً لقبولها ولكني اعتذرت من قبول هذا الرجاء واعربت عن عدم استعدادي لحنف أية كلمة بل حرف واحد منها .. باعتبار ان عنوانها الصفحة الاخيرة في اضبارتي الشخصية الوظيفية .. وأكثر من هذا فقد اعتكفت في داري ولم أداوم بديوان الوزارة متحملًا كل مسؤولية ادارية وادبية وانضباطية من جراء ذلك ..

ولم يبق أمام الصديق والزميل القديم الوزير ، إلا أن يشكوني لدى رئيس الوزراء طاهر يحيى وذات صباح دعيت هاتفياً الى وزارة المعارف حيث سيأتي رئيس الوزراء شخصياً لزيارة الوزارة والاطلاع على طلب الاحالة على التقاعد بذاته .. وهكذا كان فقد حضرت وطلب رئيس الوزراء أن تقرأ الاحالة عليه من قبل الوزير ، فقرأها وتجدد الرجاء بكتابتها باسلوب اعتيادي وبسيط ومع ذلك فقد اعتذرت من كتابتها بصيغة اخرى .

وهنا قال رئيس الوزراء للوزير : اكتنبه عليها ـ تقبل بأمر رئيس الوزراء شريطة أن

لا تنشر في الجرائد وهكذا قبلت بالشكل الذي حررت فيه فشكرت الاثنين واقيمت لي حفلة تكريمية من قبل الوزارة ونقابة المعلمين ووجهت لي كتب شكر من لدن رؤسائي في الوزارة .. ولا سيما من قبل وزير المعارف الدكتور محمد ناصر ومدير العلاقات الثقافية العام الدكتور عبدالرزاق الجليلي .

نشرت الاحالة على التقاعد ولم ألتزم بشرط عدم نشرها في الجرائد

من هنا ومنذ تلك اللحظة وعندما انفككت من ديوان الوزارة بتاريخ ٣٠ / ٤ / ١٩٦٤ كان الفاصل التاريخي بين مرحلتين من حياتي مرحلة (الوظيفة) العبودية ومرحلة (الصحافة) الحرية إذ صدر الأمر بتعييني (مدير تحرير) لجريدة (العرب) بموافقة وزارة الثقافة والارشاد .

وقد نشرت في يوم تال ، وعلى الصفحة الاولى الاحالة على التقاعد بحروف بارزة خلافاً للوعد الذي قطعته لرئيس الوزراء ووزير المعارف بعدم نشرها ، ومتحملًا مسؤولية نشرها مهما كان الثمن والعقوبة

اصعب واحرج مرحلة في حياتي الصحفية عندما انشق بعض البعثيين على بعضهم !!

أصفها بالاصعب والاحرج لانها المرحلة التي انشقّ فيها (بعض) البعثيين على بعضهم وعلى حزبهم الى نقطة ـ اللاعودة ـ وهو الحزب الذي جاء بهم الى الحكم .. وقد تعاطف قسم من هذا البعض مع البعث السوري وتعاطف القسم الآخر مع الاتحاد الاشتراكي الناصري الذي تجسد حزباً قائماً بذاته في العراق .

واصبح له صحافته التي تنطق باسمه وقد سميت هذه المرحلة بالردة أو الارتداد والانتكاس أو الانشقاق والانحراف .. ازاء هذه الصورة التي ارسمها بكل

وضوح وحياد لا بد من هذا التساؤل كيف يسلك كاتب مثلي دخل المعترك الصحفي السياسي حراً وعلى المكشوف بعد أن كان موظف دولة يكتب بتواقيع مستعارة في بعض الصحف ؟ علماً بأن هذا الكاتب لم ينتم من قبل ولا من بعد الى حزب البعث العربي الاشتراكي وانما هو يتعاطف مع الحزب منذ نضاله السري والسلبي وحتى اليوم ويؤمن ، أي الكاتب ، بالوحدة والحرية والاشتراكية وله فيه اصدقاء كبار وصغار من القاعدة الى القمة .. كما لم ينتم ، أي الكاتب ، الى الاتحاد العربي الاشتراكي ولكنه صديق العديد من المنضمّين الى هذا الحزب الناصري ، ولكن الذي يخفف من حراجة موقفي هذا هو ان الحزبين المذكورين يؤمن كلاهما بالأهداف نفسها مع فارق واحد في تسلسل الشعارات فالتسلسل البعثي (وحدة ، حرية ، اشتراكية) والتسلسل الناصري (وحدة ، اشتراكية ، حرية) .. ومن ثم فلا يهمني التسلسل أو التنسيق ما دمت مؤمناً عميق الايمان بتلك المبادىء الثلاثة وما دامت هي اهداف الامة العربية توحدها وتحررها ، وتجسد الاشتراكية بين سكان الشعب العربي الواحد .. وليست العبرة بالاشخاص أو الشخوص من كلا الحزبين وباهوائهم وميولهم الذاتية إن وجدت وانما العبرة بالحفاظ والالتزام بالمبادىء والأهداف ..

اذن فان من حقي أن أحمل على اولئكم الدعاة الاشتراكيين الملتفين برداء الناصرية عندما يخرجون عن الجادة في ضوء رؤيتي وتجربتي ومعلوماتي الصحفية ، كما انه من واجبي على سبيل المثال أن أكتب مقالًا افتتاحياً عنيفاً في مجلة (الصاعقة) بعنوان (دعاة الاتحاد) العربي الاشتراكي كيف يكونون اعداءه ؟ وان اجسد المقال برسم كاريكاتيري فاعل ومؤثر بحيث يصبح حديث القراء والناس يومذاك .

مع علي صالح السعدي
وزير الارشاد والتوجيه

كنت وما أزال اؤمن ايماناً مطلقاً بالقول المأثور (اختلاف الرأي لا يفسد في الود طوية) وكنت أعرف المناضل البعثي القديم علي صالح السعدي عن بعد وعن كثب وقبل ردة تشرين وأنا ما أزال في قفص الوظيفة مديراً للاعلام بوزارة المعارف ولكني وفي الوقت نفسه كنت أشرف على تحرير جريدة (العرب) في كل مساء

وأكتب فيها معظم المقالات الافتتاحية وبعض التعليقات والحقول الثابتة يومياً ، واتحمل المسؤولية الكاملة الادبية والسياسية مع صاحب الجريدة الحاج نعمان العاني .. ولكن علي صالح السعدي وعلى حين غرة وبصورة غير منتظرة منه ، ضاق ذرعاً بجريدة (العرب) وأصدر الامر الوزاري بالغاء امتياز الجريدة بموجب الفقرة (٤) من المادة الـ(٣٩) من قانون المطبوعات .

ماذا كان يحوي كتاب الالغاء

كتاب الالغاء يقع في صفحتين من حجم الفولسكاب وقد جاء فيه الآتي :

١ - ان جريدة (العرب) تجنح في كتاباتها الى اساءة المفاهيم الثورية والى بعض الافكار التي هي ليست في خطة الثورة واتجاهها السليم . وأقل ما يقال فيها انها تجافي فهم مسؤولية الصحافة الوطنية برسالتها في مرحلتها الثورية .

٢ - ان مقالكم بعنوان (ناقوس الخطر يدق على باب العروبة) المنشور في ٢٢ ايلول سنة ١٩٦٣ وكذلك مقالكم المنشور في ٢٨ ايلول سنة ١٩٦٣ بعنوان (ذكرى النكسة وذكرى العبرة) الذي الصقتم به عار النكسة بمن جعلها تجربة واعية في طريق الوحدة العربية الصحيحة وجعلتم من وقف ضدها وضد ميثاق نيسان العظيم موحداً للقيادات (هذا مجرد تأويل وتصور) وكذلك مواقف اخرى في معالجة المواضيع التي تتعلق بالنهج الثوري ودعم الحركات التحررية في العالم كلها فيها الكثير من الجنوح .

٣ - وآخر ما وقعتم فيه هو مقالكم المنشور في ٣٠ / ١٠ / ١٩٦٣ بعنوان (سيادة القانون) فقد نشرتم المقال المذكور في الوقت الذي صدرت فيه الجريدة بعنوان كبير وبالحبر الاحمر عن محاكمة اقطاب المؤامرة الرجعية وفي هذا ترابط يلفت النظر . كما هاجمتم الحزبية الضيقة من خلال سرد آراء في القانون وسيادة الدولة وطالبتم برفع مستوى الحكم الى مستوى الدولة الدستوري وهذا يكشف الخطر على الثورة والدولة وأمن البلاد ولهذا فقد تقرر الغاء الامتياز. معنى هذا الكلام الذي يقوله علي صالح السعدي ان (الخطر) كل الخطر يكمن في حديث الصحافة عن سيادة القانون والدولة

وعن الحزبية الضيقة في الوقت الذي ما تزال (الجبهة الوطنية التقدمية) قائمة وعن (ناقوس الخطر) الذي يدق على باب العروبة وعن (العنوان البارز) وبالقلم الاحمر عن محاكمة أقطاب المؤامرة الرجعية مع العلم بأن علي صالح السعدي رحمه الله يعرف جيداً ويدرك تماماً ان (عبدالكريم قاسم) وطغمته ما هووا الى المرقد الاخير إلا بسبب (الحزبية الضيقة) .
ان تلكم المقالات الثلاث بعناوينها الثلاثة (ناقوس الخطر يدق على ابواب العروبة) و (ذكرى النكسة والعبرة) و (سيادة القانون والدولة) هي من عشرات المقالات التي أفخر بها حتى الآن وبخاصة عندما كانت السبب في الغاء امتياز جريدة (العرب) وقد كتبتها ونشرتها وأنا ما أزال موظفاً في الدولة بديوان وزارة المعارف .. مع كل هذا وذاك ، فقد رأيت من المناسب جداً أن أنشر تلك المقالات في صلب مذكراتي هذه لكي يكون القراء وجيل البعث العربي الاشتراكي هم (الحكم) الفيصل بيني وبين وزير التوجيه والارشاد ولكي ندرك أهمية سيادة القانون في كل دولة شرقية وغربية على السواء ، وبالتالي لكي نواجه بأسماعنا وأبصارنا وبثاقب افكارنا (ناقوس الخطر) الذي يدق أبواب العروبة اليوم وقبل اليوم دقاته المرهبة والمرعبة من أجل أن نرسم خططنا ونتحمل مسؤولياتنا الوطنية والقومية كاملة غير منقوصة في هذا المعترك الرهيب ، ونحن نستقبل القرن الواحد والعشرين !!

(مؤتمر صحفي يعقده عبدالكريم فرحان)
(حملة صحفية يشنها ـ دعاة التأميم ـ ضدنا)

يومها وفي وزارة ـ طاهر يحيى ـ دعا عبدالكريم فرحان الى مؤتمر صحفي لم أحضره ـ كمدير تحرير لجريدة العرب . كما لم يحضره رئيس التحرير وانما حضره مندوب عن الجريدة وقد تطرق ـ وزير الارشاد ـ في ذلك المؤتمر الى القطاع العام والقطاع الخاص ، في ميدان الصحافة والى احتمال تشريع قانون جديد لتأميم الصحافة .. وهدد بالذات وبالاسم وبصراحة تلك الجريدة إياها وربما لأن أعنف الافتتاحيات التي نشرتها كانت اغضبته لأن ـ الافتتاحية ـ لم تكن نسخة طبق الاصل من افكاره وتوجيهاته شأنه في ذلك شأن كل وزراء الارشاد والاعلام الآخرين .

وذات يوم استدعاني رئيس الوزراء وقال لي بأنه يرغب في أن اتفاهم مع وزير الارشاد عبدالكريم فرحان وأن أذهب اليه زائراً في الوزارة وأن أعرض عليه وجهة نظري المعارضة لوجهة نظره وخاصة حول موضوع الساعة ـ وهو الحوار حول تاميم الصحافة وذلك بديلًا عن الكتابة أو المهاترة على صفحات الجرائد . قلت لا مانع لدي من ذلك وفعلًا فقد اتصل به رئيس الوزراء هاتفياً وبدلًا من أن يكون الحوار رئيساً كان ـ هامشياً ـ بالرغم من جسامة الموضوع من النواحي الفكرية والسياسية . وقد قدمت له خلاصة رأيي في عملية التاميم وهي ان كل شيء قد يخضع للتأميم في النظامين الاشتراكي والرأسمالي اللّهم إلا الفكر فلا يصح ـ تاميمه ـ لان رأيين خير من رأي واحد وثلاثة آراء خير من رأيين ولان في هذا المعنى الجوهري والعميق تجسيداً للقول المأثور (وامرهم شورى بينهم) ولأن تعدد المذاهب والآراء فيه الرحمة والبركة والنجاة . ولقد خرجت من لدن وزير الارشاد ـ مسروراً لا مغاضباً ـ وغادرته وودعته وهو مغاضب وغير مسرور .. مع ذلك فقد كنت مستغرباً من وزير للارشاد ـ لا يريد أن يعترف بالمعادلة الجدلية والفكرية الضرورية جداً في الخروج الى رأي حر وناضج .

ماذا عمل عبدالكريم فرحان أكثر من هذا ؟

فرض ـ عبدالكريم فرحان ـ نقيباً على الصحافة والصحفيين جديداً وعينه مديراً لتحرير جريدة المنار لصاحبها الأخ والصديق (عبدالعزيز بركات) والنقيب الجديد هو (فيصل حسون) من اصدقائي وزملائي القدامى ممن اعتز بهم ومن المحسوبين على القوميين ، ومن محرري جريدة الحرية لصاحبها قاسم حمودي (ابو جعفر قاسم حمودي) .. وأكثر من هذا فقد كان فيصل حسون موظفاً عندي في الاذاعة عندما كنت مشرفاً ومراقباً على الاذاعة والصحافة والمطبوعات في العهد الملكي ـ أي في الاربعينات ـ وفي عهد أحمد زكي الخياط مدير الدعاية العام حينذاك .. وقد كان محرراً أو مندوباً محلياً في جريدة العراق لصاحبها رزوق غنام المعروف بحملاته العنيفة ضد المعارضة الوطنية والتي كان ـ المحرر الأول ـ فيها منشي زعرور ، اليهودي المحترف الواعي والذي كان يلقب نفسه بـ (السميذع العربي) كما اشرنا الى ذلك في مكان آخر من (المذكرات) . لقد عيّنا ـ فيصل حسون ـ في الاذاعة براتب قدره (٦) دنانير ولم اقصر مطلقاً في تشجيعه ورعايته أدبياً ومادياً وحتى

في تفضيله على غيره اذا كان لا بد من الاختيار والتفضيل وأكثر من هذا وذاك فقد احيل ـ فيصل حسون وناظم بطرس ومحمد علي كريم ـ الى محكمة المهداوي بعد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ بتهمة ضعيفة ، هي انهم كانوا يذيعون في العهد الملكي بعض النشرات التي كان يرسلها للاذاعة في اثناء الحرب العالمية الثانية ـ مكتب الاستعلامات الامريكي ـ وقد دافعت عنهم ـ أمام المهداوي في محل سكناه بوزارة الدفاع لا أمام محكمته ـ وقد نشرت تفاصيل ذلك في فصل آخر ، ولكن فيصل حسون قد تناسى كل هذه المواقف والصور في عهد عبدالكريم فرحان .

ثانية ـ المرحلة الصعبة من حياتي الصحفية مع وزراء الارشاد وجهاً لوجه

تبدأ هذه المرحلة الصحفية الصعبة الجديدة قبل (ردة تشرين الثاني ١٩٦٣) فلقد تعاملت خلالها مع خمسة وزراء من وزراء الارشاد والتوجيه . وهم على الوجه الآتي :

(١) علي صالح السعدي :

الذي مر ذكره وموقفه من مقالاتي التي نشرتها في جريدة (العرب) والذي تعرفت عليه بعد هذا وجهاً لوجه وبعد افول نجمه في دار القاضي والمدعي العام ـ صفاء العارف ـ شقيق ـ اسماعيل العارف ـ وزير المعارف في عهد قاسم ، وعرفت في تلك الجلسة ان علي صالح السعدي ابن خالة العارفين اسماعيل وصفاء .. وقد جرى في تلك الجلسة أو السهرة الطويلة ، الممتعة ، احاديث عن بعض الصور والمواقف قبل تفجر ثورة (٨ شباط ١٩٦٣) وأكثرها تتعلق بنضاله السري مع بقية اخوانه ورفاقه البعثيين العقائديين .. أما أحاديث (القاضي العادل) صفاء العارف و (الوزير السابق) اسماعيل العارف وهما المؤمنان حقاً بالرأي والرأي الآخر و (بحرية الكلام) قبل (حرية الطعام) فكانت من الاحاديث الشجية والغريبة عن مجريات بعض الامور في العهد القاسمي ، وعن الاجتماع السري التاريخي الذي انعقد في دار (صفاء العارف) قبل تفجر ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ م .

لقد تالق (علي صالح السعدي) في تلك السهرة الممتعة وحرصاً مني على

استمرار تألقه وراحته النفسية فلم افاتحه أو احاوره في موضوع (الحزبية الضيقة) التي كانت من جملة ضحاياها جريدة (العرب) كما اشرت الى هذا سابقاً ـ كما لم احاوره في موضوع الحريات ـ وحرية الصحافة في طليعتها ، وكونها تؤخذ بالتحلي وفي أملنا بحزب البعث العربي الاشتراكي بأن يكون الضمانة الاكيدة لتحقيق الحريات السياسية والاقتصادية على السواء والقوة الرشيدة لاستمرار تلك الحريات بعد تسلمه تسلم السلطة بعد القضاء على ـ دكتاتورية قاسم . لم اناقشه أو احاوره في كل هذا وذاك لان الجلسة كانت أدبية وتاريخية وذكريات أكثر منها سياسية ونقدية فضلاً عن فكره العقائدي الذي قد يختلف مع فكر (اسماعيل العارف) احياناً وقد يلتقي معه أحياناً اخرى .

(٢) عبدالكريم فرحان

أما وزير الارشاد الثاني الذي عايشته وواكبته رسمياً لا شخصياً فهو عبدالكريم فرحان ـ العميد المتقاعد وواحد من الضباط الاحرار المعروفين والطموحين . واكبته في فترة ـ الردة والارتداد ـ وبعد أن انحسرت ظلال البعث العربي الاشتراكي عن المسرح السياسي الحاكم ليحل محله ـ دعاة ـ الاتحاد الاشتراكي العربي الموصول حبله بحبل (الوحدة والاشتراكية والحرية) والسائر بتيار الحركة الناصرية في عهد ـ جمال عبدالناصر .. ولكن عبدالكريم فرحان وزير الارشاد في حكومة طاهر يحيى لم يستفد من دروس وعبر الماضي القريب بل ازداد غلواً واسرافاً في مكافحة الكلمة الحرة الهادفة اذا لم تتفق مع رأيه وهدفه غير المعلن .. وفي التربص لجريدة (العرب) وأنا مدير تحريرها اذا ما تميزت في فكرها وهدفها في ضوء منهاجها الوطني والقومي المرسوم واذا ما اختلفت مع جريدة (المنار) التي عين ـ مدير تحريرها ـ من قبل عبدالكريم فرحان نفسه لكي تستوحي منه كتاباتها وتعليقاتها ، وتردد لغته على طريقة الببغاء .. وعبثاً يحاول الكاتب ، أي كاتب ، والصحفي الحر أياً كان أن يناقش عبدالكريم فرحان في كون الحرية من القيم والمثل العليا المقدسة فانها ضرورة من ضرورات الفرد والمجتمع . وان ثورات الحرية عبر التاريخ ثورات خالدة وان الدكتاتورية السافرة هي ـ عدوة الحرية والشعوب ـ وان الحاكمين بأمرهم لا يستطيعون ـ قتل الحرية ـ ولو كان بمستطاعهم لبعض [illegible] وان وزير الارشاد ـ قد يستطيع تعطيل الجريدة وغلقها والغاء امتيازها وسوق صاحبها الى المحاكم . ولكنه ـ أي وزير الارشاد أو غيره ـ لن يستطيع وأد الكلمة الحرة وقتل الحرية ، بحجة ان الحرية مرادفة للفوضى ـ حتى لكأن الكاتب الحر لا يفهم معاني الصحافة الحرة المسؤولة أمام الدولة والشعب والمجتمع بوجه عام) .

وجعل يحرض ضدي بعض محرري جريدة المنار باعتباره ـ مدير تحريرها ـ بعد ترفعت يومها عن الرد عليه في جريدة (العرب) كما يعرف ويؤيد ذلك جميع الاخوان وصاحب مطبعة (الجاحظ) ولم أرد على ما كتب عني وضدي في جريدة (المنار) إلا بعد أن طفح الكيل فنشرت مقالاً واحداً فقط بعنوان (النقيب المهازل والطفل المدلل) بدأته بهذه الكلمات (امام محكمة المهداوي وقف الرجال وأشباه الرجال . أما الرجال فقد كان طريقهم الى أعواد المشانق وأما أشباه الرجال فقد هتفوا بحياة محكمة المهداوي) .

(٣) الدكتور محمد ناصر :

أما وزير الارشاد الثالث فهو الدكتور محمد ناصر في وزارة (عبدالرحمن البزاز) وقد وصف أحد المسؤولين الكبار يومذاك ـ جريدة العرب ـ بأنها ذات جناحين ، جناح ـ نعمان العاني ـ رئيس التحرير ـ وجناح التكريتي ـ شاكر علي ـ مدير التحرير . أما الواقع فهو خلاف ذلك ، فكلا الجناحين لطائر واحد هو طائر (القومية العربية) الذي لم يحط بعد في مطار ـ الوحدة العربية لأن اعداء الوحدة من داخل الوطن العربي الكبير ، ومن خارجه من الاستعماريين والصهاينة ما يزالون كثيرين وان مفكري العصر العربي ما يزالون يتحاورون في قضايا اللغة والتراث والامجاد وعلاقتها بالقومية العربية والوحدة العربية ولأن الجدل ـ القديم ـ بين ساطع الحصري ومؤيديه وبين علي عبدالرزاق ومؤيديه في المقارنة بين روح القومية وروح الاسلام ، ما يزال جدلاً حياً قائماً حتى اللحظة بالرغم من عقود كثيرة قد مضت عليه ففي الثلاثينات كان اعداء الوحدة من شعوبيين وعملاء لا يريدون الاعتراف بأن الاسلام هو وعاء العروبة وروحها وسلاحها .. من أجل هذا وبسبب هذا ، فان جريدة العرب ـ تمثل جناحين لطائر العروبة الواحد وان رئيس تحريرها ومدير تحريرها ما انشقا فكرياً ووطنياً وقومياً حتى آخر لحظة .

جريدة العرب وكامل الجادرجي / الخلاف العنيف
بيني وبين وزير الارشاد في وزارة عبدالرحمن البزاز

لقد نشرت على الصفحة الاولى من جريدة (العرب) تحقيقاً صحفياً بعنوان (كامل الجادرجي يتحدث عن قضايا الساعة) وقد استدعاني صديقي القديم

لا الجديد الدكتور محمد ناصر وزير الارشاد الى الوزارة ، لا ليعاتبني حول نشر التحقيق ، بل أكثر من العتاب ، وليس غير العتاب إلا الجزاء والحساب العسير الذي تجسد بقوله (سأشكوك اليوم لدى وزير الدفاع) ولا أدري حتى الآن ـ وأنا أعيش سنة ١٩٩٤ م ـ ما علاقة وزير الدفاع بنشر تحقيق صحفي مع كامل الجادرجي .. تفاصيل هذا الموقف في فصل آخر .

(٤) الدكتور أحمد مطلوب وزير الارشاد

أما وزير الارشاد الرابع الذي لم أعايشه معايشة حقيقية على صعيد الارشاد والاعلام فهو (الدكتور أحمد مطلوب) اللغوي والفقيه اللغوي المعروف .. أقول لم أعايشه لأنه لم يستمر في الاعلام إلا مدة قصيرة ذلك لأن اختياره لهذا المنصب لا يخرج عن اطار وضع الرجل غير المناسب في الموقع غير المناسب ، ولأن العالم العالم باللغة والأدب والنحو والصرف هو غير (المحترف) الذي يدرك اكثر من غيره ـ الفانين ـ الدعاية والاعلام على حساب الحقيقة والتاريخ .. واية ذلك هو ان ـ أحمد مطلوب ـ كان عقد مؤتمراً صحفياً تطرق فيه الى امور ومشاكل صحفية كثيرة وضرورة حلها في ضوء فلسفته الجديدة التي لا تلتقي مطلقاً مع فلسفة الدعاية القديمة مهما طال المشوار . ولم أحضر بدوري ذلك المؤتمر الصحفي اليتيم الوحيد ، كما لا أتذكر السبب الذي منعني من الحضور . لقد تحدث الدكتور ـ مطلوب ـ عن اشياء كثيرة في مؤتمره المذكور ومن جملة اقواله أمام الصحفيين هو ان معظم الصحف المحلية تتقاضى من مصروفات الدولة السرية باستثناء جريدة (الشعب) ويقصد بها جريدتي بالذات ، وفي الوقت الذي أشكر فيه الدكتور مطلوب على شهادته التاريخية التي برأ فيها ذمتي وساحة صحيفتي لا بد من القول بأن الدكتور مطلوب لو لم يكن من الادباء والعلماء الاصلاء بل كان من الاعلاميين الناجحين لما قال ما قاله في ذلك المؤتمر الصحفي اليتيم .. فلا غرابة اذا ما كان اختياره وزيراً للاعلام والارشاد غير مناسب ، وهكذا عاد الى حضيرته الادبية والعلمية سالماً غانماً ومعافى لانه كان وما يزال يتمتع بالحصانة الفكرية وبكل الامكانات والطاقات الوقائية من سموم الدعاية وتشويه الحقائق النواطق ... هذه بعض المشادات والمواقف مع بعض وزراء الارشاد والاعلام وسنذكر في فصل جديد بعض المشادات والمواقف الاخرى مع الوزراء الآخرين .

كيف اصدرت جريدتي (الشعب لسنة ١٩٦٧ الجريدة الوحيدة التي صدرت من دون امتياز في العراق)

كان رئيس الوزراء آنذاك ـ ناجي طالب ـ الضابط الحر ، وذو التاريخ المعروف في تنظيمات الضباط الاحرار ، قبل ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ . وكان وزير داخليته الضابط الحر رجب عبدالمجيد .. وكان الصديق والزميل المحترم ، منذ عهد ـ التلمذة ـ أحمد حسن البكر في تلك المرحلة معتكفاً في داره وهي المرحلة التي سميت بمرحلة الارتداد أو الردة التشرينية ، كما أشرنا الى ذلك قبل الآن .

يومها ـ وكان يوم الجمعة ـ زرت ـ أبا هيثم ـ في داره لتفقد صحته وسلامته . وقد تحدثنا عن امور كثيرة منها الحديث عن جريدة العرب التي سدت مرتين مرة في عهد ـ علي صالح السعدي ـ واخرى في عهد ـ عبدالكريم فرحان ـ كما تحدثنا عن مجلتي (الوادي) و (الصاعقة) اللتين كانتا مجمدتين لا تصدران وكنت اساهم في تحريرهما . قلت (لأبي هيثم) اني اعيش اليوم أزمة كتابية لأن جرائد ـ القطاع العام حينذاك لا تنشر ما اريد . وقد بلغني أن ناجي طالب ـ رئيس الوزراء ـ صديق لك حميم فهل في وسعك ـ دون أحراج ـ معاونتي في منحي امتياز لجريدة جديدة .. باسم (الشعب) . قال ابو هيثم ـ رحمه الله ـ أنا حاضر لمساعدتك من هذه الناحية .. وغداً سيزورني في داري ناجي طالب ورجب عبدالمجيد وزير الداخلية وسأكلم الاثنين بهذا الصدد .. والموعد بيننا بعد غد ان شاء الله .

وهكذا كان فقد زرت ابا هيثم بعد يومين وأكد لي انه كلّم ناجي طالب برغبتي وانه يعرفني حق المعرفة وانه أبدى استعداده لمنحك الامتياز المطلوب ، ولكنه يقول فليتريث شاكر مدة قصيرة الى أن يستأنف ضخ النفط الى سوريا لأن الوفد العراقي برئاسة حسين غلام ـ وكيل وزارة النفط ـ سينجح في مفاوضاته وتكلل جهوده بالنجاح بعدها يقدم الاخ شاكر علي طلباً الى وزير الارشاد العميد ـ دريد الدملوجي ـ وسأوعز له بمنح امتياز جريدة (الشعب) وهنا قلت للأخ الكبير ابي هيثم : الف شكر . ولكن ما علاقة اعادة ضخ النفط بمنحي امتياز الجريدة . بل العكس هو الصحيح فليعطني الامتياز الآن لكي اساهم مع الاقلام الاخرى في انهاء القطيعة واعادة ضخ النفط عبر سوريا . قال رحمه الله هذا هو رأيه فاصطبر يا ابا جلال بضعة ايام ولأنك تعقب الاخبار بصورة منتظمة ففي اللحظة التي تبشرني فيها باعادة ضخ النفط فستكون البشرى هي منحك امتياز الجريدة .. فشكرته ثانية وودعته . وما هي

إلا أيام عشرة حتى ضخ النفط ، فبشّرت ابا هيثم تلفونياً ورجوته بان يتفضل بمخابرة (ناجي طالب) ويذكره برجائي واني ساذهب غداً لوزارة الارشاد لكي اسجل طلب الامتياز ، وهكذا كان .

مع (دريد الدملوجي) وزير الارشاد

في اليوم التالي زرت العميد ـ دريد الدملوجي ـ وحكيت له القصة من أولها الى آخرها وسلمته طلب الامتياز بمنحي امتياز (جريدة الشعب) ورجوته عدم حفظ الطلب مع عشرات الطلبات لأن رئيس الوزراء (ناجي طالب) سيتصل به تلفونياً ويوعز اليه بمنح الامتياز المطلوب . سرّ الصديق العميد الدملوجي مما قلت واستدعى نوراً ـ مدير الصحافة ـ وناوله الطلب يداً بيد وقال له : (هذا طلب عمك ابو جلال ، لا تحفظه كسائر الطلبات بل احتفظ به في درج مكتبك لأن رئيس الوزراء سيوعز لنا بمنح الامتياز) ، والذي حدث هو ان رئيس الوزراء لم يخابر الدملوجي الوزير ، أما لانشغاله بمسؤوليات كبيرة أو لأنه لا يريد فتح الباب أمام الآخرين من امثالي والذي حدث كذلك ان مدير الصحافة قد سافر في تلك الفترة الى القاهرة حيث تأخر هنالك أكثر من مدة الايفاد الرسمي وقد بقي طلب الامتياز مجمداً في درج مكتبه . علماً بان قانون المطبوعات الذي تمنح بموجبه الامتيازات الجديدة للصحف ينص على (ان طالب الامتياز يجب أن يبلغ خلال ـ شهر واحد ـ فقط ايجاباً بمنح الامتياز أو سلباً بعدم المنح) وإن لم يبلغ ضمن المدة القانونية وهي شهر واحد فيصبح الامتياز قائماً وهكذا حصلت على امتياز جريدتي (الشعب) من دون امتياز .

اليوم الاول من عمر (الشعب) مع رجال الامن العامة في منتصف الليل

كان يوماً حافلاً ومشهوداً هو اليوم الأول من عمر الجريدة فقد بلغت جميع المحررين والاداريين بالحضور في اداوة الجريدة ، وأقمت على شرف الجريدة حفلة

بالمناسبة وكنا على استعداد تام .. كما بلغت ـ وزير الارشاد ـ بمذكرة رسمية اخبرته فيها بأن الامتياز يعتبر قائماً ومشروعاً ورجوته تزويدنا بالاعلانات الرسمية اسوة بالجرائد الاخرى . وفي الساعة الثامنة مساءً وكنا نحن اسرة الجريدة مسرورين ومنهمكين في التحرير اتصلت تلفونياً بداري فاخبرت بأن برقية مستعجلة وردتني من وزير الارشاد ـ كان هذا نصها : (الى رئيس تحرير جريدة الشعب ـ شاكر علي التكريتي ـ نمنعكم من اصدار الجريدة حتى اشعار آخر) .. طبعاً لم أحفل بتلك البرقية اللاقانونية واستمررنا على العمل والتحرير بكل همة ونشاط .. وفي الساعة الثانية عشرة ـ منتصف الليل ـ جاءنا الى الادارة ثلاثة من شباب الأمن العامة ، كما اخبرونا بذلك وعرّفونا بأنفسهم وان الامر قد صدر اليهم بمصادرة الجريدة . وهكذا فقد سلمتهم جميع المسودات واقفلوا المطبعة بكل أسف وأدب ومن ثم انصرفنا الى دورنا آسفين .. هذا هو الفصل الأول من قصة اصدار الجريدة (الشعب) أما الفصل الثاني فهو الآتي :

الفصل الثاني من قصة اصدار الشعب
رفع مذكرة شكوى لرئيس الجمهورية

بعد اسبوع من مصادرة العدد الأول من جريدتي (الشعب) نشرت الصحف المحلية تصريحاً لرئيس الجمهورية (عبدالرحمن عارف) آنذاك حول سيادة القانون فاهتبلت الفرصة وقدمت مذكرة الى رئيس الجمهورية حول اختراق القانون من قبل وزير الارشاد والتوجيه عندما منعني من اصدار الجريدة المذكورة التي حصلت على امتيازها ـ باسم القانون ـ كما أوضحت الأمر في مكان سابق .

اخذت ـ المذكرة ـ باليد وهرعت الى الأخ الصديق مهدي الدولعي ـ ابي سعيد ـ ورئيس ديوان رئاسة الجمهورية ووزير العدل الاسبق . فقرأ المذكرة ملياً وقال : (والله الحق معك والقانون معك) قلت : وما هو دورك في مساعدتي ؟ قال : اذا سألني ـ الرئيس ـ فسيكون الجواب في صالحك والقانون . قلت : واذا لم يسألك فقد يسأل غيرك . اني لاطمع منك في المزيد .. وعندما بدا على وجهي ما يشبه الانفعال .. وأنا الذي لا أنفعل . قال ان شاء الله يكون خيراً ، والموعد غداً وفي الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي وأنا في داري تلقيت البشرى ـ هاتفياً ـ بالموافقة على اصدار

الجريدة في ضوء الهامش الذي كتبه رئيس الجمهورية وهو (تصدر الجريدة باسم القانون) .

هرعت ثانية وفوراً الى حيث (ابو سعيد) بديوان الرئاسة فأعطاني ـ المذكرة ـ المؤشر عليها بالموافقة فشكرته شكراً جزيلًا وقصدت (دريد الدملوجي) وزير الارشاد فاطلعته على مذكرتي وهامش رئيس الجمهورية بالموافقة ، فقال الصديق ـ الدملوجي ـ وباللهجة ـ المصلاوية ـ (.. واي .. واي) في المرة السابقة خدعتني عندما قلت لي بأن (ناجي طالب) رئيس الوزراء سيخابرك حول منحك الامتياز ، ولم يخابرني ، واليوم تأتيني بمذكرة جديدة عليها اشارة بالموافقة وتطلب منحك ـ الامتياز ـ . قلت : هل أفهم من كلامك هذا انك لا تنفذ ـ هامش ـ رئيس الجمهورية .. قال : لا أبداً . كيف لا انفذ . انفذ ولكن لا أمنحك ـ الامتياز ـ . قلت : وكيف اصدر دون ما امتياز . قال : (غوح صدرها بحريتك) استناداً الى ـ الهامش ـ ومن دون امتياز .. كيلا يحتج علينا زملاؤك الآخرون الذين ما تزال طلباتهم مكدسة ومحفوظة . وفعلًا فقد اصدرتها ـ وكانت معارضة ـ واستمرت على الصدور ودخلت مع السلطة والحكم مشادات عنيفة (هي موضع افتخاري واعتزازي) في المرحلة الطارئة الى أن سطا عليها سيف التأميم ـ في عهد (طاهر يحيى) رئيس الوزراء والدكتور مالك دوهان الحسن وزير الارشاد . والتفصيلات كالآتي :

مع الدكتور مالك دوهان الحسن ـ وزير الارشاد ومشرع قانون تاميم الصحافة

زارني في مكتب ـ الجريدة (صالح اليوسفي) رئيس تحرير جريدة ـ التآخي ـ لسان حال الحزب الوطني الكردستاني و (عبدالعزيز بركات) رئيس تحرير جريدة المنار ، وأنبآني بان هنالك ـ تحت الطبع ـ مسودة قانون جديد للصحافة تنص احدى مواده على الغاء جرائد القطاع الخاص والمستقلة والابقاء على جرائد القطاع العام وما علينا إلا أن نتدارك الامر ونحول ما استطعنا دون تشريع القانون الجديد وأن نتصل فوراً بوزير الارشاد .

وقد اتصلت بوزير الارشاد ـ هاتفياً ـ أمام الصديقين ـ اليوسفي ـ و ـ بركات ـ وصارحته بما سمعناه ، وقلت له بأننا ـ نحن الصحفيين ـ لا نتامل صدور مثل هذا

القانون في زمن الدكتور مالك دوهان الحسن استاذ القانون ومَنْ تدارس الحريات ـ في فرنسا ـ وطن فولتير وروسو . فاجابني الدكتور مالك بأن هنالك تشريعاً جديداً ولكنه لا ينص في احدى مواده على الغاء جرائد القطاع الخاص وضرب لنا موعداً في اليوم التالي .. وفعلًا قابلناه في الموعد المحدد وأكد لنا بعد الحوار الطويل في موضوع تأميم الصحافة ، ان جرائدنا المستقلة باقية وحصلنا منه على (كلمة شرف) بهذا الصدد ، وقد ودعناه شاكرين .

على هامش تأميم الصحافة
رفقاً بالاشتراكية العربية يا جريدة (الاتحاد الاشتراكي العربي)

بهذا العنوان نشرت مقالًا افتتاحياً رداً على ما نشرته ـ الجمهورية ـ لسان حال الاتحاد الاشتراكي العربي وغيرها من جرائد القطاع العام ، حول ضرورة تأميم الصحافة والغاء جرائد القطاع الخاص (يجد القراء نص المقال في آخر الفصل)

الجاسوسة الحسناء ، تسرق مسودة القانون المنتظر

استمرت ـ عملية التخدير ـ والاشاعات المتضاربة بضعة أيام وما هي إلا أن تستطيع ـ الجاسوسة الحسناء ـ في الجريدة سرقة (مسودة القانون) ذائع الصيت والشهرة ، وفيه مادة صريحة تنص على الغاء جرائد القطاع الخاص .. تسلمت ـ المسودة ـ عصراً وزاد يقيني بأن الأمر جد وان فيه لخدعة وعملية تخدير ، لكي نفاجأ بصدور القانون في عصر ذلك اليوم . كتبت مقالًا تاريخياً مهماً بعنوان (أين كلمة الشرف يا وزير الارشاد) حملته في جيبي الى ديوان وزارة الارشاد ليلًا لاستحصل الموافقة على نشره ، فلم أجد الوزير بالذات ، وانما وجدت ـ وكيل الوزارة ـ الاخ الكريم (نعمان ماهر الكنعاني) ـ الشاعر المعروف بدوره في تنظيمات الضباط الاحرار قبل ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ وصديق ـ طاهر يحيى ـ رئيس الوزراء واطلعته على المقال الذي كتبته ورجوته الموافقة على نشره فاعتذر وقال ليس من صلاحيتي الموافقة على (مقال عنيف) قلت له : اذن دلّني على الوزير أين

هو الآن . وفعلاً فقد اتصل بالوزير ـ هاتفياً ـ في محل الاجتماع الذي كان متواجداً فيه ، وكلمت الوزير حول المقال وضرورة الموافقة عليه وإلا نشرته على مسؤوليتي ودون ما رقابة . فما كان من الوزير إلا أن يؤكد لي ثالثة على ان ما سمعته (اشاعة) وان القانون سيصدر غداً وليس فيه مادة تلغي امتيازات جرائد القطاع الخاص وانه يرجو مقابلتي في الساعة التاسعة غداً مع صالح اليوسفي لهذا الغرض .

قصة المقال اللاهب ..
(أين كلمة الشرف .. يا وزير الارشاد .. !؟)

حيث ان الرقابة قد امتنعت من الموافقة على المقال المذكور فقد نشرت عنوانه على الصفحة الاولى (أين كلمة الشرف يا وزير الارشاد) وتركت ما تبقى بياضاً وفراغاً .. والجدير بالذكر اني استهللت ـ المقال ـ بهذه العبارات نصاً .. (كثيرون هم الذين تموت افكارهم وضمائرهم في توابيت الحكم والسلطة والوزارات) من هؤلاء الكثيرين وفي طليعتهم من يعملون في وزارة الارشاد ـ ولا ارشاد ـ أو في وزارة التوجيه ـ ولا توجيه) واسترسلت في ذلك المقال الساخن الى القول (بانه والله ، لمن المؤسف جداً أن يصدر مثل هذا القانون الذي يؤمم الفكر والصحافة على يد دكتوراه بالقانون واستاذ ضليع في تاريخ الصراع المستمر بين الحرية واعدائها وبين القانون والدائه ، وبين صاحبة الجلالة ـ الصحافة الحرة ، وهؤلاء الذين يخشونها ويريدون اسقاطها من عرشها) وفي آخر المقال خاطبت ـ صديقي الكبير ـ وزير الارشاد بهذه الكلمات (.. غداً ستطلقك الوزارة أو تطلقها ـ أنت ـ غير ماسوف عليها ، وتعود الى طلابك في كلية الحقوق والقانون غداً وأنت الذي درست شؤون الفكر والحريات الدستورية في ـ باريس ـ بلد الحريات بلد (فولتير) و (روسو) و (مونتسكيو) ستعود الى التدريس ، فما هو جوابك عن القانون الجديد الذي اصدرته بالغاء جرائد القطاع الخاص ، والابقاء على جرائد القطاع العام ، وبهذا اطلقت للحكومة حرية الكلام كما تشتهي وتريد ومنعت ـ الصحافة ـ المستقلة من حرية الكلام وهي لسان الشعب والناطقة بهمومه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، اذن فماذا سيكون جوابك عن كل هذا وعن تساؤلات اخرى كثيرة ...) الى آخر المقال الطويل سالف الذكر .

آخر لقاء مع وزير الارشاد ..
رحابة صدر ، وتحية حارة

وفي الساعة التاسعة من صباح الغد وحسب موعدي مع وزير الارشاد ، وأنا أنتظر دوري للمقابلة في غرفة سكرتيره جاء اليَّ من يحمل بيده - الأمر الوزاري - بالغاء امتياز جريدتي وجرائد القطاع الخاص الاخرى استناداً الى صدور قانون الصحافة - الجديد - ليلاً وتنفيذه - صباحاً - وهو ذات الصباح الذي صدر فيه العدد الاخير من جريدتي - الشعب - وهي تنشر عنوان المقال - المذكور (أين كلمة الشرف يا وزير الارشاد) ومن ثم دخلت على الوزير فحيّيته أروع تحية ورد عليها بأحسن منها وهو يتهلل ويبتسم وتطفح على محياه الغبطة والسرور وكأنه انتصر علينا في معركة اصدار القانون الجديد . وما درى بأنه عجّل بهذا في نهاية عمر الردة - وقطع المشوار بسرعة الى ثورة ١٧ - ٣٠ تموز ١٩٦٨ م المباركة .. والجدير بالذكر اني قرأت على وزير الارشاد في اثناء هذه المقابلة الاخيرة جميع المقال الذي لم ينشر من دون العنوان الذي اشرت اليه وقد علق عليه بهذه الكلمات (.. أنت تقول لي في مقالك - يا شاكر - غداً ستعود الى صفك وطلابك في كلية القانون فماذا سيكون جوابك عندما يسألونك عن - القانون الجديد - الذي اصدرته وهو ضد الفكر الحر والصحافة .. قلت هذا يا شاكر - ولكن من قال لكَ بأني ساعود الى الطلاب والصف في هذه المرة) وفعلاً لم يعد الى الصف .. والطلاب إلا بعد فترة استجمام استغرقت عدة اعوام حقاً . ان في ذلك عبرة ودرساً للوزراء والكبراء . ولكن ما أكثر العبر والدروس وما أقل من يعتبر .

سفرتان الى (موسكو) و (القاهرة)
قبل تشريع القانون بالغاء جرائد القطاع الخاص

سفرة جماعية الى - موسكو - بدعوة من اتحاد الصحفيين هنالك شارك فيها اصحاب الجرائد القطاع العام والقطاع الخاص واستمرت قرابة الشهر .

يومها كان - محسن حسين الحبيب - الرجل الجنتلمان - سفيراً للجمهورية

العراقية في الاتحاد السوفيتي ، الواقع وفي نظري وكل المنصفين ان تلك السفرة إياها كانت من امتع السفرات .. الصحفية التي سجلها تاريخ الصحافة وقد نفذ برنامج الرحلة تنفيذاً دقيقاً ورائعاً من جانب المرافقين السوفيات لنا اثناء النهار والليل . وكان يجب أن نوفي ـ الرحلة ـ حقها من التقييم والتقدير لدى عودتنا الى الوطن الحبيب ، ولكن أكثرنا ـ قطاعاً عاماً أو قطاعاً خاصاً ، كان مقصراً أو قاصراً من هذه الناحية مع الأسف البالغ وأكثر من هذا فقد حاول بعض المشاركين النيل منها ومن منهاجها وغمز الاتحاد السوفيتي وهذا مخالف لجميع الاعراف وتقاليد الضيافة والدعوات الرسمية والخاصة على حد سواء .

انطباعاتي ومشاهداتي في الاتحاد السوفيتي « لي (٢٣) مقالة صحفية ، هذا عنوانها »

أما بالنسبة لي ـ ولا فخر ـ فقد بدأت بالكتابة عن هذه الرحلة الممتعة منذ الاسبوع الأول ونحن في الاتحاد السوفيتي ، إذ كنت أبعث بالمقالات والتعليقات الصحفية من موسكو تباعاً بوساطة السفارة العراقية هنالك الى جريدتي (الشعب) لنشرها على شكل حلقات متوالية على الصفحة الاخيرة ـ طولاً وعرضاً ـ وبعنوان (انطباعاتي ومشاهداتي في الاتحاد السوفيتي) ولدى عودتي والوفد الصحفي الى بغداد فقد واصلت نشر الحلقات الاخرى بحيث بلغت (٢٣) حلقة .

ماذا حدث وأنا أنشر الحلقات تباعاً ؟

أمران ـ متناقضان ـ هما اللذان حدثا .

رأي سفير عراقي ـ ضد رأي ـ وزير عراقي

وفي احد الايام طرق باب داري أحد الاصدقاء الذي كان معنا في تلك الرحلة الصحفية الى موسكو والذي كان يحمل لي رسالة شخصية من السفير العراقي في موسكو ـ محسن حسين الحبيب ـ وتنطوي الرسالة على امتداح واطراء لا استحقه

وعلى مكانة الصحافة الحرة .. وصعوبة المرحلة التي تعيشها الثورة في العراق ... الخ ، وعلى أهمية المقالات التي بدأت أنشرها عن الرحلة .

الواقع كانت تلك ـ الرسالة الشخصية ـ من صديقي وحبيبي ـ محسن الحبيب ـ مشجعة ومحفزة الى استكمال نشر مسلسل الحلقات بالكامل .

هذا هو الأمر الاول الذي حدث .. أما الأمر الثاني فقد اتصل بي هاتفياً ـ أحد الموظفين بوزارة الارشاد ، وقال لي (بأن الوزارة ترجوك عدم نشر ما تبقى من الحلقات) فاستغربت جداً من هذا الرجاء ، بل ـ المنع ـ ولهذا فلم اعبأ في قليل أو كثير بهذا المنع ـ غير المعلن ـ وغير المحرر بصورة رسمية . وقد ذهبت ـ وأنا مستمر على نشر الحلقات الى أبعد من هذا فنشرت نص رسالة السفير العراقي في موسكو والموجهة اليَّ مع صورتها ـ بالزنكغراف ـ وعلقت عليها بهذه الكلمات والمعنى (وزارة الارشاد أو الحكومة توعز اليَّ بالانقطاع عن نشر انطباعاتي ومشاهداتي في الاتحاد السوفيتي وسفيرها ـ في موسكو ـ تشير رسالته الشخصية اليَّ بأهمية الحلقات وقدرها .. ترى أيهما المصيب ؟) . وكما نوهت ـ قبل الآن ـ ان بعض الصحف التي شاركت في تلك الرحلة لم تكتب وتنشر ما تستحقه من الاهتمام والاعتبار ، وما تستوجبه علاقات الصداقة والدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي آنذاك اللّهم الانشر بعض السلبيات حول تلك السفرة التاريخية التي لها وزنها وثمنها وشانها لدى جميع الكتاب الشرفاء الذين يحترمون اقلامهم ويصورون مشاهداتهم وانطباعاتهم بكل أمانة وشرف ولو غضب الغاضبون من حملة الاقلام الرجعية والاستعمارية .. اقول هذا واثبته في مذكراتي خدمة للتاريخ والقراء وتدويناً للصدق والشرف في المذكرات ، علماً باني لم أكن ـ شيوعياً ـ في يوم من الايام وان المعروف والشائع عني في الاوساط الصحفية باني جردت قلمي في مراحل مختلفة للرد على ـ عملاء ـ السوفيات الذين اساؤا للحرية والسلام والى الاتحاد السوفيتي نفسه بالذات وفي عز جبروته وسلطانه وكنت اعتبره المعسكر الاول أو العملاق ـ الاول ـ ومن ثم ياتي المعسكر الغربي الاستعماري أو العملاق ـ الثاني ـ .

دعوة رئيس تحرير ـ برافدا ـ لنا في اليوم الاخير من رحلتنا الصحفية

ماذا قلت لرئيس تحرير ـ برافدا ـ

الدعوة كانت ظهراً ـ وقد حضرها السفير العراقي في موسكو ـ محسن حسين الحبيب ـ وجميع أصحاب الصحف العراقية المشاركين في الرحلة ، وقد رغب رئيس ـ برافدا ـ أن نتحدث له عن بعض انطباعاتنا ومشاهداتنا في الاتحاد السوفيتي ونحن في اليوم الاخير من الرحلة .

تحدث (بعض) اصحاب الصحف عن بعض مشاهداتهم في جو يوحي بحلاوة الكلام والحديث ولم أتحدث بدوري عن كل شيء .. وهنا وجه ـ السفير العراقي ـ كلامه لرئيس تحرير ـ برافدا ـ وقال له (.. ولكن ـ التكريتي ـ لم يتحدث بشيء ولم تساله حتى الآن) وكنت جالساً الى جانب السفير ، وهنا سالني رئيس التحرير عن انطباعاتي وكل شيء في ذلك ـ الجو الحر ـ كان يوحي بسرعة الخاطر والجواب وبخاصة أقداح (الفودكا) !!.. وقد أجبته بما يأتي :

لقد تحدث زملائي عن انطباعاتهم ومشاهداتهم بما فيه الكفاية .. وأما بالنسبة لي ، فان جريدتي ـ الشعب ـ ما تزال مستمرة على نشر الحلقات التي كتبتها حول انطباعاتي ومشاهداتي في الاتحاد السوفياتي ، ولكني أقول .. لقد رأينا أشياء وأشياء كثيرة من عجائب الاتحاد السوفياتي إلا شيئاً واحداً واحداً فقط فاننا لم نره فاستثرت ـ رئيس تحرير برافدا ـ وجذبت كل انتباهه اليّ وقال : يا تكريتي ـ ولكن ما هو الشيء الذي لم تروه وتريدون أن تروه . نحن مستعدون لتمديد الرحلة الصحفية اسبوعاً اضافياً من أجل أن تروه . قلت لرئيس التحرير : وحتى اذا مددتم الرحلة فلستم قادرين على أن ترونا الشيء الذي كنا نسمع عنه منذ عشرات السنين . وهنا راح السفير العراقي يضغط بقدمه على قدمي وعلى الطريقة العراقية خشية من أن افوه بجواب (نشاز) وغير مريح . ومرة اخرى قال رئيس تحرير ـ برافدا ـ : وما هو الشيء الوحيد الذي لم تروه واننا لسنا قادرين على أن نريكم إياه . فكان جوابي انه (الستار الحديدي) الذي يتحدث عنه المعسكر الغربي وهو الستار الذي يلف ـ الاتحاد السوفيتي ـ من أقصاه الى أقصاه ، هذا هو الشيء الذي لم نره فمنذ أن وصلنا بلادكم وجدنا كل شيء مفتوحاً أمامنا المدن والسواحل والكتب والمكتبات

والنوادي والجمعيات وحتى الصحف والمجلات الغربية وجدناها في نواديكم وجمعياتكم ونقاباتكم ، فاين هو الستار الحديدي الذي يتحدث عنه المعسكر الغربي الاستعماري . وهنا انبسطت اساريرـ رئيس برافدا ـ ونهض من مكانه وصافحني ورجاني شيئاً واحداً وهو أن يكتب كلامي هذا على ـ ورقة خاصة ـ واوقعها بتوقيعي فكان له ما أراد وكان في هذا الموقف والحوار سرور السفير العراقي وشكره لي عدة مرات وبصورة اعتز بها طوال حياتي .

سفرة الوفد الصحفي الى القاهرة (حفلة ام كلثوم) على شرف الوفد (تحية كاريوكا) و (البغل في الابريق)

بعد عودتنا من زيارة ـ الاتحاد السوفيتي ـ وبعد نكسة حزيران وبعد فترة استجمام قصيرة في بغداد شددنا الرحال ثانية ـ كوفد نقابي صحفي ـ الى حيث ـ القاهرة ـ ووادي النيل ، للاطلاع على آثار العدوان والنكسة المريرة التي تدمي قلوب الجيل الحاضر ، وكل الاجيال القابلة ، والتي تنكس رؤوس (بعض) المتزعمين القادة العرب لانهم ارتضوا لانفسهم تحمّل عار النكبة ومسؤوليات التفريط والتقصير والتراجع والنكوص الى حد الاتهام بخيانة العروبة والاسلام .

في قاهرة عبدالناصر

وصلنا القاهرة .. وتنفيذاً للمنهاج المرسوم لرحلتنا الصحفية فقد قابلنا ـ جمال عبدالناصر ـ ذلك الصقر العربي ـ مهيض الجناحين . وعندما حييته وصافحته مع بقية الزملاء والاخوان شعرت ـ والله ـ وأحسست كأن الأرض تهتز من تحت قدمي .. وكأن السماء العربية في القاهرة تكاد تطبق على رأسي ورؤوس الآخرين . ولقد حمدت الله كثيراً على صمود هذا البطل العملاق ـ عبدالناصر ـ الذي تحدث لنا عن جانب رهيب من جوانب النكسة وعن ضرورة الصمود والنضال المستمر من أجل ازالة آثار العدوان ، وأهاب بالجميع الى تجديد الايمان بحق الامة العربية وان العرب اليوم ـ وبعد

النكسة ـ هم كلهم أمام امتحان تاريخي رهيب . وان الصمود في المواقف الحرجة والنكسات هو من آيات البطولة والرجولة والتضحية والفداء ، وان الله هو المعين وخير الناصرين .

ام كلثوم ومحمد عبدالمطلب يغنيان

وتحت زحمة تلك السحابة السوداء ، بصواعقها السياسية والعسكرية شاءت القاهرة أن لا تحرمنا من صوت ـ ام كلثوم ـ في احدى الاوبرات بعد صوت ـ عبدالناصر ـ حيث شنفت اسماعنا واطربت انفسنا بالاغاني الخالدة وكذلك لم نحرم من صوت محمد عبدالمطلب الذي كان يذرف الدمع الغزير وهو يغني لرجال الصحافة والفكر في العراق .. فلقد عاش ـ نزيل ـ الاذاعة العراقية اعواماً طويلة بين رافديه وفي سويداء جوهرته وبيضة خدره بغداد الخالدة وعروس الدنيا الى الأبد .

تحية كاريوكا والبغل في الابريق

... وكذلك ـ ونحن في القاهرة ـ لم نحرم من ممثلة الجيل ـ تحية كاريوكا ـ حيث كانت البطلة في مسرحية ـ البغل في الابريق ـ وهي المسرحية المشهورة التي تعرّض مؤلفها ـ للقطاع الاشتراكي وكل المؤسسات الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة والى سوء التطبيق وضعف الكوادر الادارية والفنية .. بحيث اختار ـ مؤلف المسرحية ـ أحد الاميين ، وعيّنه في موقع المدير العام لاحدى شركات القطاع الاشتراكي فاصبح اضحوكة واداة يتلاعب به ـ مهندسو ـ الشركة الذين يعرفون (من أين تؤكل الكتف) بحيث اعلنت الشركة افلاسها ووقف ـ مديرها المفوض ـ في قفص الاتهام لمحاكمته من قبل تحية كاريوكا ، وصدر القرار بقطع يده تطبيقاً لنص الشريعة الاسلامية (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) ويخلص المؤلف من كل هذا الى القول بأن مثل من يضع هذا ـ الامي الجاهل ـ على رأس احدى شركات القطاع الاشتراكي ـ العام كمثل من يضع (البغل في الابريق) وهو عنوان المسرحية . وقد علمت يومها ـ ان الرقابة المصرية على الافلام لم توافق على

عرضها وقد رفعت شكوى الى ـ عبدالناصر ـ رئيس الجمهورية يومذاك فوافق على عرضها في حينه باعتبار عرضها يساعد على تخفيف المحنة وامتصاص النقمة .

عودة الوفد الصحفي الى بغداد

بعد عودة الوفد الى بغداد وجدنا الحديث ما يزال مستمراً حول اصدار القانون الجديد للمؤسسة الصحفية وحول الغاء جرائد القطاع الخاص وقد فوجئنا باصدار (القانون) ذائع الصيت والشهرة ، وبالطريقة السرية التي شرع بها .. كما فصّلت الامر في فصل سابق .

مع صاحبي الدكتور الطبيب شامل السامرائي وزير الداخلية في حكومة طاهر يحيى

بعد أن الغيت جريدتي (الشعب) بموجب قانون الصحافة الجديد اسوة بالجرائد الاخرى ، ومن ثم وبعد مدة قصيرة عادت جريدة ـ التآخي ـ الى الصدور وحدها مجاملة لاخواننا الاكراد وحزب البارتي دعاني صديقي (صالح اليوسفي) رئيس تحرير (التآخي) الى المساهمة في تحرير هذه الجريدة التي كانت معارضة طبعاً . وقد اتفقت معه على تحرير ـ حقل يومي ـ وشرعت بالعمل والتحرير تحت عنوان (وميض نار) وظللت احرر هذا الحقل حتى بعد ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز سنة ١٩٦٨ المباركة ، واذكر اني في احد الحقول علقت على مسرحية (البغل في الابريق) التي سبق أن شاهدناها في القاهرة مع الوفد الصحفي ومن جملة ما جاء في ذلك الحقل هذه الكلمات (لقد شاهدنا بغل القاهرة في ابريق القاهرة .. فاين هم يا ترى بغال العراق في اباريق العراق) فكان ما كان ولا تسأل عن الخبر ، علماً بأن المقال نشر قبل ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ المباركة .

٢ ـ اتصل بي الدكتور شامل السامرائي أو اتصلت به هاتفياً ـ والله لا أتذكر كيف جرى الاتصال ومن هو صاحب المبادرة الذي ضرب ارقام الهاتف .. وشامل السامرائي ـ وزير الداخلية ـ رفيق عمر ومن سنجق واحد .. قال السامرائي لم نلتق

من زمان فأرغب في زيارتك في دارك لشرب الشاي . وقد رحبت بتشريفه كل الترحيب حيث كان في داري في الساعة الثامنة مساءً وجرى بيننا الحديث الآتي :

قال السامرائي .. منذ يومين اجتمع مجلس الوزراء وبحث كيفية الاستفادة من بعض الصحفيين المتميزين الذين الغيت امتيازات جرائدهم بموجب القانون الجديد ولانك في طليعة المتميزين دون مجاملة فقد اتجهت النية الى تعيينك رئيساً للتحرير لجريدة الجمهورية أو الثورة وكان المفروض أن نصدر قراراً بذلك اثناء الجلسة السابقة .. ولكن (طاهر يحيى) رئيس الوزراء طلب التريث وتاجيل استصدار القرار بذلك ، بعد أخذ موافقتك . وقد زرتك هذا المساء لهذا الغرض بالنظر لصداقتنا واخوتنا الطويلة .. كما ان الدكتور (عبدالرحمن الحبيب) وزير المالية وصديقك يضم رأيه الى رأيي ويرجو موافقتك . والحق شكرت ـ السامرائي ـ و (الحبيب) على حسن الظن بي وتقديرهما لي .. ولكني استغربت جداً جداً من هذا العرض على صحفي ـ متميز ـ على حد تعبيرهما ورئيس تحرير جريدة (الشعب) المعارضة التي الغي امتيازها بموجب قانون الصحافة الجديد .. إذ كيف يتقبل مثل هذا الصحفي وهو ـ المعارض ـ للحكم القائم مهما كانت شدة المعارضة أو خفتها أن يكون رئيس تحرير لجريدة تنطق رسمياً باسم الحكومة ، فيصبح بين عشية وضحاها من المسبّحين بحمدها والمؤيدين لكل قراراتها والمزمّرين بمزاميرها لا بمزامير داود (عليه السلام) . شكرت (السامرائي) ثانية وثالثة على هذا العرض ـ المرفوض من جانبي ، والذي قد يغري غيري وهم معروفون ومستعدون لقبول هذا العرض . وقلت للصديق ـ السامرائي ـ تصور الامر معكوساً أنا وزير داخلية في الحكم الحاضر ، وأنت رئيس تحرير جريدة (الشعب) المعارضة وقد غلقت من جانب الحكومة وعرضت عليك قبول رئاسة جريدة حكومية واني لواثق كل الثقة بأن موقفك قد لا يختلف عن موقفي هذا .

الواقع كان (السامرائي) لطيفاً بالرغم من كون حديثنا المشترك ما كان لطيفاً نسبياً إلا في حدود المجاملة الاخوية ومن كوني لست مريضاً يطلب الدواء من صديقة الروح بالروح (الطبيب الوزير السامرائي) بل كنت في صحة بدنية وعقلية جيدة والحمد لله الذي لا يحمد على قبول رئاسة تحرير جريدة حكومية سواه .. وقد عشت مثل هذه الحالة ـ في العهد الملكي ـ عندما كنت مراقباً ومشرفاً على الصحافة والمطبوعات واعيش المعاناة وأنا اشارك في تحرير جرائد السلطة .

وأخيراً ودعته شاكراً ، ورجوته عدم التفكير بعد الآن بمثل هذا التفكير مطلقاً مع ابلاغ تحياتي وشكري لرئيس الوزراء .

حوار تلفوني مع وزير / استراحة وفنجان قهوة

الوزير المنادي على الهاتف

اقاويه على مائدة ـ مذكراتي

أنا : هلو .. هلو .. مَنْ .. صباح الخير .

هو : وزير من وزراء الدولة سنة ١٩٦٥ .

أنا : تفضلوا .. ماذا تامر .. أهلًا وسهلًا .

هو : أنتم تنشرون كل يوم ـ حكمة اليوم ـ في صدر جريدة ـ العرب ـ شعراً ونثراً وحديثاً شريفاً ، ومقولة خالدة .. فارجو أن تنشروالي حكمة اليوم ـ التي اخترتها لكم .

أنا : بكل ممنونية فما هي ـ الحكمة ـ التي اخترتها للجريدة املها عليَّ من فضلك .

هو : الحكمة الشعرية تقول :

وان سفاه الشيخ لا حلم بعده
وان الفتى بعد السفاهة يحلم

أنا ـ علمت فوراً بأن ـ الحكمة ـ التي اختارها الوزير المنادي ـ بالهاتف ـ أو الوزير المهاتف القصد منها هو التعريض بـ (الشيخ محمد رضا الشبيبي) رئيس الجبهة الشعبية المعارضة للوزارة يومذاك . فقلت للوزير : أرجو أن تعلم بان الشيخ الشبيبي له منزلته الكبيرة في الاوساط الادبية والوطنية والسياسية وله مواقفه القومية منذ عهد (الشريف الحسين) قائد الثورة العربية ، فارجو العلم باني أرفض نشر حكمتك التي اخترتها رفضاً قاطعاً حتى ولو قطعت يميني ، ويجب أن تقدّر الموقف قبل غيرك لانك محسوب على الأدب والشعر واللغة قبل أن تحسب على السياسة والوزارة ولاني اعتز بك كوزير وصديق كبير .

هو : ولماذا هذا الموقف الحدي والجدي .

أنا : لاني اؤمن برؤساء و (شيوخ الجبهة الشعبية) واعضائها كلهم ، وبالذات أول رئيس لها وهو (طه الهاشمي) حامل راية السيف والقلم .. وارجو أن تحول رجاءك في نشر ـ الحكمة ـ الى جريدة اخرى من الجرائد السائرة بركاب الحكم والوزارة .

هو : ولكني وزير من وزراء الحكم القائم . فلماذا هذا الموقف المتصلب مع ان

نشر ـ الحكمة ـ فيه خدمة للحقيقة والتاريخ .

أنا : أيها الوزير الحبيب ، ومتى أصبح الوزراء من كتاب التاريخ والحقيقة . اللّهم إلا البعض النادر والنادر جداً ان وجدوا صدفة أو اعتباطاً .

هو : اذن . انت مصر على عدم تلبية رجائي وعدم نشر ـ الحكمة ـ التي قرأتها عليك .

أنا : مصر ورافض نشرها حتى اذا تدخّل في الأمر وزير الثقافة والارشاد ..

وهكذا كان هو الموقف الهاتفي سبباً من أسباب مناوءة الحكم لجريدة (العرب) الى أن عطلت في عهد الردة ـ تماماً كما سدت قبل الردة ـ وكل التفاصيل في صلب المذكرات مع الوثائق التاريخية .

حياتي الصحفية .. بعد ثورة (١٧ ـ ٣٠ تموز) المجيدة « مقابلة مع احمد حسن البكر »

بعد تفجر الثورة في ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ المباركة وفي احدى زياراتي للرئيس المرحوم احمد حسن البكر سالني عن رجال وحال صحافة الثورة ، فقلت له بأن الصحافة ورجالها في تطور وتقدم مستمرين ، ولكن ما يزال يعوزها الخبرة والتركيز الاعلامي وتبيان الحقائق وعرضها على الرأي العام بالاسلوب الجذاب والوضوح الساحر . ومن أدبيات البعث العربي الاشتراكي هي ان الحقيقة ثورية واخلاقية في الوقت نفسه وان كل محاولة لحجب الحقيقة هي انحدار علني من الثورية الى الانتهازية ونحمد الله ان الانحرافية ـ الانتهازية والبهلوانية ـ قد انتهت وجاء دور الثورية الاخلاقية لكي تقود سفينة الحكم الى طريق السلامة ، والى موانىء الوحدة والحرية والاشتراكية . فاجابني البكر رحمه الله : هذا صحيح . وأردف يقول نصاً :

« ابو جلال انخاك نخوة عرب ، أن تساعدنا في قراءة الصحف اليومية ، وكذلك الصحف العربية الواردة الينا من الوطن العربي وأن تقدم لي تقريراً ضافياً عن كل صحيفة كأن تقول .. هذه خطها اشتراكي .. تلك خطها رأسمالي .. هذه وطنية قومية تلك امبريالية استعمارية ماجورة » .

فاجبته : بكل سرور وشرف ، أتقبّل هذه المهمة ولكن لفترة مؤقتة .

ومن ثم استدعى سكرتيره الخاص يومذاك الصديق ـ منذر المطلك ـ وطلب منه أن يفرد لي غرفة قريبة منه لكي اباشر بقراءة الصحف منذ صباح الغد .. وهنا قلت للسيد البكر : العفو سيدي لا حاجة الى تعيين غرفة لاداء المهمة فانا مدير اعلام متقاعد واتقاضى راتباً من الدولة وأنا متبرع بهذه المهمة التي اطلقت عليها (نخوة عرب) وفي الامكان أن تامر بارسال الجرائد العراقية والعربية يومياً الى داري صباحاً فاقرأها خلال ساعتين واكتب التقرير الواجب ومن ثم تعود السيارة الناقلة الى داري لتسلم الجرائد مع التقرير . وقد وافق سيادته على اقتراحي هذا ، وباشرت العمل من الغد واستمرت العملية أشهراً عديدة .

والذي حدث بعد هذا اني سافرت الى لندن لاجراء عملية جراحية بتوصية من الطبيب المعالج وقبل ثلاثة أيام من سفري ذهبت الى استعلامات القصر الجمهوري عسى أن اقابل الرئيس وأودعه فلم استطع فاكتفيت بتحرير مذكرة شخصية له انباته فيها بضرورة سفري الى لندن الامر الذي يستوجب الانقطاع عن عملي في مدة السفر ، والى حين عودتي الى بغداد ان شاء الله ، كما استاذنته بالسفر وكاني واحد من موظفي القصر ولست عاملًا متبرعاً في ضوء المثل (نخوة عرب) ..

وفعلًا والحمد لله فقد سافرت واجريت العملية الجراحية وعدت بعد (٤٥) يوماً الى بغداد ولكن العجيب ان احداً لم يسأل عني في مدة انقطاعي ولا عن صحتي حتى بعد عودتي فكان من الطبيعي والاعتيادي أن أعفو نفسي من ذلك (الالتزام الادبي) تجاه الاخ السيد البكر ، كما يعرف ذلك أخي الوفي (منذر المطلك) علماً ، وكما ذكرت بأن عملي هذا في رقابة الصحف طوال تلك الاشهر كان وكما اتفقنا بالمجان وعلى طريقة (نخوة عرب) بالرغم من ان المرحوم البكر قد نوّه لي مباشرة وبالوساطة بأني استحق مكافاة مادية فاعتذرت واعتذرت مرتين !!

تطور الوضع السياسي بسرعة
« صالح اليوسفي » صديقي يعين وزيراً

كان قد جرى التفاهم السياسي مع الحزب الديمقراطي الكردستاني حيث شارك في الحكم اثنان أو ثلاثة من الوزراء الأكراد وفي طليعتهم صالح اليوسفي الذي كان

رئيس تحرير (التآخي) وهي الأم لجريدة (العراق) الغراء التي استطاعت أن تبرهن على وجودها وصدق وطنيتها ، وتنتهج نهج (محمود الحفيد) و (كاوه الحداد) وتبذل جهوداً جبارة في دعم الوحدة الوطنية وتوجيه الاسهم القاتلة النافذة الى قلوب اعداء الوحدة الوطنية حيثما كانوا في داخل العراق وخارجه . والجدير بالذكر ان علاقة صداقة ومودة تربطني مع صالح اليوسفي منذ ١٩٦٧ ، بل قبل هذا ، حيث كان رئيس تحرير جريدة (التآخي) المعارضة وكنت رئيس تحرير جريدة (الشعب) المعارضة وقد سافرنا معاً مع بقية الزملاء من رؤساء التحرير الى الاتحاد السوفياتي بدعوة منه وذات يوم اتصل بي صالح اليوسفي وهو وزير دولة ودعاني لتناول الغداء سوية في فندق بغداد مع وزير كردي آخر . في اثناء الحديث قال لي : ان جريدة (التآخي) كنت تساهم في تحريرها قبل ثورة (١٧ ـ ٣٠ تموز) وبعد أن ألغت السلطة امتياز جريدتك الشعب .. وبعد الثورة كلفتك بأن تساهم ثانية في تحرير (التآخي) ولكنك كنت تعتذر في كل مرة بسبب علاقتك الوثيقة والجيدة والمبدئية مع اغلب رجال الثورة ولأن جريدتنا ـ التآخي ـ معارضة .. أما الآن فقد تبدلت الصورة تماماً وجرى التفاهم التام بين حكومة الثورة والحزب الديمقراطي الكردستاني ، وأصبحنا نحن الأكراد مع حكومة الثورة فأرجو أن تعود للمشاركة في تحرير (التآخي) . وبعد مناقشة وحوار طويل اتفقنا على تحديد واجباتي ، وحقولي وكلماتي التي احررها وباشرت في العمل .. ولكن الذي حدث بعد هذا هو الجدل الرهيب والعنيف بين جريدة (التآخي) وجريدة (الجمهورية) وقد تحرج موقفي بالذات فانسحبت فوراً من التآخي واعتذرت من الاخ صالح اليوسفي والأخ حبيب كريم . وهكذا فقد انقطعت عن العمل الصحفي في تلك الفترة واغتنمت الفرصة لاستكمال مذكراتي واعادة كتابة مذكرات العم (اللواء المتقاعد محمد سعيد التكريتي) تمهيداً لطبعها ونشرها .. وهكذا بقيت بعيداً عن معانقة الصحافة حبيبتي الاولى والاخيرة ، حتى شبوب حرب الدفاع المقدسة ضد الاخطبوط الخميني بقيادة الرئيس القائد صدام حسين وفي الثمانينات وجهت اليَّ الدعوة من قبل الأخ الاستاذ عبدالجبار محسن رئيس تحرير القادسية الغراء للمشاركة في تحرير الجريدة وكرر عليَّ الدعوة أكثر من مرة مشكوراً وكلف بعض الاخوان ومنهم اياد البكري للاتصال بي من أجل هذه الغاية فكان (أبو مصعب) مشكوراً وكنت شاكراً حتى اللحظة بالاضافة الى الأخ الكريم في السرّاء والضرّاء منذر آل جعفر المعروف بكبريائه الوطني والأدبي .

نساء ذوات أثر في نفسي وحياتي

والدتي .. هذلة الامين

الامهات - كما يقول رجال التربية وعلم النفس - هنَّ « المعلم الأول » لأطفالهنَّ ، إذ يتغذى هؤلاء الاطفال بالحليب من أثدائهن ، وبالتربية والمعرفة من ألسنتهنَّ وبين أحضانهن .. ووالدتي - هدلة الامين - أو هَديل الامين ، كما كنت اسمّيها بعد تخرجي في دار المعلمين كانت من المتفهمات الحاذقات في تربية الاطفال في ضوء مقاييس - العشرينات - في عراق كان يعيش الأميّة والرجعية ويغوص في بحرها حدّ الأذقان !! كانت والدتي تشارك والدي والرجال الذين يقصدون - ديواننا - في حلّ بعض المشاكل العائلية والعشائرية ، وحتى الشؤون الزراعية .. وعندما توفي والدي رحمه الله ، وبعد اختتام مجالس الفاتحة ، جمعتنا والدتي - هديل - نحن أولادها الخمسة واختنا الواحدة ، وأخذت توصينا وتوجهنا بهذه الكلمات .. لقد توفي أبوكم ولن يعود الى الحياة ولكنه حي بوجودكم ، وبالخيرات والحسنات التي يتحدث عنها الناس ، فلا اريد أن تبكوا وتذرفوا الدموع عليه بعد الآن ، واعتمدوا على أنفسكم فأنتم شباب ورجال والتوفيق من عند الله .. وما أزال أتذكر - وبعد أكثر من ستين سنة - تلك الكلمات الخالدة التي أصبحت منهاجنا ودستورنا في الحياة ، وكان لها الأثر المباشر على نفسيتي ، وعلى كل تصرفاتي وسلوكي في حياتي العملية والاجتماعية .

مديحة السلمان

المناضلة المجاهدة الى جانب زوجها المناضل المجاهد الشهيد العقيد - محمود سلمان - .. لقد كانت قصة حياتها أغرب من الخيال ، حيث عاشت المآسي والرعب والقلق وعناء السفر بين العراق وايران ، وتركيا والقاهرة بعد أن ضرب الانكليز ثورة (٢ مايس ١٩٤١) في الصميم ، وعلق زوجها على أعواد المشانق مع رفاقه الاحرار .. وقد كنت وإياها من أسرة التربية والتعليم في - الثلاثينات - .. وبسبب تقديري الذاتي لشخصيتها وهيبتها ونضالها ، فقد فرغت من إعداد - مذكراتها -

وصياغتها في أقل من (٣) أشهر وطبعتها ونشرتها بعنوان (الأسيرة رقم ـ ٩٣ ـ مديحة السلمان زوجة الشهيد محمود سلمان) .

آسيا توفيق وهبي

زوجة العلامة الكردي المعروف ـ توفيق وهبي ـ عضو المجمع العلمي العراقي ، ووزير المعارف في العهد الملكي .. وآسيا وهبي أول رئيسة للاتحاد النسائي في العراق .. وقد بلغ تقديري وإكباري لها حد اني نشرت في جريدة ـ النضال ـ السياسية لصاحبها ـ ابن أخي ـ غالب ابراهيم المحامي مقالًا بعنوان (النساء يشكلن أول وزارة في العراق بعد فشل الرجال) !! وكانت آسيا توفيق وهبي رئيسة للوزراء !!

فاطمة الطالباني

عيّنت مديرة الفنون البيتية في العهد الملكي ، عندما كنت مديراً للاعلام والاستعلام بديوان وزارة المعارف ـ أي التربية ـ وكانت ابنتي ـ هناء شاكر علي ـ تلميذة عندها وتحت اشرافها يومذاك .. وكانت تتفضل بزيارتي عندما تراجع الوزارة لأشغال رسمية . وهي مولعة بسرد النكات والنوادر على طريقتها الخاصة . وكنت اطالبها في كل زيارة أن تقصُ عليَّ نكتة من نكاتها البارعة الرائعة ، أو آخر نكتة تتعلق برجال الحكم والوزراء ، ولا تبالي ، بأن يكون ـ بطل ـ النكتة ـ أخانا المشترك ـ حسن الطالباني عندما كان وزيراً للنقل والمواصلات ، وهو المشهور كذلك ، بالنوارد والنكات اللاذعة .. وقد عملت معه ـ قبل أن يستوزر ـ عندما عيّن مديراً عاماً للدعاية .. ولولا خشيتي من انصراف القراء عن قراءة ـ مذكراتي ـ لحكيت بعض النكات على لسان الأخت الفاضلة ـ فاطمة ـ والأخ الفاضل حسن الطالباني .

مدام ـ مسكوني ـ الكبير

انها السيدة الكريمة عقيلة العلامة يوسف يعقوب مسكوني والمؤرخ المعروف بمؤلفاته ومترجماته التي أثرت المكتبة العربية والاسلامية .. وكان لمدام مسكوني اسلوبها الخاص في تهيئة الجو المناسب لزوجها العلامة وهي يقضي الساعات الطويلة في مكتبته العامرة لمواصلة التحقيق والبحوث والتاليف . كما ان لها اسلوبها التربوي في توجيه أولادها من ـ رياض الأطفال ـ وحتى الكليات وحصولهم على الاختصاصات المختلفة .. وكانت تشارك في جميع المجالس الأدبية الاسبوعية التي تعقد في دار مسكوني ويحضرها العديد من القمم والشخصيات العلمية والأدبية عراقية وعربية من أمثال حافظ جميل ، ومصطفى جواد ، وسالم الآلوسي ، والدكتور علي كمال ، والدكتور هادي السباك ، وحارث طه الراوي ، وصفاء خلوصي ، وكوركيس عواد ، وعبدالهادي التازي ، وابراهيم سلامة ، وخليل مردم ، ورروكس العزيزي .
أنجبت ـ مدام مسكوني ـ ستة أولاد وفتاة أدبية واحدة هي ـ أمل مسكوني ـ التي هي على سرّ أبيها في حب الثقافة ووضع بعض المؤلفات الأدبية .. وأخيراً فقد اطلق على مدام مسكوني ـ التي أنجبت ستة أولاد وفتاة واحدة لقب (أم المعلقات السبع) وبالاجماع ، في احد اللقاءات الاسبوعية ، من قبل الأدباء الحاضرين .

أميرة نورالدين داود ـ الاستاذة الشاعرة

هي ابنة المرحوم صديقي نورالدين داود مدير الدعاية العام في بداية ـ الاربعينات ـ في وزارة جميل المدفعي .. وقد نقلت خدماتي ـ في عهده ـ من وزارة التربية الى مديرية الدعاية العامة المرتبطة بوزارة الداخلية . وقد جاء ذكره في فصل آخر من ـ مذكراتي ـ هذه . وهو الكاتب الأديب المعروف بميوله القومية التي أورثها الى ابنته الموهوبة ـ أميرة ـ إن كانت الميول ثورت أحياناً كما الغرائز !! وقد تبلور في ذهنها الفكر القومي بعد هذا عندما أصبح منهاجاً فكرياً حزبياً وبعثياً يدور حول المحاور الثلاثة ، الوحدة والحرية والاشتراكية .. فلقد دخلت صفوف البعث العربي الاشتراكي في الاعوام البكر ، ودعت له داخل العراق وخارجه وعاشت مراحل نضالية

مشهودة ومشهورة وقاسية . وهي الآن في منظمة المناضلين لها رأيها ودورها في معرض الفكر والدراسة والتوجيه .

يومها ، وفي الاربعينات والخمسينات كنت بدوري مراقباً للصحافة والاذاعة والمطبوعات ، وقد دعوناها مع الأدباء والعلماء والشعراء لالقاء أحاديث اسبوعية من دار الاذاعة مع بعض زميلاتها من أمثال (أديبة ابراهيم رفعت) مديرة دار المعلمات و (افتخار الوسواسي) وغيرهن ، وقد لبّت الدعوة ، وأفادت الاذاعة شعراً ونثراً ورأياً .. وفي الوقت الذي اسجل فيه هذه الصفحة التاريخية الناصعة ـ للاميرة ـ أميرة نورالدين ، واذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فلا بد أن اسجل وللتاريخ ، ولهذه ـ الأخت الفضلى ـ موقفاً سلبياً واحداً برغم حسن النية !! وهو انها رشحت لي احدى زميلاتها المدرسات للمشاركة في القاء الاحاديث اسوة بالمحدّثات الاخريات المشاركات .. وقد لبّيت رغبتها تواً ، واستدعيت تلك المدرّسة المرشحة من قبل ـ الاميرة نورالدين ـ ورتّبت لها أحاديث اسبوعية ، حيث باشرت بالقائها . ولكن الذي حدث بعد القاء حديثين أو أكثر ، هو ان تلك ـ المحدثة ـ كانت تسرق أحاديثها بالنصّ من بعض المجلات والكتب !! وقد فضح هذه السرقات « بعض » المستمعين الذين اتصلوا بي تلفونياً وشخصياً ومعهم الادلة التي لا تقبل الشك ، وهي المجلات المسروق منها تلك الأحاديث .. والقصة طويلة بعد اجراء التحقيق !! وذلك في عهد المرحوم خليل ابراهيم مدير الدعاية العام بالوكالة . وعندما أخرجنا اسمها من قائمة المحدثين والمحدثات وشاع أمر السرقات الادبية وذاع اشتكى والدها ضدي وضد (ناظم بطرس) رئيس المذيعين ، وضد (محمود المعروف) الشاعر الاذاعي الموهوب .. وكانت الشكوى ضدنا لدى (صالح جبر) وزير المالية يومذاك .. وقد تشكّلت لجنة التحقيق برئاسة الاخ (مدحت الجادر) المدير في مديرية الدعاية العامة حيث ظهر الحق وزهق الباطل وادينت واقصيت المحدثة السارقة نهائياً عن ـ ميكروفون ـ الاذاعة ، مع احترامي وتقديري لها ، مدرسة وزوجة وأماً وجدة واختاً كريمة ، وسوس لها الشيطان الرجيم ، فسطتّ يدها على أفكار بعض الكتاب العباقرة وعلى مجلة ـ المختار ـ بالذات فسرقتها واذاعتها بالنص الكامل من دار الاذاعة !! وكذلك اعتذاري « للاميرة » الموهوبة التي قد تتساهل حتى مع اللواتي والذين قد يسرقون افكارها واحاديثها !! ان في ذلك لعبرة ودرساً لجيل مثقف وأمين ، يرفض « السرقات الادبية » ولو كان السارقون والسارقات محسوبين على الطبقات الحاكمة !!

. . .

هاتان المربيتان ـ المديرتان ـ (أديبة) الأديبة فعلًا ، ولميعة (اللامعة) فعلًا في طليعة مديرات دار المعلمات والثانوية . وقد تخرجت على أيديهما أجيال من المربيات الفاضلات اللواتي أصبح في مقدورهن المسك بزمام الريادة والقيادة النسوية . وكنت أرجو بعض ـ وزراء التربية ـ الذين أتجاوب معهم على منحهما الصلاحيات الواسعة في تربية بنات الجيل على القواعد والأسس التربوية السليمة .

نجمة السبتي

تعرفت عليها في فندق (سمر بالاس) في احدى زياراتي أو رحلاتي الى لبنان ، وبعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، حيث هامت على وجهها مع عائلتها التي هربت من ـ حيفا ـ مع النازحين اللاجئين الى البلدان العربية ... وقد مات « بعض » أطفال العائلة النازحة وكهولها ، وهم بطريقهم الي لبنان .. والأخت ـ نجمة ـ الأديبة المثقفة الواعية ـ المسكينة ـ تنتمي الى عائلة ـ الرنتيسي ـ العريقة في فلسطين تقرأ الشعر والدواوين بطلاقة ، وكل ما تقع عليه يداها وعيناها من أفانين الثقافة العامة .. كانت دموعها الغزار كبيرة عندما تبكي موتاها وضحاياها . ولكن دموعها كانت أكبر عندما تبكي ـ فلسطين ـ الجريحة والذبيحة !! ولا أدري ، أين هي الآن ؟ أحيّة ترزق أم خالدة في الجنة ؟ ولا أدري ماذا ستقول اليوم في الحلّ الأخير وضياع فلسطين ؟ وما هو رأيها في « بعض » الزعماء العرب وأحفادهم ، الذين ساعدوا ـ الصهيونية ـ على شحذ السكين لقتل فلسطين ؟! في زيارتي الاخيرة ـ في الخمسينات ـ الى لُبنان ، وعدتني بأن تأتي الى العراق لتسكن فيه ، واساعدها في تأسيس مشروع تربوي ـ ثقافي ـ بعد أن اعيّنها مديرة أو مدرسة في احدى الثانويات ، ولكنها لم تأتِ ولم تفِ ـ مع الاسف البالغ ـ ولست أدري ، هل عاجلها القدر المحتوم أم ان لها أعذاراً اخرى ، أو قدراً نجهله ونحن نلوم ونتساءل .

« أم جلال » ... و « أم جعفر » !!

انها « أم جلال » حليمة مصطفى الحاج حسن ابنة عمّي منذ أن بدأنا حياتنا الزوجية سنة ١٩٣٨ وحتى الآن ، لم اختلف معها خلافاً عائلياً مطلقاً وانما كان اختلافنا - إن وجد - في الرأي والتحليل والنظر الى الاحداث والشخوص . ومثل هذا الاختلاف ضروري جداً للحفاظ على السلامة الفكرية في الأسرة الواحدة ووقايتها من حالة الجمود والببغاوية !! الاعمال والمسؤوليات مقسّمة فيما بيننا بطريقة اعتيادية وطبيعية ، هي مسؤولة بدورها عن ادارة البيت وشؤونه وتموينه وضيوفه ، وأنا بدوري منصرف الى واجباتي الرسمية عندما كنت موظفاً في الدولة ، وواجباتي الوطنية والسياسية والصحفية بعدما تحررت من ثقل الوظيفة والدولة .

« أم جلال » ابنة « الشيخ » العم مصطفى الحاج حسن . وقد أنجبت خمسة أولاد وبنتاً واحدة ، فضلاً على طفلة وطفل ، هما الآن مع طيور الجنة يحملان - أباريق - الجنة للمتقين الصالحين !!

لقد وقفت - أم جلال - الى جانب أولادها المناضلين الخمسة في أحرج الظروف الصعبة التي عاشتها عائلتنا وعراقنا المناضل ، وذلك بكل شجاعة واخلاص وايمان . وقد دفعت الثمن الغالي من صحتها وصحة أولادها واخوانها ، وعلى سبيل المثل الواحد لا الأمثال الكثيرة ، هي الحفاظ على حياة (٢٠) بعثياً مناضلاً في الاقل بعد (ردة تشرين) والتستر عليهم في الطابق الثاني من دارنا ، عدة أيام !! فضلاً عن الاجتماعات - البعثية - التي كانت تعقد في دارنا ليلاً وبصورة مستمرة قبل ثورة الرابع عشر من رمضان سنة ١٩٦٣ .

أما صديقتها واختها في النضال فهي (أم جعفر) قاسم حمودي المناضلة هي الاخرى مع أولادها وبناتها ..

هاتان الاختان (أم جعفر) و (أم جلال) مناضلتان بكل معاني الكلمة . وكلتاهما فرس رهان في هذا الميدان العقائدي البعثي ، وكنا (جارين) في الاعظمية . وقد رحلت - أم جعفر - الى الاخرى ، وبقيت صفحتها البيضاء خالدة . أما قصة التعاون بين الاختين (أم جعفر) و (أم جلال) في ميادين البعث العربي الاشتراكي ، فلم تدوّن بعد . وما تزال من تاريخ ما أهمله التاريخ . وعندما يسجل - نضال - المرأة العراقية السياسي والنضالي الحديث ، كما هو ، وكما تقتضيه

ـ الامانة ـ التاريخية فسيكون للاختين المناضلتين دورهما المشرف في القضية التحررية والوطنية ، مع أدوار ابنائهما المناضلين .

أميرة علي رجب

وهذه سيدة فاضلة ومناضلة من نوع مرموق ومتميز . وكما يبدو من اسمها الثلاثي الذي تتبارك فيه ، فان اسم جدّها (رجب) من الأشهر الثلاثة المباركة الى جانب (شعبان) و (رمضان) ، وان أباها (علي) فقد أسماه أبوه عليّاً تيمناً بسيّدنا الإمام علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه ، وانها تنهل التقوى والتربية من هذه الاسماء المباركة ومن مسمياتها .

وبعدُ .. فانها من (أميرات التربية والتعليم) ، حيث تخرجت في دار المعلمات في الموصل ، وتخرجت على يديها خلال ربع قرن تقريباً أفواج من فتيات الجيل اللواتي شاركن في تطوير الحركة النسوية .. ودفعها الى أمام .. و (أميرة) تدرك تماماً وعملياً بأن واجباتها الأساسية هي خلق العائلة النموذجية بحيث تكون القدوة الصالحة للعوائل الاخرى ، مع الاحتفاظ بتقاليد المرأة ـ المحافظة ـ العقلانية الى جانب الاخذ بأسباب ـ التقدمية ـ الصالحة ـ أي ان المرأة الحديثة يجب أن تقف الى جانب الرجل في الحياة ، وأن تعيش في النور .

أما أولادها الاربعة فهم (محمد وأحمد وأبو بكر) و (أُنس) ـ بضم الهمزة ـ وهي الفتاة الوحيدة ، فانهم يمثلون (المربع الذهبي) في داخل الاسرة المباركة وفي خارجها .

و « أميرة » تهوى المطالعة وتعلّم اللغات وتتطلع الى الحياة الافضل في عصر مثقف لا مكان فيه للجهلاء والأميين .. ومن هواياتها كذلك حياكة الملابس الصوفية بطريقة يدوية فنية وجذابة ورائعة .. وقد تقدمت بانموذج من هذه الحياكة المطرزة بأنامل فنية الى السيد الرئيس القائد صدام حسين فنالت القبول والاعجاب مما شجّعها على الاستمرار في مزاولة هوايتها كلما توفّر لها الوقت الكافي .

وأخيراً ، وكلما تزور « أميرة » دارنا بسبب الاواصر التي تربطنا مع عائلتها وعشيرتها ، كنت أقول لها مع التحية (ان المرأة التي تهز المهد بيمناها تهز العالم بيسراها) وهي العبارة التي نكررها ونفخر بها في المناسبات .

الخاتمة

تقول العرب (العبرة بالخواتيم) ، وخاتمة ـ مذكراتي ـ هي هذه الأسطر الأخيرة منها ، وإذا كانت ـ الخاتمة ـ هي الأخت الاولى والوحيدة ـ للمقدمة ـ فهل ان هاتين الاختين كلتيهما قد رضعتا من ثدي واحد هو ثدي الحقيقة والتاريخ والمذكرات ؟، وهل أوفيتُ بجلَ وعودي التي التزمتُ بها في ـ المقدمة ـ أم لا ؟، وهل ان ـ صاحب ـ المذكرات كان حراً وصريحاً وجريئاً في كتابة ـ مذكراته ـ بحيث أرضى نسبيّاً الوقائع والحقائق النواطق وحدها ولم يحفل بالشخوص كثيراً أو قليلًا ، رسميين أو غير رسميين ، رئيسيين أم هامشيين ، أصليين أم طفيليين ، سواء غضبوا أم كشّروا عن أنيابهم ، كمن يعيشون في حدائق حيوانات أو غاب ؟

تلك تساؤلات واردة وشاردة كثيرة اسجلها في هذه ـ الخاتمة ـ والقراء وحدهم هم الأحرار في الجواب عنها ، علماً بأني ارحّب أبلغ الترحيب بكل نقد يوجّه لي و ـ لمذكراتي ـ سلباً أو ايجاباً ، وبكل صراحة وحرية ، ودون ما غمز ولمز ، فالويل لكل همزةٍ لمزة !! فقد يكون في نقد ـ المذكرات ـ وتصويب بعض ما جاء فيها خدمة اضافية للمواقف والحقائق والتاريخ ، مع اني أغفلت وصرفت النظر عن نشر عشرات الأدلة والوثائق التي تتعلق باصحاب أو خصوم أصبحوا في ذمة الله والرحمة والتاريخ . وفي شُرعتي ان رعاية حرمة الأموات هي قبل رعاية وحرمة الأحياء !! لأن الاحياء قد يدافعون عن أنفسهم ، وليس من الشجاعة والمروءة والناموس والشرف أن يحمل ـ الكاتب ـ أو ـ المؤرخ ـ أو الصحفي على الاموات تشفّياً أو إشباعاً لمصالح مادية شخصية وأهواء ذاتية وغريزية ، أو تزويراً للتاريخ وتشويهاً للحقائق . والتاريخ الصادق الناطق سجل حافل لا يغادر كبيرة ولا صغيرة إلّا أحصاها في كتاب !! وكم من مسؤولين و ـ ساسة ـ قد حملتُ عليهم بقلمي وهم على دست الحكم ، ولكني لم اعرّض بهم بعد أن وافاهم الأجل المحتوم (قل كل يعمل على شاكلته) . ذلك لأن الانسان ،

أيّ انسان ، هو أخو الانسان ، أحبّ أم كره ، ولأن (الخَلق كلهم عيال الله وأقربهم الى الله أحبّهم لعائلته) ولأن طريق البشرية واحد ، وجسرهم الى الآخرة واحد ، انه الصراط المستقيم . ولأن ـ الخاتمة ـ واحدة وبالضدّ من ـ المقدمة ـ أو ـ المقدمات ـ العديدة والمختلفة نوعياً وكمياً .. ويحضرني ـ وأنا أتحدث عن الخاتمة والخواتيم وعن العبر والدروس والقدوات والنماذج والتجارب الحلوة والمرّة ـ خاتمة (بسمارك) بطل ألمانيا القومي والوحدة الألمانية في القرن التاسع عشر ، وصانع تأريخها الحديث الذي طوّح به (هتلر) !! فان خاتمته تختلف جدّ الاختلاف عن ـ مقدّمته ـ !! إذ عندما أصبح يعيش المحنة والعبرة في آخر أعوامه ، وبعد أن استيقظ ضميره قال لجلسائه ورفاقه في اجتماع خاص (... انها مشيئة الله ، وما البشر في هذه الدنيا إلّا كأمواج البحر تتلاطم وتتلاحم ، وتجيء وتروح ، ولكن البحر الطاغي باقٍ الى الأبد .. انها مسألة وقت وحين من الدهر ، حتى تنتهي الصراعات والحروب ، والدجل والكذب والرياء ، ويعود البشر الى التراب ، وحينذاك يتساوى البروسي والفرنسي ، والنرويجي وغيرهم .. وانه يأسف لأنه كان السبب في اشعال ثلاثة حروب في اوربا ..) وقد علّق أحد رفاقه من جلسائه في الاجتماع بهذه الكلمات (... ولكنك يا بسمارك ، عملتَ هذا وقمتَ بكل هذا من أجل سعادة ألمانيا ووحدتها وعظمتها ...!!) فردّ عليه بسمارك قائلًا (نعم !! وهذا صحيح ، ولكن ، كم من الدول والشعوب هي التي تعذّبت وتدمّرت بسبب سياستي ، وكم من المصائب والجراحات البليغة التي أحدثتها في أجساد تلك الشعوب والأمم !!) ومن هنا يسألنا التاريخ : كم هو الفارق الشاسع بين « مقدمة » بسمارك وبدايته وبين (خاتمته) ونهايته !؟ ألا يعتبر أبطال الحروب ، وصانعوها وأعداء الخير والسلام بكل هذا !؟ والمؤرخون أنفسهم ـ ومنهم أصحاب المذكرات ـ ورجال الصحافة والاعلام ، ألا يتخذون الدروس والعبر من (مقدمات) الرجال والأبطال ومن (خواتيمهم) ؟

وأخيراً ، وبعد أن سرح بي الخيال بعيداً في أجواء التأريخ وبعض أبطاله وصانعيه أقول في ـ الخاتمة ـ كما قلت في ـ المقدمة ـ لئن كانت العبرة في الخواتيم ، فان مَثَلَ ـ صاحب المذكرات ـ أحياناً وليس دائماً ، كمَثَل المجتهد إن أخطأ فله أجر واحد ، وإن أصاب فله أجران ، ومع ذلك فإنني أتنازل عن الاجر أو الاجرين ـ إن وجدا ـ لكل من يخدم الحقيقة والتاريخ ، ويضع المصابيح الكبيرة أو « الشموع الصغيرة » أمام الاجيال ، الى أن تقوم الساعة ، ويحين وقت الحساب ، والله من وراء القصد ، فلي ولكل امرىء وكاتب ومؤرخ و ـ صاحب مذكرات ـ ما نوى .



(أم جلال) حليمة مصطفى



فاطمة الطالباني مديرة الفنون البيتية



السيدة المربية أميرة علي رجب



السيدة المربية أديبة رفعت مديرة دار المعلمات



المناضلة أم جعفر قاسم حمودي



السيدة أم زهير
حرم العلامة الكبير يوسف يعقوب مسكوني



شاكر علي التكريتي
التقطت هذه الصورة في داري بعدسة حبيبي ونسيبي
لاستاذ المغترب د. عبدالله حمودي اسماعيل مرعي بمناسبة
يارته وطنه الحبيب العراق في احدى المناسبات الوطنية



عبدالقادر الجنابي
أمين سر المجلس الوطني



الدكتور
سعدون خليفة التكريتي



العميد محيي عبدالحميد وزير المعارف (التربية)

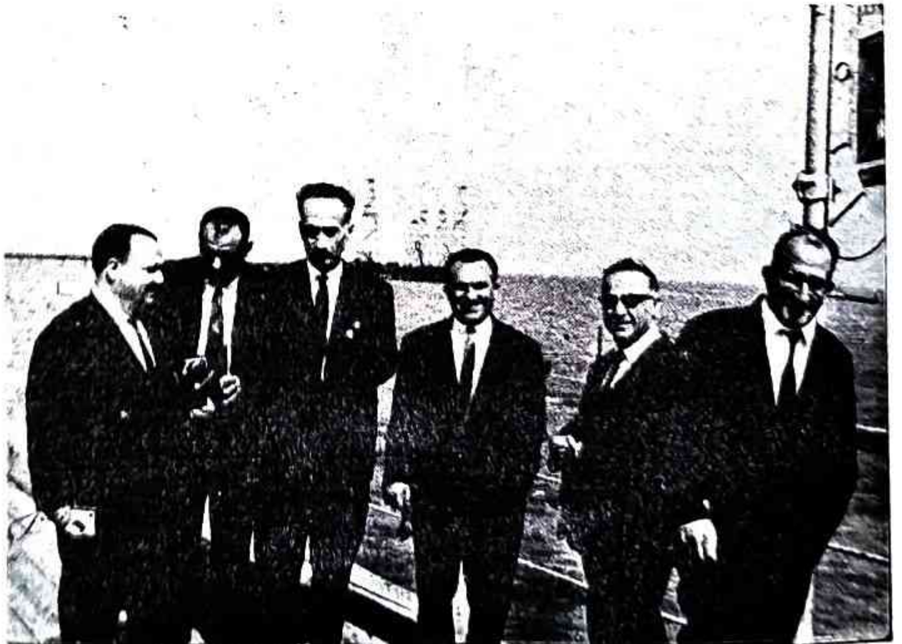


الاستاذ حارث طه الراوي



شاكر علي التكريتي في محافظة التاميم يحضر افتتاح معرض التربية هناك بالنيابة عن اسماعيل العارف وزير المعارف

من الجانب الايسر مدير تربية محافظة التاميم ومن الجانب الايمن محافظ التاميم

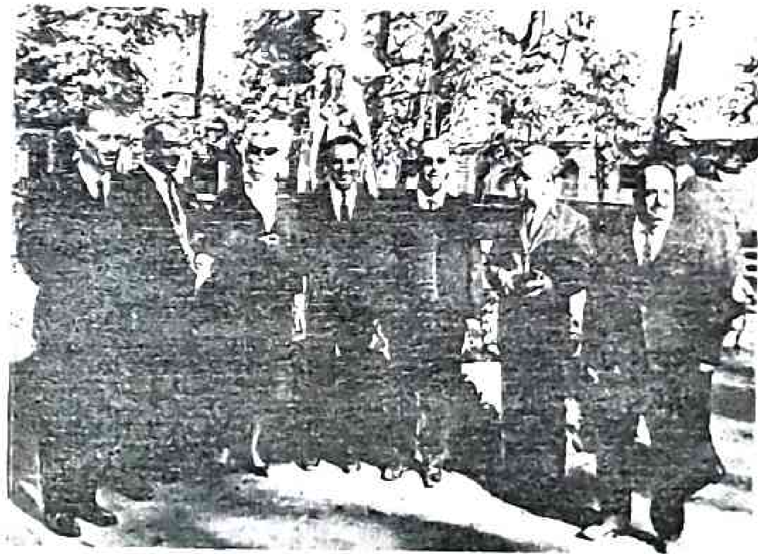


شاكر علي التكريتي مع الوفد الصحفي العراقي في زيارته للاتحاد السوفيتي ١٩٦٧

الصورة من اليمين : شاكر علي التكريتي ـ عبدالله الملاح ـ عزيز بركات ـ صالح يوسفي ـ غازي عياش ـ صلاح ابراهيم



شاكر علي التكريتي
في عهد عبدالكريم
قاسم مع جعفر خياط
وعبدالرزاق الجليلي



شاكر علي التكريتي
مع الوفد الصحفي
الى الاتحاد السوفيتي
في حدائق بطرس الاكبر



اللواء مزهر اسماعيل الشاوي



(ابو جلال)
شاكر علي التكريتي



جلال شاكر علي



حسام عبدالعزيز
علي سفير العراق في
اليونان واليمن وجيبوتي

الفهرست

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة



طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

تعنون جميع المراسلات

العنوان
العراق - بغداد - اعظمية
ص ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 03 / جمادي الأولى/ 1445 هـ
الموافق 07 / 11 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائـــي

م. سرمد حاتم شكر

وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة

الغلاف : نهلة محمد عبدالوهاب

بغداد - ١٩٩٧

السعر : دينارا

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة